شفاء الفؤاد

بزيارة خير العباد

تأليف

السيد محمد بن علوي المالكي الحسني

خادم العلم الشريف بالبلد الحرام

المكتبة العالمية

القاهرة - بيروت

الطبعة الأولى
2002



تقديم

بقلم العلامة المؤرخ سماحة الشيخ محمد بن أحمد ابن الشيخ حسن الخزرجي وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف ورئيس لجنة التراث بدولة الإمارات العربية المتحدة ـ أبو ظبي

الحمد لله الذي تفضل علينا برسوله وحبيبه محمد أفضل الهداة إلى سبيله وأمرنا بتوقيره وبرّه وتبجيله وفرض علينا محبته بما جاء في تنزيله.

اللهمّ صلّ وسلّم عليه وعلى آله صلاة تليق بمقامه وتكريمه ورضي الله تعالى عن صحابته وأتباعه وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدّين.

أما بعد: فهذا السفر الجليل والبحث النفيس «شفاء الفؤاد بزيارة خير العباد» ﷺ لمؤلفه الشريف العلامة الجليل سماحة الدكتور السيد محمد بن علوي المالكي الحسني قَدْ جَلَا فيه وجه الصواب وأصاب كبد الحقيقة وأوضح سبيل الرشد بالأدلة الساطعة والبراهين القاطعة بأسلوب علمي دقيق وتوفيق رائع عميق فقضى بذلك على الشقاق والخلاف وأظهر معالم الحق والإنصاف وجمع بذلك كلمة المسلمين وقرّب وجهات النظر للمنصفين في قصد زيارته ﷺ والتوجه لحضرته لثبوتها بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، فزيارته ﷺ من أجلّ الطاعات وأسمى القربات، قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤].

قال العلامة النسفي في تفسيره عند هذه الآية ما نصّه: جاء أعرابي بعد دفنه عليه الصّلاة والسّلام فرمى بنفسه على قبره وقال: يا رسول الله! قلت: فسمعنا وكان فيما أنزل إليك ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ﴾، وقد ظلمت نفسي وجئتك أستغفر الله من ذنبي فاستغفر لي من ربي فنودي من قبره ﷺ «قد غفر لك».

وقال رسول الله ﷺ: **«من جاءني زائراً لم تنزعه حاجة إلّا زيارتي كان حقاً علي أن أكون له شفيعاً يوم القيامة»**.

رواه الطبراني في معجمه والدارقطني في أماليه وصحّحه ابن السكن، وقد ذكر الإمام السبكي في كتابه «شفاء السقام» طرق هذا الحديث التي يصير بمجموعها حسناً مقبولاً معمولاً به.

وفّقنا الله تعالى لدوام زيارته في الدنيا ورزقنا شفاعته في الآخرة وجزى الله المؤلف خير الجزاء ونفع به إنه سميع مجيب.

كتبه

محمد بن أحمد ابن الشيخ حسن الخزرجي

وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف

ورئيس لجنة التراث والتاريخ

بدولة الإمارات العربية المتحدة

بسم الله الرحمن الرحيم

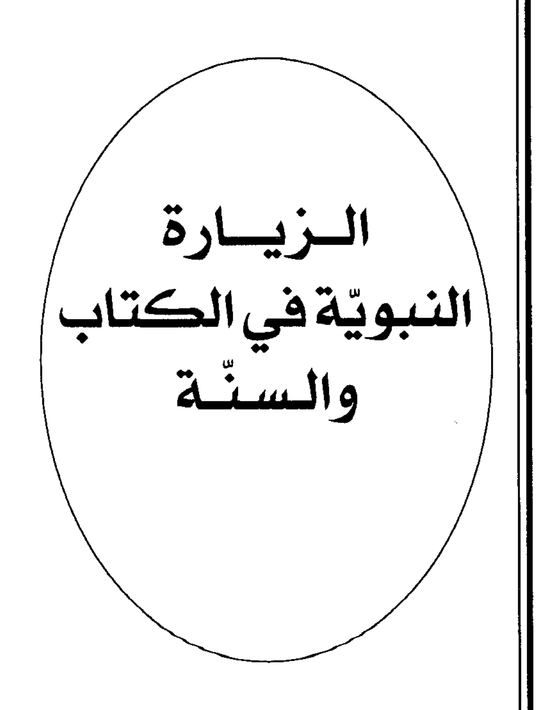
الحمد لله الذي منَّ علينا برسوله، وهدانا به إلى سواء سبيله، وأمرنا بتعظيمه وتكريمه وتبجيله، وفرض على كل مؤمن أن يكون أحبّ إليه من نفسه وأبويه وخليله، وجعل اتباعه سبباً لمحبة الله وتفضيله ونصب طاعته عاصمة من كيد الشيطان وتضليله، ويغني عن جملة القول وتفصيله، رفع ذكره وما أثني عليه في محكم الكتاب وتنزيله، فهو خيرته من خلقه، وصفوته من بريته، إمام المتقين، وخاتم النبيّين، خطيبهم إذا وفدوا وشافعهم إذا حبسوا، ومبشّرهم إذا يئسوا صاحب لواء الحمد، والمقام المحمود أبي القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين، وإخوانه من النبيّين والمرسلين وسائر عباد الله الصالحين، صلاة دائمة غير زائلة، وباقيةً غير فانية، ومتصلة غير منقطعة وسلم تسليماً.

أما بعد: فهذه مباحث لطيفة ومسائل شريفة تدور حول زيارة أعظم خلق الله وأكرم رسل الله سيدنا محمد بن عبد الله عليه صلوات الله.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبّل ذلك منّا وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، إنه سميع قدير وبالإجابة جدير، والحمد لله رب العالمين.

وكتبه

السيد محمد بن علوي بن عباس المالكي الحسني


الـزيــارة
النبويّة في الكتاب
والسـنّـة

خلاصة البحث

إن أحاديث الزيارة لها طرق كثيرة يقوّي بعضها بعضاً كما نقله المناوي عن الحافظ الذهبي في فيض القدير ج٦ ص١٤٠ ـ خصوصاً أن بعض العلماء صحّحها أو نقل تصحيحها كابن خزيمة وعبد الحق والتقي السبكي وابن السكن والعراقي والقاضي عيّاض في الشفا والملا علي قاري شارحه والخفاجي (كذا في نسيم الرياض ج٣ ص٥١١) وكلهم من حفّاظ الحديث وأئمته المعتمدين، ويكفي أن الأئمّة الأربعة رضي الله عنهم وغيرهم من فحول العلماء وأركان الدّين قالوا بمشروعية زيارة النبيّ ﷺ كما نقل عنهم أصحابهم في كتب فقههم المعتمدة وهذا كاف منهم في تصحيح أحاديث الزيارة وقبولها لأن الحديث الضعيف يتأيّد بالعمل والفتوى كما هو معروف من قواعد الأصوليين والمحدّثين، وستجد هذا مفصلاً في هذا البحث.

الزيارة النبويّة في القرآن

اتّفقت جميع الأدلّة الشرعية، من الكتاب والسنة، والإجماع والقياس، على استحباب زيارة سيد المرسلين ﷺ من قرب ومن بُعد، وعلى أن زيارته من أنجح الوسائل لنيل شفاعته.

أما الكتاب فمن أبينه في ذلك لذوي الفهم المستقيم والبصيرة النافذة قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤].

ومعناه: أن الناس عند ظلمهم أنفسهم وسيلتهم إلى قبولهم والعفو عنهم وفوزهم برحمة الله إياهم وقبول توبتهم، أن يأتوك تائبين مستغفرين، فإن جاءوك مستغفرين وتكرمت عليهم بالاستغفار لهم، فإنهم يجدون من الله ما أملوا ويظفرون منه عزّ وجلّ بما قصدوا.

فالله سبحانه وتعالى علّق قوله: ﴿لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ على مجيئهم إليه

واستغفارهم واستغفاره لهم ولم يكتف منهم بمجرد استغفارهم، ليظهر كمال فضل زيارته ﷺ والمجيء إليه والانتقال لأجله.

يظهر سبحانه كمال فضل زيارته دون فرق بين قريب الدار وبعيدها، ولا بين زيارته صلوات الله وسلامه عليه في حياته وبعد وفاته، فإن من زاره بعد وفاته فهو كمن زاره في حياته فالآية الكريمة مرغّبة أكمل ترغيب في زيارته ﷺ والمجيء نحوه والسفر إليه.

وهي: وإن كانت نازلة بسبب خاص، لكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ففوز كل زائر له ﷺ بغفران الله تعالى له ورحمته إياه، عام متى تحققت علّته، وهي الزيارة والاستغفار من أي مكان كانت الزيارة، وفي أي وقت حصلت.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٠٠].

إن لم يكن نصّاً للزيارة فلا شك أن زيارته ﷺ لا سيما من الأمكنة البعيدة... من الهجرة إلى الله ورسوله ﷺ، فمن زاره عليه الصّلاة والسّلام، فهو ممن يدخل في هذه الآية ونحوها فإن لم تكنها فإنها في معناها كما لا يخفى على منصف.

كلام الإمام القرطبي

قال الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤].

روى أبو صادق عن علي قال: قدم علينا أعرابي بعدما دفنّا رسول الله ﷺ وحثا على رأسه من ترابه فقال: قلت يا رسول الله! فسمعنا قولك ووعيت عن الله فوعينا عنك وكان فيما أنزل الله عليك ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟﴾ الآية، وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي، فنودي من القبر أنه قد غفر لك.

كلام ابن كثير

قال الحافظ عماد الدّين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟﴾ وقد ذكر جماعة منهم الشيخ أبو منصور

الصباغ في كتابه الشامل الحكاية المشهورة عن العتبي قال: كنت جالساً عند قبر النبيّ ﷺ فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤] وقد جئتك مستغفراً لذنبي مستشفعاً بك إلى ربِّي ثم أنشأ يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه ... فطاب من طيبهن القاع والأكم

نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم انصرف الأعرابي فغلبتني عيني فرأيت النبيّ ﷺ في النوم فقال: يا عتبي؟ الحق الأعرابي فبشّره أن الله قد غفر له.

كلام الشيخ الخازن

قال العلامة الشيخ علاء الدّين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾.

إنما قال: واستغفر لهم الرسول ولم يقل: واستغفرت لهم إجلالاً لرسول الله ﷺ وتفخيماً له وتعظيماً لاستغفاره، وإنهم إذا جاءوه فقد جاءوا من خصّه الله برسالته وجعله سفيراً بينه وبين خلقه، ومن كان كذلك فإن الله تعالى لا يرد شفاعته، فلهذا عدل إلى طريقة الالتفات من لفظ الخطاب إلى لفظ الغيبة.

[تفسير الخازن على البغوي ج١ ص٥٥٥]

توضيح مفتي مكة المكرّمة

قال العلامة الفقيه الشيخ جمال بن عبد الله شيخ عمر مفتي بلد الله الحرام موضحاً معنى الاستدلال بالآية على المطلوب:

ولذلك فهم العلماء منها العموم للجائين واستحبوا لمن أتى قبره ﷺ أن يقرأها مستغفراً لله تعالى مع حكاية العتبي التي ذكرها المصنفون في المناسك والمؤرخون، وكلهم استحبوها للزائر ورأوها من آدابه التي يسنّ له فعلها، ويستفاد من وقوع جاؤوك في حيّز الشرط الدال على العموم أن الآية الكريمة طالبة للمجيء إليه من بعد ومن قرب بسفر وبغير سفر[١].

(١) الرّضا والقبول في فضائل المدينة وزيارة سيّدنا الرسول (لأحمد بن محمّد الحضراوي ص٦).

لا تشدّ الرّحال

يخطئ كثير من الناس في فهم حديث: «**لا تشدّ الرّحال إلّا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى**». فيستدلون به على تحريم شدّ الرّحل لزيارة النبيّ ﷺ ويعتبرون أن السفر بذلك سفر معصية، وهذا الاستدلال مردود، لأنه مبني على فهم باطل.

فالحديث كما سترى في باب والاستدلال في باب آخر.

وبيان ذلك هو أن قوله ﷺ: «**لا تشدّ الرّحال إلّا إلى ثلاثة مساجد**» جاء على الأسلوب المعروف عند اللّغويين بأسلوب الاستثناء وهذا يقتضي وجود مستثنى ومستثنى منه، فالمستثنى هو ما كان بعد إلّا، والمستثنى منه هو ما كان قبلها ولا بد من الأمرين: إما وجوداً أو تقديراً، وهذا مقرّر ومعروف في أبسط كتب النحو.

وإذا نظرنا إلى هذا الحديث وجدنا أنه قد جاء فيه التصريح بذكر المستثنى وهو قوله: «**ثلاثة مساجد**» وهو ما بعد «إلّا» ولم يأت ذكر المستثنى منه وهو ما قبل «إلّا» فلا بد إذاً من تقديره.

فإن فرضنا أن المستثنى منه (قبر) كان اللفظ المنسوب لرسول الله ﷺ: لا تشدّ الرّحال إلى قبر إلّا إلى ثلاثة مساجد، وهذا السياق ظاهر عدم الانتظام وغير لائق بالبلاغة النبويّة، فالمستثنى غير داخل ضمن المستثنى منه، والأصل أن يكون المستثنى من جنس المستثنى منه، ولا يطمئن قلب عالم يتحرّج من نسبة كلام للمصطفى ﷺ لم يقله إلى نسبة هذه اللفظة (قبر) وهي لا تتفق مع الأصل في الاستثناء إلى رسول الله ﷺ فلا تصلح أن تكون هي المستثنى منه.

فلنفرض أنها لفظ (مكان) فيكون السياق المنسوب لرسول الله ﷺ على هذا الفرض: لا تشدّ الرّحال إلى مكان إلّا إلى ثلاثة مساجد، ومعنى هذا: ألا نسافر إلى تجارة أو علم أو خير. وهذا ضرب من الهوس ظاهر البطلان.

فالحديث اشتمل على ذكر المستثنى وليس فيه ذكر المستثنى منه ولذلك فلا بد من تقديره باتفاق أهل اللغة.

وتقديره لا يحتمل إلّا ثلاثة وجوه لا رابع لها:

الوجه الأول: أن يكون تقديره بلفظ (قبر) فيكون اللفظ المقدر: لا تشدّ الرّحال إلى قبر إلا إلى ثلاثة مساجد.

وهذا التقدير مبني على رأي من يستدل بالحديث على منع السفر للزيارة

وأنت ترى أنه تقدير بارد ممجوج لا يستسيغه من عنده أدنى إلمام بالعربية، وهو لا يليق نسبته إلى أفصح من نطق بالضاد صلوات الله وسلامه عليه، فحاشى أن يرضى بمثل هذا الأسلوب الساقط.

الوجه الثاني: أن يكون تقدير المستثنى منه في الحديث بلفظ عام، وهو لفظ (مكان) وهذا باطل كما تقدم بلا خلاف ولا قائل به.

الوجه الثالث: أن يكون تقدير المستثنى منه في الحديث بلفظ (مسجد) فيكون سياق الحديث: لا تشدّ الرّحال إلى مسجد إلاّ إلى ثلاثة مساجد.

فنرى أن الكلام قد انتظم وجرى على الأسلوب اللّغوي الفصيح، واختفى التهافت الواضح في الصورتين المتقدمتين وأشرقت فيه روح النبوة، ويطمئن القلب التقي إلى نسبته لرسول الله ﷺ.

هذا بفرض أنه لا توجد رواية أخرى مصرّحة بالمستثنى منه، فإذا وجدت هذه الرواية فلا يحلّ لمن له دين أن يعدل عنها إلى محض فرض لا يستند إلى فصيح اللغة.

وقد وجدنا بحمد الله في السنة النبويّة من الروايات المعتبرة ما فيه التصريح بالمستثنى منه.

فمنها ما أخرجه الإمام أحمد من طريق شهر بن حوشب قال: سمعت أبا سعيد وذكرت عنده الصلاة في الطور فقال: قال رسول الله ﷺ: «**لا ينبغي للمصلي أن يشدّ رحاله إلى مسجد تبتغى فيه الصلاة غير المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي**». قال الحافظ ابن حجر: وشهر حسن الحديث وإن كان فيه بعض ضعف.

وفي لفظ آخر: «**لا ينبغي للمطيّ أن تشدّ رحاله إلى مسجد يبتغى فيه الصلاة غير المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا**».

ومنها ما جاء عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**أنا خاتم الأنبياء ومسجدي خاتم مساجد الأنبياء، أحق المساجد أن يزار وتشدّ إليه الرّواحل المسجد الحرام ومسجدي، صلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلّا المسجد الحرام**» رواه البزار.

فكلامه ﷺ في المساجد ليبين للأمة أن ما عدا هذه المساجد الثلاثة متساو في الفضل، فلا فائدة في التعب بالسفر إلى غيرها، أما هي فلها مزيد

فضل، ولا دخل للمقابر في هذا الحديث، فإقحامها في هذا الحديث يعتبر ضرباً من الكذب على رسول الله ﷺ على من يتحمله إثم الكذب عليه صلوات الله وسلامه عليه.

هذا مع أن الزيارة مطلوبة بل وكثير من العلماء يذكرونها في كتب المناسك على أنها من المستحبات ويؤيد هذا أحاديث كثيرة، نذكر جملة منها:

عن ابن عمر عن النبيّ ﷺ قال: «**من زار قبري وجبت له شفاعتي**». رواه البزار وفيه عبد الله بن إبراهيم الغفاري وهو ضعيف.

عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**من جاءني زائراً لا تعمله حاجة إلّا زيارتي كان حقاً علي أن أكون له شفيعاً يوم القيامة**». رواه الطبراني في الأوسط والكبير، وفيه مسلمة بن سالم وهو ضعيف.

عن ابن عمر عن النبيّ ﷺ قال: «**من حجّ فزار قبري في مماتي كان كمن زارني في حياتي**». رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه حفص بن أبي داود القارئ وثقه أحمد وضعفه جماعة من الأئمّة.

عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**من زار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي**». رواه الطبراني في الصغير والأوسط. وفيه عائشة بنت يونس ولم أجد من ترجمها (كذا في مجمع الزوائد ٤/ ٢).

قال العلامة ابن حجر الهيتمي في حاشيته على الإيضاح للنووي معلقاً على قوله: وقد روى البزار والدارقطني بإسنادهما عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من زار قبري وجبت له شفاعتي**». قال: رواه أيضاً ابن خزيمة في صحيحه وصحّحه جماعة كعبد الحق والتقي السبكي، ولا ينافي ذلك قول الذهبي: طرقه كلها ليّنة يقوّي بعضها بعضاً، ورواه الدارقطني أيضاً والطبراني وابن السبكي وصحّحه بلفظ: «**من جاءني زائراً لا تحمله حاجة إلّا زيارتي كان حقاً علي أن أكون له شفيعاً يوم القيامة**».

وفي رواية: «**كان له حقاً على الله عزّ وجلّ أن أكون له شفيعاً يوم القيامة**».

والمراد بقوله: «**لا تحمله حاجة إلّا زيارتي**»: اجتناب قصد ما لا تعلق له بالزيارة.

أما ما يتعلق بها من نحو قصد الاعتكاف في المسجد النبويّ وكثرة العبادة فيه وزيارة الصحابة وغير ذلك مما يندب للزائر فعله فلا يضر قصده في حصول

الشفاعة له، فقد قال أصحابنا وغيرهم: يسنّ أن ينوي مع التقرب بالزيارة التقرب بشد الرّحال للمسجد النبويّ والصلاة فيه كما ذكره المصنف.

ثم الحديث يشمل زيارته ﷺ حياً وميتاً، ويشمل الذكر والأنثى الآتي من قرب أو بعد. فيستدل به على فضيلة شدّ الرّحال لذلك وندب السفر للزيارة إذ للوسائل حكم المقاصد.

وقد أخرج أبو داود بسند صحيح: «**ما من أحد يسلم عليّ إلّا ردَّ الله عليَّ روحي حتى أردّ عليه السلام**».

فتأمل هذه الفضيلة العظيمة وهي ردهّ ﷺ على المسلِّم عليه إذ هو ﷺ حيّ في قبره كسائر الأنبياء لما ورد مرفوعاً: «**الأنبياء أحياء في قبورهم يصلّون**». ومعنى ردّ روحه الشريفة: ردّ القوة النطقية في ذلك الحين للردّ عليه. انتهى من الإيضاح ص٤٨٨.

قال الملا علي القاري: حديث ابن عمر رواه ابن خزيمة والبزار والطبراني وله طرق وشواهد حسّنه الذهبي لأجلها، وقال: إن الحديث رواه الدارقطني وغيره وصحّحه جماعة من أئمّة الحديث. (شرحه على الشِفاء ج٣/ ٨٤٢).

والحاصل: إن أحاديث الزيارة لها طرق كثيرة يقوّي بعضها بعضاً كما نقله المناوي عن الحافظ الذهبي في فيض القدير (ج٦ ص١٤٠) خصوصاً وأن بعض العلماء صحّحها أو نقل تصحيحها كالسبكي وابن السكن والعراقي والقاضي عياض في الشفاء والملا علي قاري شارحه والخفاجي كذلك في نسيم الرياض (ج٣ ص٥١١).

وكلهم من حفّاظ الحديث وأئمته المعتمدين ويكفي أن الأئمّة الأربعة رضي الله عنهم وغيرهم من فحول العلماء وأركان الدّين قالوا بمشروعية زيارة النبيّ ﷺ كما نقله عنهم أصحابهم في كتب فقههم المعتمدة، وهذا كاف منهم في تصحيح أحاديث الزيارة وقبولها لأن الحديث الضعيف يتأيّد بالعمل والفتوى، كما هو معروف من قواعد الأصوليين والمحدّثين.

تحقيق السبكي في الحديث

قال السبكي في حديث الزيارة هذا عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من زار قبري وجبت له شفاعتي**» رواه الدارقطني والبيهقي:

هذا الحديث له طرق كثيرة لكنها كلها تدور على موسى بن هلال العبدي

وهو عن عبيد الله بن عمر عن ابن عمر هكذا أكثر الروايات والرواة جميعهم إلى موسى بن هلال ثقات لا ريبة فيهم، وأما موسى فقد قال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به، فقد روى عنه أحمد بن حنبل وجماعة، ورواية أحمد عنه تكفي في توثيقه، وأحمد رحمه الله لم يكن يروي إلّا عن ثقة، ولذلك يتبين أن أقل درجات هذا الحديث أن يكون حسناً إن نوزع في دعوى صحته، وقال الذهبي: طرقه كلها ليّنة يقوّي بعضها بعضاً.

قلت: ويشهد لهذا الحديث حديث عبد الرحمن بن زيد عن أبيه عن ابن عمر عن النبيّ ﷺ أنه قال: «**من زار قبري حلّت له شفاعتي**». رواه الإمام أبو بكر البزار في مسنده، وفي هذا الحديث تابع عبد الرحمن بن زيد موسى بن هلال، وعبد الرحمن بن زيد ضعيف.

وعن ابن عمر عن النبيّ ﷺ أنه قال: «**من جاءني زائراً لا تعمله حاجة إلّا زيارتي كان حقاً عليَّ أن أكون له شفيعاً يوم القيامة**». رواه الطبراني في معجمه الكبير والدارقطني في أماليه وأبو بكر بن المقري في معجمه وذكره الحافظ سعيد بن السكن البغدادي المصري في كتابه المسمى بسنن الصحاح المأثور عن رسول الله ﷺ الذي قال: إنه جمع فيه ما صح من السنن، وابن السكن هذا إمام حافظ ثقة كثير الحديث، وعند الدارقطني بلفظ: «**من جاءني زائراً لم تنزعه حاجة إلّا زيارتي كان حقاً عليَّ أن أكون له شفيعاً يوم القيامة**».

وعن ابن عمر عن النبيّ ﷺ أنه قال: «**من حجّ فزار قبري بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي**». رواه الدارقطني في السنن والطبراني ورواه البيهقي بلفظ: «**من حجّ فزار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي وصحبني**»وقال: تفرّد به حفص بن سليمان وهو ضعيف اهـ وكذلك حكم الحافظ ابن عساكر.

شواهد أخرى

وقد ورد في هذا الباب أحاديث متعددة منها الضعيف ومنها ما هو أقل من ذلك لكنها تصلح للاستشهاد، وقد فصل العلماء درجاتها في الكتب الحديثية مثل شفاء السقام للسبكي الذي هو الأصل الأصيل في هذا الباب فمن تلك الشواهد:

عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**من حجّ البيت ولم يزرني فقد جفاني**». رواه ابن عدي في الكامل، وقال: إنه غريب، تفرد به النعمان بن شبل عن مالك، ورواه الدارقطني وقال: تفرد به هذا الشيخ وهو منكر.

وعن رجل من آل عمر عن رسول الله ﷺ قال: «**من زار قبري أو من زارني كنت له شفيعاً أو شهيداً**». رواه أبو داود الطيالسي في مسنده، وكذا البيهقي وابن عساكر.

وعن رجل من آل الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «**من زارني متعمّداً كان في جواري يوم القيامة**». رواه العقيلي مرسلاً.

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي**». رواه الدارقطني.

تحقيق المؤلف

من زار قبري وجبت له شفاعتي

هذا الحديث رواه الدارقطني في سننه ٢/ ٢٧٨، ومن طريقه القاضي عيّاض في الشفاء ٢/ ٨٣، والحكيم الترمذي في النوادر (١٤٨) والعقيلي في الضعفاء ٤/ ١٧٠، والدولابي في الكنى ٢/ ٦٤، وقال الخفاجي في شرح الشفاء ٣/ ٥١١: ورواه الذهبي وحسّنه اهـ وهو أحسن شيء في هذا الباب، أعلّه بعضهم بثلاثة أمور ليست بعلّة عند أهل هذا الشأن.

الأول: أنه من رواية موسى بن هلال العبدي وهو مجهول قاله أبو حاتم، وقال العقيلي: لا يتابع عليه.

الثاني: أن الإمام الذهبي قال في هذا الحديث: أنكر ما عنده كما في الميزان.

الثالث: اختلافهم فيمن روى عنه هل هو عبيد الله بن عمر المصغر الثقة أو عبد الله المكبّر الضعيف؟

وفي الجواب عن ذلك نقول:

أما قول أبي حاتم بأنه مجهول فإن الاحتجاج بقوله هذا جهل بطريقة أبي حاتم في التجهيل فهي مختلفة عما هو عليه أهل الاصطلاح يعرف هذا بالتتبّع والاستقراء، ولذا تراه جهل جماعة من أهل الصحيحين المحتجّ بهم، ذكر الحافظ السيوطي في التدريب ١/ ٣٢٠ تسعة منهم، بل قد جهّل بعض الصحابة من أهل بدر والأئمّة من التابعين والفقهاء من أهل العلم.

فمن الصحابة الذين جهّلهم: مدلاج بن عمرو السلمي البدري، وزياد بن

جارية، قال الحافظ في تهذيب التهذيب ٣/ ٣٠٨ في ترجمة زياد بن جارية: يقال: له صحبة، وقد روى عن النبيّ ﷺ: «**من سأل وله ما يغنيه**» الحديث، وذكره أبو نعيم وابن أبي عاصم الأصبهانيان ثم قال: وأبو حاتم قد عبَّر بعبارة مجهول في كثير من الصحابة اهـ باختصار وبتصرّف.

ومن التابعين الذين جهلهم أبو حاتم: صالح بن جبير الصدائي أبو محمد الأزدي كاتب عمر بن عبد العزيز على الخراج وكان أمير المؤمنين يقول: ولّينا صالحاً فوجدناه كاسمه، وثّقه ابن معين وجماعة وقال أبو حاتم: شيخ مجهول اهـ تهذيب التهذيب ٤/ ٣٣٦، وفي ترتيب المدارك ٣/ ٦٦ في ترجمة عبد الله بن غانم القاضي قال ابن يونس: أحد الثقات الأثبات لم يعرفه أبو حاتم لبعد قطره فقال مجهول اهـ.

قال الحافظ السخاوي في فتح المغيث ٣/ ٣٢٠: وقول أبي حاتم في الرجل إنه مجهول لا يريد به أنه لم يرو عنه سوى واحد، بدليل أنه قال في روَّاد بن يزيد الثقفي: مجهول مع أنه قد روى عنه جماعة، ولذا قال الحافظ الذهبي: هذا القول يوضح لك أن الرجل قد يكون عند أبي حاتم مجهولاً ولو روى عنه الثقات يعني به أنه مجهول عنده، وقد قال في عبد الرحيم بن كرم بعد أن عرفه برواته إنه مجهول اهـ باختصار.

فيتضح لك بهذا أن قول أبي حاتم في هذا الرجل: مجهول لا يضرّه كما لم يضرّ الذين جهلهم من أهل الصحيحين سيما وقد تعقبه الحافظ الذهبي كما سيأتي.

أما احتجاجهم بقول العقيلي: لا يتابع عليه، فإن كتاب العقيلي قد قدح فيه الحافظ الذهبي في الميزان واتهمه بعدم العدل والورع فيه لأنه أدخل فيه بعض مشايخ البخاري ومن احتجّ به في الصحيحين وقد بكّت عليه الذهبي في الميزان فمن ذلك ما قاله في ترجمة علي بن عبد الله الحافظ ٣/ ١٣٨ في الميزان قال: ذكره العقيلي في الضعفاء فبئس ما صنع، نعم جنح إلى ابن أبي روّاد والجهمية وحديثه مستقيم إن شاء الله اهـ.

وقال ٣/ ١٤٠ يبكّت على العقيلي: أنا أشتهي أن تعرّفني من هو الثقة الذي ما غلط ولا انفرد بما لا يتابع عليه، بل الثقة إذا انفرد بأحاديث كان أرفع وأكمل لرتبته وأدلّ على اعتنائه بعلم الأثر، قال: فانظر إلى أصحاب رسول الله ﷺ الكبار والصغار ما فيهم أحد إلّا وقد انفرد بسنة أفيقال له: لا يتابع عليه؟ وكذلك

التابعون ومن بعدهم كل واحد منهم عنده ما ليس عند الآخر من العلم، فإذا انفرد الثقة المتقن يعدّ صحيحاً غريباً وإن تفرد الصدوق ومن دونه يعد منكراً إلى أن قال له: فَزِنِ الأشياء بالعدل والورع اهـ. وقال الحافظ في مقدمة الفتح في ترجمة ثابت بن عجلان: قال العقيلي: لا يتابع على حديثه وتعقب ذلك أبو الحسن القطان فقال: بأن ذلك لا يضرّه إلّا إذا كثرت منه المناكير ومخالفة الثقات اهـ.

مناقشة الذهبي

أما قول الإمام الذهبي: أنكر ما عنده هذا الحديث، فهذا موضح لما تقدم وموثق لموسى بن هلال لأنّا ذكرنا قريباً أن الحافظ الذهبي قال: وإن تفرد الصدوق ومن دونه يعدّ منكراً فهذا فيه نوع توثيق ونوع تصحيح للحديث كما سترى لأن العلماء يذكرون ما أنكر على الثقة من غير تضعيف له بل ويذكرون حديثه في صحاحهم، روى ابن عدي في كامله في ترجمة ابن أبي الموال وهو من رجال الستة (٤/ ١٦١٦) قال: ثنا ابن أبي عصمة ثنا أبو طالب قال: سألت أحمد بن حنبل عن عبد الرحمن بن أبي الموال فقال: عبد الرحمن لا بأس به كان محبوساً في المطبق حين هزم هؤلاء، يروي حديثاً لابن المنكدر عن جابر عن النبيّ ﷺ في الاستخارة ليس يرويه أحد غيره، هو منكر قلت له: هو منكر؟ قال: ليس يرويه غيره اهـ باختصار.

فيقال للجاهل: هذا الحديث في الصحيحين من طريق عبد الرحمن هذا وقد نقل الحافظ في فتحه هذه الحكاية عند شرحه لهذا الحديث، فهل نحكم بضعف الحديث من أجل قول الإمام أحمد هو منكر، فتأمل.

مثال آخر: قال ابن عدي في الكامل ٢/ ٤٩٦ في ترجمة بريد بن عبد الله وهو من رجال الستة قال: وقد اعتبرت حديث بريد فلم أر فيه حديثاً منكراً، وأنكر ما روى هذا الحديث: إذا أراد الله بأمة خيراً قبض نبيّها قبلها.

قال: وهذا طريق حسن ورواه الثقات وقد أدخله قوم في صحاحهم وأرجو ألا يكون ببريد هذا بأساً اهـ.

قلت: والحديث في صحيح مسلم (١٥/ ٥٨).

مثال آخر: قال الحافظ الذهبي في الميزان ٤/ ٣٤٧ في ترجمة الوليد بن مسلم وهو من رجال الستة أيضاً قال: ومن أنكر ما أتى به حديث حفظ القرآن اهـ.

والحديث رواه الترمذي وحسنه والحاكم وقال: على شرط الشيخين

فتبين من هذا أن قول الحافظ الذهبي وأنكر ما عنده هذا الحديث ليس تضعيفاً للحديث ولا تجريحاً للراوي وكيف يكون هذا وقد قال متعقباً على أبي حاتم والعقيلي:

قلت: هو صالح الحديث روى عنه أحمد وقال ابن عدي: لا بأس به. الميزان (٤/ ٢٢٥، ٢٢٦).

الاختلاف في الراوي
هل هو عبيد الله أو عبد الله؟

أما اختلافهم فيمن روى عنه أهو عبيد الله العمري الثقة أو عبد الله العمري الضعيف فلا حجّة في التمسك بأحدهما لأن الرواية وردت عن كل منهما، ففي رواية الطبراني ومن رواه من طريقه والعقيلي عن عبيد الله المصغر الثقة.

وفي رواية الدولابي وابن عدي عبد الله العمري المكبر ومع هذا فلو افترضنا أنه المكبر فإنه ليس بضعيف، وتضعيف ابن حجر له ليس بصواب قال الذهبي في السير: هو الإمام المحدّث الصدوق أبو عبد الرحمن القرشي العدوي العمري المدني ولد في أيام سهل بن سعد وأنس بن مالك وحدّث عن نافع وسعيد المقبري وكان عالماً عاملاً خيراً حسن الحديث اهـ.

وقال الدارمي: قلت لابن معين: كيف حاله في نافع؟ فقال: صالح ثقة.

وقال الإمام أحمد: صالح لا بأس به، وقال ابن أبي مريم عن ابن معين: لا بأس به، وأقل ما يقال في هذا الحديث: إنه حسن، وقد قال الحافظ السيوطي في المناهل (٢٠٨): له طرق وشواهد حسّنه لأجلها الذهبي، وقال الحافظ المناوي في الفيض (٦/ ١٤٠) قال الذهبي: طرقه ليّنة لكن يقوّي بعضها بعضاً، ونقل أيضاً الخفاجي بل ذكر أن الذهبي حسنه كذا في شرح الشفا (٣/ ٥١١) ومما يدل على هذا ذكر الأئمّة له في الفضائل وعدم إدخاله في الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة، ومما ذكره في الفضائل والمناسك الحافظ الضياء المقدسي في فضائل الأعمال في فضل زيارة قبر المصطفى ﷺ (٤١٣، ٤١٤) والإمام الحافظ أبو عبد الله الحليمي في الشعب (٢/ ١٣٠) والإمام الرافعي في المناسك (٢/ ٢٦٧ التلخيص الحبير) والإمام النووي في المناسك في كتاب الإيضاح (٤٨٩) وابن الملقن في تحفة المحتاج (٢/ ١٨٩).

«من جاءني زائراً لا يهمّه إلّا زيارتي كان حقاً عليَّ أن أكون له شفيعاً».

رواه الحافظ ابن عساكر في تاريخه (٢/ ٤٠٦) والطبراني في الكبير (١٢/ ٢٩١) رقم ١٣١٤٩، والدارقطني في سننه على ما حكاه الحافظ الذهبي فرواه من طريقه في الميزان (٤/ ١٠٤).

قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٢) فيه مسلم بن سالم الجهني وهو ضعيف اهـ، والكلام عليه من وجوه:

الأول: أن مسلم بن سالم هذا وقد يقال فيه أيضاً: مسلمة بن سالم لم يجرحه سوى أبي داود السجستاني فجرحه جرحاً غير مفسر فقال: ليس بثقة والمتبع عند علماء هذا الشأن أن الجرح غير مفسر ليس مقبولاً.

الثاني: أن مسلمة بن سالم هذا معروف حتى قال الحافظ الذهبي: ما أبعد أن يكون هو إمام مسجد بني حرام اهـ.

الثالث: أن أقلّ أحواله أن يكون مستوراً لأن سكوت أبي حاتم إن لم يكن تعديلاً ضمنياً فهو ستر للراوي كما مشى عليه الحافظ ابن كثير في تفسيره والحافظ ابن حجر في تعجيل المنفعة والمقدمة كما سترى.

الرابع: أنه لو كان كلام أبي داود تضعيفاً له لذكره ابن عدي في الكامل لأنه قد شرط في مقدمته أن يذكر كل من تكلم فيه فلم يورده.

الخامس: أنه لم يذكره أحد في الضعفاء لا العقيلي ولا النسائي ولا حتى ابن الجوزي الذي أسرف في التضعيف حتى عابه الحافظ الذهبي، لكن ذكره الحافظ الذهبي في المغني تبعاً لذكره إياه في الميزان ولم يزد شيئاً على قول أبي داود.

قال الحافظ ابن كثير في التفسير (١/ ١٣٩) عند سرد روايات هاروت وماروت من طريق موسى بن جبير عن نافع عن ابن عمر مرفوعاً قال: وهذا إسناد رجاله كلهم ثقات من رجال الصحيحين إلّا موسى بن جبير ذكره ابن أبي حاتم في كتابه الجرح والتعديل ولم يحك فيه شيئاً من هذا ولا هذا فهو مستور الحال اهـ.

قلت: ولا يخفى على الحافظ ابن كثير أن ابن حبان جرحه فقال: كان يخطئ ويخالف، وقال ابن القطان: لا يعرف حاله اهـ، ومع هذا قال الحافظ ابن كثير: إنه مستور، وقال الحافظ في تعجيل المنفعة في ترجمة إبراهيم بن

الحسن قال: ذكره الذهبي في الضعفاء ولم يذكر لجرحه مستنداً وذكره ابن أبي حاتم فلم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً اهـ.

وقال في سويد بن الحارث عن الحسيني: مجهول لا يعرف وتعقبه فقال: هذه مبالغة وقد ذكره البخاري ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً وتبعه ابن أبي حاتم وقال في المقدمة في ترجمة الحسن بن مدرك السدوسي مدافعاً وقد اتهمه أبو داود بالكذب قال: وكيف يكون كاذباً وقد كتب عنه أبو زرعة وأبو حاتم ولم يذكرا فيه جرحاً وهما من هما في النقد اهـ.

فهذا ردّ على تجريح أبي داود وهو الشاهد الأول في كلامنا ودليل على أن سكوت أبي حاتم إن لم يكن تعديلاً فأقل الأحوال أن يكون ستراً للراوي وهو الشاهد الثاني في كلامنا والله أعلم، فثبت بذلك أن الحديث أقل أحواله أنه حسن بل قد صحّحه الحافظ البوصيري فيما حكاه الإمام المحدّث حبيب الرحمن في حاشيته على المطالب (١/ ٣٧١) عند الكلام على حديث: «**من زار قبري كنت له شهيداً**» الحديث، قال: قال الحافظ البوصيري: رواه الطيالسي بسند ضعيف لجهالة التابعي لكن له شاهد عند أبي يعلى والطبراني بسند صحيح اهـ والمقصود به هذا الحديث، والله أعلم.

مشروعية شدّ الرّحل للزيارة

لا ينكر أحد من أهل السنة والجماعة مشروعية زيارة رسول الله ﷺ، بقيت مسألة شدّ الرّحل لأجل الزيارة خاصة وهذه المسألة سنذكر فيها كلام جملة كبيرة من الأئمّة الأعلام ومشايخ الإسلام رضي الله تعالى عنهم، وفي الحقيقة هذه المسألة لا تستحق من المخالف كل هذه الهجمة النكراء والحملة الشديدة الشعواء وكأن القضية فيها إنكار الألوهية أو الربوبية أو الأسماء والصفات، أو إنكار النبوة وجحد الكرامات سبحانك هذا بهتان عظيم فلا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم.

ولا أدري ما هو الذي يترتب على القول بشدّ الرّحل لزيارة قبر نبيّنا وسيدنا محمد ﷺ من المفاسد والشرور وعظائم الأمور؟ وما هي صلة هذه المسألة بالشرك والكفر والإخراج عن دائرة الإيمان؟ فقد كنا نسمع من المخالف قبل سنوات عديدة القول: بأن شدّ الرّحل لزيارة الرسول ﷺ شرك، ثم هان الأمر وخفّ الخطب وصار شدّ الرّحل بدعة، ثم خفّ أكثر وصارت العبارة

أهون وألين وأرق وأشفق فصاروا يقولون إن شدّ الرّحل ليس بمشروع فالحمد لله الذي فتح البصائر قليلاً قليلاً لإدراك الحقائق وملاحظة المذاهب.

شد الرّحل إليه ﷺ

الزيارة تستدعي سفراً وتستلزم رحيلاً، إذ إنها عبارة عن انتقال من الزائر للمزور وذلك الانتقال يقتضي سفراً ويتطلّب مجيئاً، ولا يتصور انتقال بدون سفر ولا يتحقق مجيء بغيره، كما لا يمكن أن تكون هجرة بدون انتقال ولا تتأتى رحلة بدون ارتحال. وهي خير ما يتقرّب به المحبّون ويسعى المخلصون الصادقون لأنها من أعظم ما يتقرّب به الإنسان إلى الله ورسوله فكل ما يترتب عليها قربة، وجميع ما تستدعيه مستلزماتها قربة كذلك ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٣٥ و٤٠].

وقد صحّ خروجه ﷺ لأصحابه بالبقيع وأحد تقديراً ووفاء منه لأصحابه الكرام، ومن أوفى منه ﷺ، فمن قيامه بهذه الزيارة تتحدث مشروعيتها وينطق استحبابها، وإذا كان ذلك التقدير لها واضحاً وثابتاً والاستحباب قائماً فمشروعيتها له ﷺ أروع تحققاً وأعظم ثبوتاً وأجلّ تقديراً من مشروعيتها لغيره للفارق العظيم بين المقامات والبعد البالغ بين الدرجات، والقاعدة المتّفق عليها بين العلماء أن وسيلة القربة المتّفق عليها قربة كذلك أي من جهة إيصالها لها.

وقد احتجّ الإمام النووي أيضاً والبيهقي على مشروعية السفر للزيارة النبويّة بحديث: «**ما من أحد يسلّم عليّ إلّا ردّ الله عليّ روحي حتى أردّ عليه السلام**». رواه أبو داود بإسناد صحيح.

قال الإمام الشيخ محمد الفقي المصري الصوفي السلفي: ووجه الاستدلال بهذا الحديث: أن الأمة يسوقها شوقها ويدفعها حبها لزيارة رسولها ومصدر سعادتها في الحياتين، إذا ما علمت أنه ﷺ يشهدها إذا تشرفت بزيارته ويراها إذا وقفت بين يديه تحمّلت في سبيل ذلك كل ما يعترضها من عقبات ويصادفها من صعوبات وتلاقيه من مشاق في السفر، ووعثاء الانتقال طلباً للحظوة به ﷺ والتماساً للرضى وبلوغ المنى وقضاء الحوائج وغفران الذنوب، وفضلاً عن هذا وذلك فإن في ردّ السلام على أمته بلا واسطة شرفاً أي شرف ونعمة كبرى إنما يسعى في تحصيلها المسلمون ويتبارى المحبون، ويهرع للفوز بها الزائرون ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

وتحقيق معنى قوله ﷺ: «**رد الله عليَّ روحي**» أنه لا يسلّم عليه أحد من قاصديه إلّا في حال كون روحه الطاهرة مردودة إليه، وهي لا تفارقه أبداً لأن أرواح الأنبياء لا تفارقهم بعد موتهم فهي مردودة إليهم ولا تخرج عن أجسادهم التي لا تبلى، ويستحيل أن يتطرّق إليها البلى لأن الله حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، أما عدم مفارقة الروح للجسد فثابت ولكن على غير الصورة التي يعهدها الناس ويألفونها في هذه الحياة فهم أحياء عند ربهم، وقد أثبت القرآن هذه الحياة لمن هم دونهم وأقلّ شأناً منهم بدرجات لا تحصى من الصديقين والشهداء، ففي نصّ التنزيل عن حياة الشهداء قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] وإذا ثبت حياة الشهداء بذلك فثبوت حياة الأنبياء والمرسلين من باب أولى وذلك مسلّم به منطقاً وعقلاً وإن شوهدت أجسادهم في قبورهم خالية منها عارية عنها، مثلهم في ذلك مثل النائم يغطّ في نومه وهو يشاهد عجائب في الملكوت، ويكتسب أسراراً ينتفع بها ويحدثك عنها بعد يقظته من نومه، وكذلك نرى اثنين في فراش واحد فبينما نجد أحدهما يقضي وقت نومه في نعمة ولذة وسرور نجد الآخر يقضي ذلك الوقت في ألوان من القلق والضيق وشدة الفزع والألم، ويتمنى أن لو فارق هذه المضايقات يخبران بذلك ويحدث كل منهما بما كان فيه متى استيقظا من نومهما وانتبها من منامهما.

ومعلوم أنه لا يخلو وقت من الأوقات ولا تمر لحظة من اللحظات إلّا وكثير من أمته ﷺ يصلون ويسلمون عليه في صلواتهم وغيرها، ويصله علم ذلك بواسطة الملك الذي يبلغه صلاة أمته وسلامها عليه ﷺ فيدعو لمن يصلي عليه ويردّ السلام على من يسلم عليه منهم ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[1] [قٓ: ٣٧]

شد الرّحل إلى مسجده ﷺ:

وكذلك يشرع شدّ الرّحل إلى مسجده ﷺ الذي ما شرف وعظم إلّا بإضافته إليه ولكون قبر سيد المرسلين فيه... ولهذا يقول ﷺ كما جاء في الحديث الصحيح: «**لا تشدّ الرّحال إلّا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى**» وتدبر قوله: «**مسجدي**» ولم يقل: مسجد المدينة ليظهر

(١) انتهى من كتاب التوسل والزّيارة للشّيخ محمّد الفقي مختصراً مهذباً.

لك جلياً أن المسجد إنما شرف بنسبته إلى رسول الله ﷺ، والحديث صريح في فضل السفر إلى مسجد الرسول ﷺ والصلاة فيه والتبرّك بروضته المطهرة بالصلاة فيها والدعاء وقراءة القرآن والذكر لله سبحانه وتعالى وليس في الحديث صلة بالنهي عن شدّ الرّحال لزيارة القبر كما قد يتبادر إلى بعض العقول القاصرة عن الخوض في المعاني.

سفر بلال للزيارة النبويّة وأذانه بالمدينة المنوّرة

روى ابن عساكر بسند جيد عن أبي الدرداء رضي الله عنه قصة نزول بلال بن رباح بداريا بعد فتح عمر رضي الله عنه بيت المقدس قال: ثم إن بلالاً رأى النبيّ ﷺ وهو يقول له: «**ما هذه الجفوة يا بلال؟ أما آن لك أن تزورني؟ فانتبه حزيناً خائفاً، فركب راحلته وقصد المدينة فأتى قبر رسول الله ﷺ فجعل يبكي عنده ومرّغ وجهه عليه، فأقبل الحسن والحسين فجعل يضمهما ويقبلهما، فقالا: نشتهي نسمع أذانك الذي كنت تؤذن به لرسول الله ﷺ في المسجد، فعلا سطح المسجد ووقف موقفه الذي كان يقف فيه فلما أن قال: الله أكبر ارتجّت المدينة فلما قال: أشهد أن لا إله إلّا الله ازدادت رجّتها، فلما قال: أشهد أن محمداً رسول الله، خرجت العواتق من خدورهن وقالوا: بعث رسول الله ﷺ فما رُئي يوم أكثر باكياً ولا باكية بالمدينة بعد رسول الله ﷺ من ذلك اليوم**».

قال الحافظ تقي الدّين علي بن عبد الكافي السبكي في كتابه «شفاء السقام في زيارة خير الأنام» ص٥٢:

الباب الثالث فيما ورد في السفر إلى زيارته ﷺ، وممن روي ذلك عنه من الصحابة بلال بن رباح مؤذن رسول الله ﷺ سافر من الشام إلى المدينة لزيارة قبره ﷺ روينا ذلك بإسناد جيد إليه وهو نصّ في الباب وممن ذكره الحافظ أبو القاسم ابن عساكر رحمه الله بالإسناد الذي سنذكره، وذكره الحافظ أبو محمد عبد الغني المقدسي رحمه الله في الكمال في ترجمة بلال فقال: ولم يؤذن لأحد بعد النبيّ ﷺ فيما روي إلّا مرة واحدة في قدمة قدمها المدينة لزيارة قبر النبيّ ﷺ طلب إليه الصحابة ذلك فأذن ولم يتم الأذان وقيل: إنه أذن لأبي بكر الصديق رضي الله عنه في خلافته، وممن ذكر ذلك أيضاً الحافظ أبو الحجاج المزي، ثم قال السبكي: وليس اعتمادنا في الاستدلال بهذا الخبر على رؤيا

المنام فقط بل على فعل بلال وهو صحابي لا سيما في خلافة عمر رضي الله عنه والصحابة متوافرون ولا يخفى عنهم هذه القصة، ومنام بلال ورؤياه للنبيّ ﷺ الذي لا يتمثل به الشيطان وليس فيه ما يخالف ما ثبت في اليقظة فيتأكد به فعل الصحابي.

التحذير من ترك زيارته ﷺ مع استطاعة ذلك

قال العلامة ابن حجر في ذلك: واعلم أنه ﷺ حذّرك من ترك زيارته أتم التحذير وأرشدك إليها بأبلغ بيان وأوضح تقرير، وبين لك من آفاتها ما إن تأملته خشيت على نفسك القطيعة والعواقب حيث ورد: «**من حجّ ولم يزرني فقد جفاني**» فتبين لك أن في ترك زيارته ﷺ جفاء، وفي البدر المنير: «**من لم يزرني فقد جفاني**» رواه بمعناه ابن السني ومرّ أن معناه: ترك البر والصلة أو غلظ الطبع والبعد عن السخاء، ولابن عدي في الكامل والدارقطني في غرائب مالك عن ابن عمر مرفوعاً: «**من حجّ البيت ولم يزرني فقد جفاني**» قال ابن عدي: لا أعلم من رواه عن مالك غير النعمان بن شبل ولم أر في أحاديثه حديثاً غريباً قد جاوز الحدّ فأذكره.

وليحيى بن الحسين من طريق النعمان بن شبل قال: حدثنا محمد بن الفضل المديني عن جابر عن محمد بن علي عن علي كرم الله وجهه ورضي عنه مرفوعاً: «**من زار قبري بعد موتي فكأنما زارني في حياتي ومن لم يزرني فقد جفاني**» قوله: المديني يقتضي أنه غير محمد بن الفضل بن عطية الذي كذبوه لأن ذاك كوفي نزل بخارى وجابر يحتمل أنه الجعفي وغيره، ومحمد بن علي إن كان ابن الحنفية فقد أدرك أباه علياً وإن كان الباقر فهو منقطع، ورواه ابن عساكر من غير هذا الطريق من غير تصريح بالرفع عن علي، ومرّ أن ذكر حجّ ليس قيداً فلا مفهوم له ويؤيد ذلك أنه ﷺ جعل في عدم الصلاة عليه ﷺ عند سماع ذكره الجفاء أيضاً فقد صح عن قتادة مرسلاً أنه ﷺ قال: «**من الجفاء أن أذكر عند رجل فلا يصلي عليّ**» وبه يعلم أن بين ترك الزيارة مع القدرة عليها وترك الصلاة عليه ﷺ عند سماع ذكره الشريف استواء في الجفاء بمعناه الأول بل والثاني فيخشى حينئذٍ على تارك زيارته أن يحصل له من العقوبات والقبائح نظير ما ورد في ترك الصلاة عليه ﷺ عند سماع ذكره أو مطلقاً يكون موصوفاً بأوصاف قبيحة شنيعة ككونه شقياً وكونه راغم الأنف وكونه مستحقاً دخول النار وكونه بعيداً من الله

ورسوله وكونه مدعواً عليه من جبريل ومن نبيّنا ﷺ بجميع هذه العقوبات وبالسحق وكونه قد أخطأ طريق الجنة وكونه موصوفاً بأنه البخيل كل البخل وكونه لا دين له وكونه لا يرى وجه نبيّه ﷺ وذلك لما صح عنه ﷺ أنه قال: «**احضروا المنبر**» فحضروا فلما ارتقى ﷺ درجة قال: «**آمين**» ثم ارتقى الثانية قال: «**آمين**» ثم ارتقى الثالثة قال: «**آمين**»، فلما نزل ﷺ قلنا: يا رسول الله! قد سمعنا منك اليوم شيئاً ما كنا نسمعه، فقال ﷺ: «**إن جبريل عرض لي فقال: بعُدَ عن الخير ـ أي هلك ـ من أدرك رمضان فلم يغفر له قلت: آمين، فلما رقيت الثانية قال: بعُد من ذكرت عنده فلم يصل عليك قلت: آمين، فلما رقيت الثالثة قال: بعُد من أدرك أبويه الكبر عنده أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة قلت: آمين**»، وفي رواية صحّحها ابن حبان: «**ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك فأبعده الله قل آمين فقلت: آمين**» وفي أخرى سندها حسن «**ورغم أنف من ذكرت عنده فلم يصل عليك قلت: آمين**» وفي أخرى «**وأرغم الله أنف رجل إلخ**».

قوله (بعد) بالضم وحكي الكسر أي هلك، وقوله: (رغم) بكسر ثانيه المعجم وفتحه أي أرغم الله أنفه أي ألصقه بالرغام وهو التراب هذا هو الأصل ثم استعمل بالذل والعجز، وفي رواية سندها حسن: «**شقي عبد ذكرت عنده فلم يصل عليك فقلت: آمين**» وفي أخرى عند البيهقي «**فلما صعدت العتبة الثالثة أي وكان المنبر إذ ذاك ثلاث درج قال يعني جبريل عليه السلام: يا محمد! قلت: لبيك وسعديك قال: من ذكرت عنده فلم يصل عليك فمات ولم يغفر له فدخل النار فأبعده الله، قل آمين فقلت: آمين**» وفي أخرى فقال: «**إن من ذكرت عنده فلم يصل عليك دخل النار فأبعده الله وأسحقه فقلت: آمين**»، وفي أخرى «**من ذكرت عنده فلم يصل عليك فأبعده الله ثم أبعده فقلت: آمين**».

وروى الدّيلمي: «**أنه من ذكرت عنده فلم يصلّ دخل النار**»، وجاء عنه ﷺ بسند حسن متصل أنه ﷺ قال: «**من ذكرت عنده فنسي الصلاة عليَّ أخطأ الجنة**» ونسي إما بمعنى ترك عمداً على حد ﴿كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾ [طه: ١٢٦] أو على بابها، ويحمل على أنه لما سمع بذكره ﷺ تشاغل حتى نسي ومحل عدم تكليف الناسي ما لم ينشأ النسيان من تلاهيه وتقصيره وإلّا أثم كالعامد كما قالوه فيمن لعب الشطرنج فنسي الصلاة حتى أخرجها عن وقتها، وجاء عنه ﷺ بسند حسن أو صحيح، أنه قال: «**البخيل كل البخل من ذكرت عنده فلم يصل عليَّ**». وروى أبو نعيم في الحلية في قصة الغزالة المشهورة أنها قالت للنبيّ ﷺ: مُر

هذا أن يخليني، حتى أرضع أولادي وأعود قال: إن لم تعودي قالت: إن لم أعد فلعنني الله كمن تذكر بين يديه فلا يصلي عليك. وأخرج أبو سعيد من جملة حديث: «**ألأم الناس من إذا ذكرت عنده فلم يصل عليّ**». وجاء عنه ﷺ بسند فيه من لم يسمّ: «**من لم يصل عليَّ فلا دين له**». ورُوي مرفوعاً «**لا يرى وجهي ثلاثة أنفس العاق لوالديه والتارك لسنتي ومن لم يصل إذا ذكرت بين يديه**» فصلى الله عليه وسلم صلاة وتسليماً يليقان بجنابه وعظيم قدره وآله وصحبه.

فقد علم مما مر أن بين ترك الصلاة وترك زيارته ﷺ مع القدرة عليها تساوياً في أن كلاً منهما جفاء له ﷺ كما نص عليه، وأن جميع هذه الأوصاف القبيحة الشنيعة التي ثبتت لتارك الصلاة عليه ﷺ عند سماع ذكره المبارك يخشى أن يثبت نظيرها لتارك الزيارة كما تقدم فاستحضر ذلك واحفظه وأخبر به من تهاون في ترك الزيارة مع قدرته عليها لعله يكون حاملاً له على التنصّل من هذه القبائح والرجوع إلى الله سبحانه وتعالى بتركه جفاء نبيّه الذي هو وسيلته ووسيلة سائر الخلق إلى ربهم.

قال العلامة الشيخ أحمد الحضراوي في نفحات الرضا والقبول لزيارة الرسول ﷺ: قال شيخنا المفتي جمال المكي رحمه الله: ولقد شاهدنا كثيرين تركوا الزيارة مع القدرة عليها فأورثهم الله عزّ وجلّ بذلك ظلمة محسوسة ظهرت على وجوههم وفترة عن الخيرات قطعتهم عن عبادة الله سبحانه وتعالى وشغلتهم بالدنيا إلى أن ماتوا على ذلك وكثيرين غلبت عليهم مظالم الناس إلى أن منعوا منها قهراً.

تنبيه:

مرّ في خبر: «**من حجّ ولم يزرني فقد جفاني**» إنما هو لبيان الأولى لأن ترك الزيارة ممن حجّ وقد قرب من المدينة الشريفة أقبح من تركها ممن لم يحج، ويسن لكل حاج إذا انصرف من حجه مكياً أو غيره أن يزور عقب كل حجّ وإن الزيارة تتأكد له حينئذٍ، ولا ينافي هذا ما تقدم أولاً بل يحمل هذا على الأفضل وتركه لا جفاء فيه بخلاف ترك السنة التي هي الزيارة مثلاً من أصلها فإنه جفاء، والحاصل أن تكرار الزيارة بتكرار الحج هو الأفضل وأن من لم يكررها بتكريره بأن وجدت منه ولو مرة لا يطلق عليه أنه وجد منه جفاء إلّا إن قيل إنه يطلق على ترك الأفضل تجوزاً لما مر في معناه. أما من ترك تكرّرها لمعارضة ما هو أهم منها كإفادة علم واستفادته أو جرى على عيال لا يجدون من يقوم عليهم

غيره مثلاً فلا جفاء هنا بترك تكررها بتكرر الحج لا حقيقة ولا مجازاً فتأمل ذلك فإنه مهم انتهى كلامه.

قال الفاضل ابن حجر رحمه الله: ولقد رأيت أكثر العوام إذا عاد حاجاً ولم يزر النبيّ ﷺ يعدون أن ذلك نقص وأي نقص وعار وأي عار ويسلخون عنه اسم الحاج الذي هو أشرف الأوصاف عندهم ويصير ذلك مثلة فيهم إلى أن يموت بل وفي أولاده بعد موته، ولقد اشتد من تعييرهم وتنقيصهم لمن رجع من غير زيارة ما ألجأه إلى الانقطاع في بيته وعدم الاجتماع بأحد إلى أن خرج مع الحجاج في العام الثاني فحجّ وزار ورجع إلى بلده فرحاً مسروراً بزوال تلك الوصمة الشنيعة عنه، فتأمل ذلك من العوام تجد أن عظمته ﷺ وعظمة زيارته وقرت في قلوبهم واستحكمت في طباعهم وكذا تجدهم غير مستقيمين في معاملتهم ثم يكثرون الزيارة ويؤثرون لأجلها الخروج عن أراضيهم ودورهم ومعايش أموالهم وأمتعتهم حتى أنهم يتداينون الدّيون البليغة مع حسن ظنهم ويوفي الله سبحانه وتعالى عنهم وإذا رأيت القوافل حين تخرج من مكة بالزوار أو الركوب في أوائل كل رجب تجد الأنوار النبويّة على وجوههم ولهم بهاء ولهم حنين إلى زيارته ﷺ حتى أن الإنسان يسخى بنفسه وبأهله في مفارقتهم وزيارة نبيّه ﷺ، فالرجاء من الله الكريم غافر الذنب وقابل التوب أن يمحص بوائقنا وبوائقهم ويمحو فرطاتنا وفرطاتهم ويغفر زلّاتنا وزلّاتهم ومن نبيّه الرؤوف الرحيم الذي عمت رأفته للحاضر والبادي أن يشفع لنا ولهم إلى ربنا في تطهير الجميع من المخالفات ويوفقنا إلى إصلاح الأعمال مع إرسال العبرات أسفاً على ما فات إلى الممات يسر الله تعالى لنا ذلك ووفقنا لأفضل المساعي وأشرف المسالك إنه أكرم كريم وأرحم رحيم وصلّى الله على سيدنا محمد كلّما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون آمين.

الزيارة النبويّة والتوحيد الخالص

الزيارة النبويّة في الحقيقة توحيد خالص وإيمان صادق لا يشوبه شرك ولا شبهة شرك ولا ذرّة من شرك وذلك لأنها إقرار لصاحب الرسالة محمد بن عبد الله بعظيم الفضل وكمال الإحسان وتمام المنّة والمعروف وغاية الرتبة في الشرف والعبودية المحضة الصادقة وهذا هو عين التوحيد، وأما تخيل بعض المحرومين أن منع الزيارة أو السفر إليها من باب المحافظة على التوحيد وأن ذلك مما يؤدي إلى الشرك فهو تخيل باطل دلّ على غباوة متخيّله وخبالته لأن

المؤدى لذلك هو اتخاذ القبور مساجد والعكوف عليها وتصوير الصور فيها كما ورد في الأحاديث الصحيحة بخلاف الزيارة والسلام والدعاء والتبرك وكل عاقل يعلم الفرق بينهما ويتحقق أن النوع الإنساني إذا فعل ذلك مع المحافظة على آداب الشريعة الغرّاء لا يؤدي إلى محذور البتة وأن القائل بمنع ذلك جملة سداً للذريعة متقول على الله سبحانه وتعالى وعلى رسوله ﷺ، وهنا أمران لا بد منهما أحدهما: وجوب تعظيم النبيّ ﷺ ورفع رتبته عن سائر الخلق، الثاني: إفراد الربوبية واعتقاد أن الرب تبارك وتعالى منفرد بذاته وصفاته وأفعاله عن جميع خلقه فمن اعتقد في مخلوق مشاركة الباري سبحانه وتعالى في شيء من ذلك فقد أشرك ومن قصر بالرسول ﷺ عن شيء من مرتبته فقد عصى أو كفر، ومن بالغ في تعظيمه ﷺ بأنواع التعظيم ولم يبلغ به ما يختص بالباري سبحانه وتعالى فقد أصاب الحق وحافظ على جانب الربوبية والرسالة جميعاً وذلك هو القول الذي لا إفراط فيه ولا تفريط، قال الفاضل البوصيري في البردة:

دع ما ادّعته النصارى في نبيّهم ... واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف ... وانسب إلى قدره ما شئت من عظم

فإن فضل رسول الله ليس له ... حدّ فيعرب عنه ناطق بفم

والمعنى يخاطب كل من قصد مدح تلك الحضرة المصطفوية والسدّة المحمدية بالرخصة له في سلوك أي أسلوب أراده من أساليب المدح النبويّ غير ما ادّعته النصارى في عيسى عليه السلام فإنه لا يجوز الإقدام عليه لاستلزامه الشرك بل قل عبد الله ورسوله واحكم بما شئت مدحاً فيه من صفات الكمال ونعوت الجلال وسمات الجمال فإنك ذو رخصة فيه ليس عليك من حرج، بل لو بذلت في ذلك جلّ طاقتك وجهدك وجدت في تحصيله بنفسك لم تحط إلّا بالقليل من معاني كماله ونعوت جماله فإن عظمته ﷺ عظمة قد طاعت لها أعناق الجبابرة، وعلوّ شأنه مرتبة قد خضعت لها جباه القياصرة واركب في طريق الإطراء عليه جادة الأنصار لا النصارى واسلك في الثناء عليه مسلك المهتدين لا الحيارى، وعنه ﷺ: **«لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى وقولوا عبد الله ورسوله»**، كيف وقد مدحه الله في كتابه المجيد وأثنى عليه في آيات الذكر والفرقان العظيم وأمر عباده بالآداب الظاهرة والباطنة في حضرة نبيّه المكرم وجعله هادياً مهدياً وقرن اسمه باسمه وطاعته بطاعته فقال: ﴿مَّن يُطِعِ

ﵟٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖﵞ [النساء: ٨٠]. قال ابن الفارض رحمه الله لما قيل له لم لم تمدح النبيّ ﷺ:

أرى كل مدح في النبيّ مقصّراً ... وإن بالغ المثني عليه وأكثرا
إذ الله أثنى بالذي هو أهله ... عليه فما مقدار ما تمدح الورى

قال القاضي عيّاض في الشفاء:

فصل:

قال الفقيه القاضي رحمه الله: إذا كان خصال الكمال والجلال ما ذكرناه ووجدنا الواحد منا يشرف بواحدة منها اتفقت له في كل عصر إما من نسب أو جمال أو قوة أو علم أو حلم أو شجاعة أو سماحة حتى يعظم قدره وتضرب باسمه الأمثال ويستقر له بالوصف بذلك في القلوب أثره وعظمه وهو منذ عصور خوال رمم بوال فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال إلى ما لا يأخذه عدّ ولا يعبر عنه مقال ولا ينال بكسب ولا حيلة إلّا بتخصيص الكبير المتعال من فضيلة النبوة والرسالة والخلّة والمحبة والاصطفاء والإسراء والرؤية والقرب والدنو والوحي والشفاعة والوسيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود والبراق والمعراج والبعث إلى الأحمر والأسود والصلاة بالأنبياء والشهادة بين الأنبياء والأمم وسيادة ولد آدم ولواء الحمد والبشارة والنذارة والمكانة عند ذي العرش والطاعة ثم والأمانة والهداية والرحمة للعالمين وإعطاء الرضاء والسّول والكوثر وسماع القول وإتمام النعمة والعفو عما تقدم وما تأخر وشرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر وعزّة النصر ونزول السكينة والتأييد بالملائكة وإيتاء الكتاب والحكمة والسبع المثاني والقرآن العظيم وتزكية الأمة والدعاء إلى الله تعالى وصلاة الله والملائكة والحكم بين الناس بما أراه الله ووضع الإصر والأغلال عنهم والقسم باسمه وإجابة دعوته وتكليم الجمادات العجم وإحياء الموتى وإسماع الصم ونبع الماء من الأصابع وتكثير القليل وانشقاق القمر وردّ الشمس وقلب الأعيان والنصر بالرعب والاطلاع على الغيب وتظليل الغمام وتسبيح الحصى وإبراء الآلام والعصمة من الناس إلى ما لا يحويه محتفل ولا يحيط بعلمه إلّا مانحه ذلك ومفضله به لا إله غيره إلى ما أعدّ الله تعالى له في الدار الآخرة من منازل الكرامة ودرجات القدس ومراتب السعادة والحسنى والزيادة التي تقف دونها العقول ويحال دون أدانيها الوهم انتهى.

نسأل الله الكريم أن يمنّ علينا بذرّة من إقباله وبسطة من إفضاله ويبلّغنا الآمال بجاه النبيّ ﷺ والصحب والآل.

نصوص أئمّة السلف من المحدّثين والفقهاء عن حكم زيارة الرسول ﷺ وشدّ الرّحل إليه

الإمـــــام
مالك بن أنس والزيارة النبويّة

إن مواقف مالك إمام دار الهجرة في التوقير والتعظيم والاحترام لمآثر النبيّ ﷺ ومشاهده ومدينته المنوّرة بما فيها من المسجد النبويّ الشريف وسائر الأمكنة الشريفة بل وترابها طفحت بها كتب التراجم فقد اشتهر أنه كان لا يركب بالمدينة ويقول: أستحيي من الله أن أركب في مدينة فيها جثة رسول الله ﷺ، وكان إذا ذكر النبيّ ﷺ عنده تغيّر لونه وانحنى حتى يصعب ذلك على جلسائه إلى غير ذلك من مواقفه المشهورة في ذلك، بل إن الذي ميزه الله تعالى به من هيبته العظيمة في قلوب جلسائه إنما هو لما كان عليه مالك من عظيم التوقير والتقدير للنبيّ ﷺ، وقصة مناظرته أبا جعفر المنصور في رفع الصوت في المسجد النبويّ وأمره له باستقبال رسول الله ﷺ عند الدعاء أمام قبره الشريف وقوله له: إنه وسيلتك ووسيلة أبيك آدم، هذه القصة أشهر من نار على علم.

فمن تحصيل الحاصل إثبات القول بأن مالكاً يرى استحباب الزيارة لقبر النبيّ ﷺ وهو من هو في ربط قلوب الناس بالنبيّ ﷺ وفي الحثّ على التأدّب معه، فكيف يعقل أنه يرى عدم زيارته ﷺ الذي هو عين الجفاء ومخالفة ما عليه المسلمون منذ الصحابة الكرام وخيار التابعين من الحرص على الزيارة لأجل السلام عليه والتبرّك بروضته وملامس يديه ومواطئ قدميه ﷺ.

وقد نسب بعضهم إلى الإمام مالك القول بكراهة الزيارة أو شدّ الرّحل إليها وهذا جهل وسوء فهم وافتراء على مالك وكذب عليه وتقويلُه ما لم يقله، والحق الذي لا شك فيه هو أن مالكاً لم يقل ذلك ولم يقصد ما يقصده من يكره الزيارة، بل الذي قاله مالك هو كما جاء في النصّ الذي نقله أبو الوليد محمد بن رشد في البيان والتحصيل، قال مالك: أكره أن يقال الزيارة لزيارة البيت الحرام، وأكره ما يقول الناس: زُرْتُ النبيّ ﷺ، وأعظم ذلك أن يكون النبيّ ﷺ يزار، قال محمد بن رشد: ما كره مالك هذا والله أعلم إلّا من وجه أن كلمة أعلى من كلمة فلما كانت الزيارة تستعمل في الموتى وقد وقع فيها من

الكراهة ما وقع كره أن يذكر مثل هذه العبارة في النبيّ ﷺ كما كره أن يقال: أيام التشريق واستحب أن يقال: الأيام المعدودات كما قال الله تعالى، وكما كره أن يقال: العتمة ويقال: العشاء الأخيرة ونحو هذا، وكذلك طواف الزيارة كأنه يستحب أن يسمى بالإفاضة كما قال الله تعالى في كتابه: ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ﴾ [البقرة: ١٩٨] فاستحب أن يشتق له الاسم من هذا.

وقيل: إنه كره لفظ الزيارة في الطواف بالبيت والمضي إلى قبر النبيّ ﷺ لأن المضي إلى قبره عليه الصّلاة والسّلام ليس ليصله بذلك ولا ينفعه به، وكذلك الطواف بالبيت وإنما يفعل باديه لما يلزمه من فعله ورغبته في الثواب على ذلك من عند الله عزّ وجلّ وبالله التوفيق، انتهى كلام ابن رشد.

قلت: وقد فسّر القاضي عيّاض كلام مالك هذا بتفسير آخر فقال[1]: والأولى عندي: أن منعه وكراهة مالك له لإضافته إلى قبر النبيّ ﷺ وأنه لو قال: زرنا النبيّ ﷺ لم يكرهه لقوله ﷺ: اللهمّ لا تجعل قبري وثناً يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، فحمى إضافة هذا اللفظ إلى القبر والتشبه بفعل أولئك قطعاً للذريعة وحسماً للباب والله أعلم.

قال السبكي: هذا كلام القاضي وما اختاره يشكل عليه قوله: من زار قبري، فقد أضاف الزيارة إلى القبر إلّا أن يكون هذا الحديث لم يبلغ مالكاً فحينئذٍ يحسن ما قاله القاضي في الاعتذار عنه لا في إثبات هذا الحكم في نفس الأمر ولعله يقول: إن ذلك من قول النبيّ ﷺ لا محذور فيه والمحذور إنما هو في قول غيره.

تحليل ثالث: وقد قال عبد الحق الصقلي عن أبي عمران المالكي: أنه قال: إنما كره مالك أن يقال: زرنا قبر النبيّ ﷺ لأن الزيارة من شاء فعلها ومن شاء تركها وزيارة قبر النبيّ ﷺ واجبة، قال عبد الحق: يعني من السنن الواجبة، ينبغي أن لا تذكر الزيارة فيه كما تذكر في زيارة الأحياء الذين من شاء زارهم ومن شاء ترك، والنبيّ ﷺ أشرف وأعلى من أن يسمى أنه يزار. اهـ.

[شفاء السقام للسبكي ص٧٥]

(١) الشفا للقاضي عيّاض الفصل التّاسع حكم زيارة قبره ﷺ.

الإمام القاضي عيّاض والزيارة النبويّة

قال الإمام الحافظ القاضي أبو الفضل عيّاض بن موسى في كتابه (الشفا): وزيارة قبره ﷺ سنة من سنن المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغب فيها.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبيّ ﷺ: «**من زار قبري وجبت له شفاعتي**».

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**من زارني في المدينة محتسباً كان في جواري، وكنت له شفيعاً يوم القيامة**».

وفي حديث آخر: «**من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي**» وكره مالك أن يقال: زرنا قبر النبيّ ﷺ.

وقد اختلف في معنى ذلك فقيل: كراهية الاسم لما ورد من قوله ﷺ: «**لعن الله زوّارات القبور**».

وهذا يردّه قوله: «**نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها**».

وقوله: «**من زار قبري**»... فقد أطلق اسم الزيارة.

وقيل: لأن ذلك لما قيل: إن الزائر أفضل من المزور وهذا أيضاً ليس بشيء إذ ليس كل زائر بهذه الصفة، وليس هذا عموماً.

وقد ورد في حديث أهل الجنة زيارتهم لربهم ولم يمنع هذا اللفظ في حقه تعالى.

وقال أبو عمران رحمه الله: إنما كره مالك أن يقال: طواف الزيارة، وزرنا قبر النبيّ ﷺ لاستعمال الناس ذلك بينهم بعضهم لبعض وكره تسوية النبيّ ﷺ مع الناس بهذا اللفظ وأحب أن يُخصّ بأن يقال: سلّمنا على النبيّ ﷺ.

وأيضاً: فإن الزيارة مباحة بين الناس، وواجب شدّ المطي إلى قبره ﷺ، يريد بالوجوب هنا وجوب ندب وترغيب وتأكيد لا وجوب فرض.

والأولى والذي عندي أن منعه وكراهة مالك لإضافته لقبر النبيّ ﷺ وأنه لو قال: زرنا النبيّ ﷺ لم يكرهه، لقوله ﷺ: «**اللهمّ لا تجعل قبري وثناً يعبد بعدي، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**».

فحمى إضافة هذا اللفظ إلى القبر، والتشبه بفعل أولئك قطعاً للذريعة وحسماً للباب، والله أعلم.

قال إسحاق بن إبراهيم الفقيه: ومما لم يزل من شأن من حجّ المرور بالمدينة والقصد إلى الصلاة في مسجد رسول الله ﷺ والتبرك برؤية روضته ومنبره وقبره، ومجلسه، وملامس يديه، ومواطئ قدميه والعمود الذي كان يستند إليه، وينزل جبريل بالوحي فيه عليه وبمن عمره وقصده من الصحابة وأئمّة المسلمين والاعتبار بذلك كله.

وقال ابن أبي فديك: سمعت بعض من أدركتُ يقول: بلغنا أنه من وقف عند قبر النبيّ ﷺ فتلا هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦] ثم قال: صلّى الله عليك يا محمد من يقولها سبعين مرة ناداه ملك: صلّى الله عليك يا فلان، ولم تسقط له حاجة.

وعن يزيد بن سعيد المهري: قدمت على عمر بن عبد العزيز فلما ودّعته قال: لي إليك حاجة... إذا أتيت المدينة سترى قبر النبيّ ﷺ فأقرئه مني السلام.

قال غيره: وكان يبرد إليه البريد من الشام.

قال بعضهم: رأيت أنس بن مالك أتى قبر النبيّ ﷺ فوقف فرفع يديه حتى ظننت أنه افتتح الصلاة فسلم على النبيّ ﷺ ثم انصرف.

قال مالك في رواية ابن وهب: إذا سلم على النبيّ ﷺ ودعا يقف ووجهه إلى القبر لا إلى القبلة ويدنو ويسلم ولا يمس القبر بيده. وقال في المبسوط: لا أرى أن يقف عند قبر النبيّ ﷺ يدعو ولكن يسلم ويمضي.

وقال نافع: كان ابن عمر يسلم على القبر... رأيته مائة مرة وأكثر يجيء إلى القبر فيقول: السلام على النبيّ ﷺ، السلام على أبي بكر، السلام على أبي، ثم ينصرف.

ورُئي ابن عمر واضعاً يده على مقعد النبيّ ﷺ من المنبر ثم وضعها على وجهه.

أقوال الأئمّة المالكية من الفقهاء والمحدّثين

جاء في كتاب تهذيب المطالب لعبد الحق الصقلي عن الشيخ أبي عمران المالكي: أن زيارة قبر النبيّ ﷺ واجبة، قال عبد الحق: يعني من السنن الواجبة، وقال عبد الحق أيضاً في هذا الكتاب: رأيت في بعض المسائل التي سئل عنها الشيخ أبو محمد بن أبي زيد قيل له في رجل استؤجر بمال ليحجّ به

وشرطوا عليه الزيارة لم يستطع تلك السنة أن يزور لعذر منعه من تلك، قال: يردّ من الأجرة بقدر مسافة الزيارة قال الحاكي عنه ذلك.

وقال غيره من شيوخنا: عليه أن يرجع نائبه حتى يزور، قال عبد الحق: انظر إن استؤجر للحج لسنة بعينها فهاهنا يسقط من الأجرة ما يخص الزيارة وإن استؤجر على حجّة مضمونة في ذمته فهاهنا يرجع ويزور، وقد اتفق النقلان، وعبد الحق هذا هو عبد الحق بن محمد بن هارون السهمي القروي الصقلي تفقه بشيوخ القيروان وتفقه بالصقليين أيضاً منهم أبو عمران وغيره وحجّ ولقي عبد الوهاب رحمه الله، وحجّ ثانياً فلقي إمام الحرمين فباحثه في أشياء وسأله عن مسائل أجابه عنها وكان مليح التأليف ألَّف كتباً كثيرة في مذهب مالك توفي بالإسكندرية سنة ست وستين وأربعمائة، وهذا الفرع الذي ذكره في الاستئجار على الزيارة فرع حسن.

وفي كتاب النوادر لابن أبي زيد بعد أن حكى في زيارة القبور من كلام ابن حبيب وعن المجموعة عن مالك قال: يأتي قبور الشهداء بأحد ويسلم عليهم كما يسلم على قبره ﷺ وعلى ضجيعيه، وفيه أيضاً من كلام ابن حبيب: ويدل على التسليم على أهل القبور ما جاء من السنة في التسليم على النبيّ ﷺ وأبي بكر وعمر مقبورين.

وقال أبو الوليد محمد بن رشد المالكي في شرح العتبية المسمى بكتاب البيان والتحصيل في كتاب الجامع في سلام الذي يمر بقبر النبيّ ﷺ: وسئل عن المار بقبر النبيّ ﷺ أترى أن يسلم كلما مرَّ؟ قال: نعم، أرى ذلك عليه أن يسلم عليه إذا مر به، وقد أكثر الناس من ذلك فأما إذا لم يمر به فلا أرى ذلك قال رسول الله ﷺ: «**اللهمّ لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» فقد أكثر الناس من هذا فإذا لم يمر عليه فهو في سعة من ذلك، قال وسئل عن الغريب يأتي قبر النبيّ ﷺ كل يوم فقال: ما هذا من الأمر ولكن إذا أراد الخروج، قال محمد بن رشد: المعنى في هذا أنه يلزمه أن يسلم عليه كلما مر به متى ما مرَّ وليس عليه أن يمر به ليسلم عليه إلّا للوداع عند الخروج ويكره له أن يكثر المرور به والسلام عليه والإتيان كل يوم إليه لئلا يجعل القبر بفعله ذلك كالمسجد الذي يؤتى كل يوم للصلاة فيه، وقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك لقوله: «**اللهمّ لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» انتهى كلام ابن رشد.

وانظر كيف جعل عليه أن يأتيه للوداع وبطريقة الأولى السلام وإنما كراهة الإكثار لما ذكره وأصل الاستحباب متّفق عليه.

وقال القاضي عيّاض: قال ابن حبيب: ويقول إذا دخل مسجد الرسول **«بسم الله وسلام على رسول الله، السلام علينا من ربنا وصلى الله وملائكته على محمد اللهمّ اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك وجنتك واحفظني من الشيطان الرجيم»** ثم اقصد إلى الروضة وهي ما بين القبر والمنبر فاركع فيها ركعتين قبل وقوفك بالقبر ثم تقف بالقبر متواضعاً متواقراً فتصلي عليه وتثني بما يحضرك وتسلم على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وتدعو لهما ولا تدع أن تأتي مسجد قباء وقبور الشهداء.

قال ابن القاسم: ورأيت أهل المدينة إذا خرجوا منها أو دخلوها أتوا القبر فسلموا قال: وذلك رأي، قال الباجي: ففرق بين أهل المدينة والغرباء لأن الغرباء قصدوا لذلك وأهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها من أجل القبر والتسليم، انتهى ما حكاه القاضي عيّاض.

وانظر قول الباجي إن الغرباء قصدوا لذلك ودلالته على أن الغرباء قصدوا المدينة من أجل القبر والتسليم، والمتلخص من مذهب مالك رحمه الله أن الزيارة قربة ولكنه على عادته في سدّ الذرائع يكره الإكثار منها الذي قد يفضي إلى محذور، والمذاهب الثلاثة يقولون باستحبابها واستحباب الإكثار منها لأن الإكثار من الخير خير وكلهم مجمعون على استحباب الزيارة. وفي كتاب النوادر: ويأتي قبور الشهداء بأحد ويسلم عليهم كما يسلم على قبره ﷺ وعلى ضجيعيه.

وقال أبو محمد عبد الكريم بن عطاء الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن عيسى بن الحسن المالكي في مناسكه التي التزم فيها مشهور مذهب مالك:

فصل:

إذا كمل لك حجّك وعمرتك على الوجه المشروع لم يبق بعد ذلك إلّا إتيان مسجد رسول الله ﷺ للسلام على النبيّ ﷺ والدعاء عنده والسلام على صاحبيه والوصول إلى البقيع وزيارة ما فيه من قبور الصحابة والتابعين والصلاة في مسجد الرسول ﷺ فلا ينبغي للقادر على ذلك تركه.

وقال العبدي في شرح الرسالة: وأما النذر إلى المسجد الحرام أو المشي إلى مكة فله أصل في الشرع وهو الحج والعمرة وإلى المدينة لزيارة قبر النبيّ

ﷺ أفضل من الكعبة وإلى بيت المقدس وليس عندهما حجّ ولا عمرة فإذا نذر المشي إلى هذه الثلاثة لزمه فالكعبة متفق عليها واختلف أصحابنا وغيرهم في المسجدين الآخرين.

[شفاء السقام ص٧٢]

زيارة النبيّ ﷺ من أفضل الأعمال
في رأي الإمام ابن القيم
قال الشيخ ابن القيم في قصيدته المشهورة بالنونية

فـإذا أتـيـنـا الـمـسـجـد الـنـبـويّ ... صـلـيـنـا الـتـحـيـة أولاً ثـنـتـان
بـتـمـام أركـان لـهـا وخـشـوعـهـا ... وحضور قلب فعل ذي الإحسان
ثـم انـثـنـيـنـا لـلـزيـارة نـقـصـد الـقـبـ ... ـر الـشـريـف ولـو عـلـى الأجـفـان
فـنـقـوم دون الـقـبـر وقـفـة خـاضـع ... مـتـذلـل فـي الـسـرِّ والإعـلان
فـكـأنـه فـي الـقـبـر حـيٌّ نـاطـق ... فـالـواقـفـون نـواكـس الأذقـان
مـلـكـتـهـم تـلـك الـمـهـابـة فـاعـتـرت ... تـلـك الـقـوائـم كـثـرة الـرجـفـان
وتـفـجّـرت تـلـك الـعـيـون بـمـائـهـا ... ولـطـالـمـا غـاضـت عـلـى الأزمـان
وأتـى الـمـسـلّـم بـالـسـلام بـهـيـبـة ... ووقـار ذي عـلـم وذي إيـمـان
لـم يـرفـع الأصـوات حـول ضـريـحـه ... كـلا ولـم يـسـجـد عـلـى الأذقـان
كـلا ولـم يُـر طـائـفـاً بـالـقـبـر ... أسـبـوعـاً كـأن الـقـبـر بـيـت ثـان
ثـم انـثـنـى بـدعـائـه مـتـوجـهـاً ... لله نـحـو الـبـيـت ذي الأركـان
هـذي زيـارة مـن غـدا مُـتـمـسـكـاً ... بـشـريـعـة الإسـلام والإيـمـان
مـن أفـضـل الأعـمـال هـاتـيـك الـزيـا ... رة وهـي يـوم الـحـشـر فـي الـمـيـزان

[القصيدة النونية لابن القيم ص١٨١]

كلام الشيخ الإمام
ابن حجر المكي في الزيارة

قال الإمام ابن حجر المكي الشافعي في كتابه «الجوهر المنظم في زيارة القبر الشريف النبويّ المكرم»:

اعلم وفّقني الله وإياك لطاعته وفهم خصوصيات نبيّه ﷺ والمسارعة إلى مرضاته أن زيارته ﷺ مشروعة مطلوبة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة وبالقياس.

أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤] دلّت على حثّ الأمة على المجيء إليه ﷺ والاستغفار عنده واستغفاره لهم، وهذا لا ينقطع بموته.

ودلّت أيضاً على تعليق وجدانهم الله تواباً رحيماً بمجيئهم واستغفارهم واستغفار الرسول لهم.

فأما استغفاره ﷺ فهو حاصل لجميع المؤمنين بنصّ قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩] وصحّ في مسلم عن بعض الصحابة أنهم فهموا من الآية ذلك، فإذا وجد مجيئهم واستغفارهم فقد تكملت الأمور الثلاثة الموجبة لتوبة الله تعالى ورحمته، وليس في الآية ما يعين تأخر استغفار الرسول ﷺ عن استغفارهم، بل هي محتملة والمعنى يؤيد أنه لا فرق بين تقدمه وتأخره، فإن القصد إدخالهم لمجيئهم واستغفارهم تحت ما يشمله استغفار النبيّ ﷺ، هذا إن جعلنا ﴿وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ عطفاً على ﴿فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ﴾، أما إن جعلناه عطفاً على ﴿جَآءُوكَ﴾ فلا يحتاج لذلك، كما أنا إذا قلنا: إن استغفاره ﷺ لأمته لا يتقيد بحال حياته كما دلت عليه الأحاديث الآتية فلا يضره عطفه على ﴿فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ﴾ إذا أمكن استغفاره لأمته بعد موته، وقد علم كمال شفقته ورحمته عليهم، فمعلوم أنه لا يترك ذلك لمن جاءه مستغفراً ربه سبحانه وتعالى، وحينئذٍ ثبت على كل تقدير أن الأمور الثلاثة المذكورة في الآية حاصلة لمن يجيء إليه ﷺ مستغفراً في حياته وبعد وفاته، والآية الكريمة وإن وردت في قوم معينين في حال الحياة تعم بعموم العلة كل من وجد فيه ذلك الوصف في الحياة وبعد الممات ولذلك فهم العلماء منها العموم للجائين، واستحبّوا لمن أتى قبره ﷺ أن يقرأها مستغفراً لله تعالى كما يأتي ذلك مع حكاية العتبي التي ذكرها المصنفون في المناسك من جميع المذاهب والمؤرخون، وكلهم استحبّوها للزائر ورأوها من آدابه التي يسنّ له فعلها، ويستفاد من وقوع جاءوك في حيّز الشرط الدال على العموم أن الآية الكريمة طالبة للمجيء إليه من بعد ومن قرب بسفر وبغير سفر، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٠٠] ولا شك عند من له أدنى مسكة من ذوق العلم أن من خرج لزيارة رسول الله ﷺ يصدق عليه أنه خرج مهاجراً إلى الله ورسوله لما يأتي أن زيارته ﷺ بعد وفاته كزيارته في حياته، وزيارته في حياته داخلة في الآية الكريمة قطعاً، فكذا بعد وفاته بنصّ الأحاديث الشريفة الآتية، وأما السنة فما يأتي من الأحاديث.

وأما القياس: فقد جاء أيضاً في السنة الصحيحة المتّفق عليها الأمر بزيارة القبور، فقبر نبيّنا محمد ﷺ منها أولى وأحرى وأحق وأعلى، بل لا نسبة بينه وبين غيره، وأيضاً فقد ثبت أنه ﷺ زار أهل البقيع وشهداء أحد، فقبره الشريف أولى لما له من الحق ووجوب التعظيم، وليست زيارته ﷺ إلّا لتعظيمه والتبرك به، ولينالنا عظيم الرحمة والبركة بصلاتنا وسلامنا عليه ﷺ عند قبره الشريف بحضرة الملائكة الحافّين به ﷺ.

وأما إجماع المسلمين فقد نقل جماعة من الأئمّة حملة الشرع الشريف الذين عليهم المدار والمعوّل في نقل الخلاف الإجماع عليها، وإنما الخلاف بينهم في أنها واجبة أو مندوبة، وأكثر العلماء من السلف والخلف على ندبها دون وجوبها، وعلى كل من القولين فهي مع مقدماتها من نحو السفر إليها ولو بقصدها فقط دون أن يضم لها قصد اعتكاف أو صلاة بمسجده ﷺ من أهم القربات وأنجح المساعي، ومن ثم قال الحنفية: إنها تقرب من درجة الواجبات، وقال بعض أئمّة المالكية: إنها واجبة، قال غيره منهم: يعني من السنن الواجبة ويدل لذلك أحاديث صحيحة صريحة لا يشك فيها إلّا من انطمس نور بصيرته، منها قوله ﷺ: **«من زار قبري وجبت له شفاعتي»**. وفي رواية: **«حلّت له شفاعتي»** صحّحه جماعة من أئمّة الحديث.

ثم قال الإمام ابن حجر رحمه الله تعالى: ثم هذه الأحاديث كلها إما صريحة وهي الأكثر، أو ظاهرة في ندب، بل تؤكد زيارته ﷺ حياً وميتاً للذكر والأنثى الآتيين من قرب أو بعد، فليستدل بها على فضيلة شدّ الرّحال لذلك، وندب السفر للزيارة حتى للنساء.

رأي الإمام الحافظ الذهبي
في شدّ الرّحل لزيارة النبيّ ﷺ

عن حسن بن حسن بن علي أنه رأى رجلاً وقف على البيت الذي فيه قبر النبيّ ﷺ يدعو له ويصلي عليه، فقال للرجل: لا تفعل فإن رسول الله ﷺ قال: **«لا تتخذوا بيتي[1] عيداً، ولا تجعلوا بيوتكم قبوراً، وصلوا عليَّ حيث ما كنتم فإن صلاتكم تبلغني»**.

هذا مرسل، وما استدل حسن في فتواه بطائل من الدلالة فمن وقف عند

(١) هذا لفظ الذّهبي والمشهور: «لا تجعلوا قبري عيداً».

الحجرة المقدسة ذليلاً مسلّماً مصلياً على نبيّه، فيا طوبى له فقد أحسن الزيارة، وأجمل في التذلل والحب، وقد أتى بعبادة زائدة على من صلّى عليه في أرضه أو في صلاته، إذ الزائر له أجر الزيارة وأجر الصلاة عليه، والمصلي عليه في سائر البلاد له أجر الصلاة فقط، فمن صلى عليه واحدة صلى الله عليه عشراً ولكن من زاره ـ صلوات الله عليه ـ وأساء أدب الزيارة أو سجد للقبر أو فعل ما لا يشرع، فهذا فعل حسناً وسيئاً فيعلم برفق والله غفور رحيم، فوالله ما يحصل الانزعاج لمسلم، والصياح وتقبيل الجدران وكثرة البكاء إلّا وهو محب لله ولرسوله، فحبه المعيار والفارق بين أهل الجنة وأهل النار، فزيارة قبره من أفضل القرب، وشدّ الرّحال إلى قبور الأنبياء والأولياء لئن سلَّمنا أنه غير مأذون فيه لعموم قوله صلوات الله عليه: «**لا تشدّ الرّحال إلّا إلى ثلاثة مساجد**» فشدّ الرّحال إلى نبيّنا ﷺ مستلزم لشدّ الرّحل إلى مسجده، وذلك مشروع بلا نزاع، إذ لا وصول إلى حجرته إلّا بعد الدخول إلى مسجده، فليبدأ بتحية المسجد ثم بتحية صاحب المسجد رزقنا الله وإياكم ذلك آمين.

[سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٨٣ ـ ٤٨٥]

كلام الكرماني في الزيارة

قال الشيخ الإمام محمد بن يوسف الكرماني في بيان قوله ﷺ: «**لا تشدّ الرّحال إلا**»... والاستثناء مفرغ، فإن قلت: فتقدير الكلام لا تشدّ الرّحال إلى موضع أو مكان فيلزم أن لا يجوز السفر إلى مكان غير المستثنى حتى لا يجوز السفر لزيارة إبراهيم الخليل عليه السلام ونحوه لأن المستثنى منه في المفرغ لا بد أن يقدر أعم العام.

قلت المراد بأعم العام ما يناسب المستثنى نوعاً ووصفاً كما إذا قلت: ما رأيت إلّا زيداً كان تقديره: ما رأيت رجلاً أو أحداً إلّا زيداً لا ما رأيت شيئاً أو حيواناً إلّا زيداً، فههنا تقديره: «**لا تشدّ إلى مسجد إلّا إلى ثلاثة**» وقد وقع في هذه المسألة في عصرنا مناظرات كثيرة في البلاد الشامية وصنّف فيها رسائل من الطرفين لسنا الآن لبيانها.

قوله: «**المسجد الحرام**» بدل من ثلاثة وفي بعضها بالرفع خبر مبتدأ محذوف واللام في الرسول للعهد عن سيدنا محمد ﷺ، وفي العدول عن مسجدي إلى مسجد الرسول تعظيم مع الإشعار بعلة التعظيم كقول الخليفة: أمير المؤمنين يرسم لك بكذا مكان أنا أرسم لك بكذا.

قوله: «**المسجد الأقصى**» وصف به لبعد ما بينه وبين المسجد الحرام، وقيل: لأنه أقصى موضع من الأرض ارتفاعاً وقرباً إلى السماء.

الزمخشري: المسجد الأقصى بيت المقدس لأنه لم يكن حينئذٍ وراءه مسجد، واعلم أن المسجد الحرام يطلق ويراد به إما الكعبة قال تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤]، وإما مكة قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١]، وإما الحرم كله قال تعالى: ﴿فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ [التوبة: ٢٨]، وإما نفس المسجد وهو المراد في الحديث.

الخطابي: «**لا تشدّ**» لفظه خبر ومعناه الإيجاب فيما نذر الإنسان من الصلاة في البقاع التي يتبرك بها، أي لا يلزم الوفاء بشيء من ذلك حتى يشدّ الرّحل له وتقطع المسافة إليه غير هذه الثلاثة التي هي مساجد الأنبياء صلوات الله عليهم، فأما إذا نذر الصلاة في غيرها من البقاع فإن له الخيار في أن يأتيها أو يصليها في موضعها لا يرحل إليها قال: والشدّ إلى المسجد الحرام فرض للحج والعمرة وكان يشدّ إلى مسجد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في حياته للهجرة وكانت واجبة على الكفاية وأما إلى بيت المقدس فإنما هو فضيلة واستحباب وقد يؤول معنى الحديث على وجه آخر وهو أنه لا يرحل في الاعتكاف إلّا إلى هذه الثلاثة، وقد ذهب بعض السلف إلى أن الاعتكاف لا يصح إلّا فيها دون سائر المساجد.

النووي: في الحديث فضيلة هذه المساجد، وقال الشيخ أبو محمد الجويني: يحرم شدّ الرّحال إلى غيرها كالذهاب إلى قبور الصالحين ونحوه، والصحيح أنه لا يحرم ولا يكره، قالوا: والمراد أن الفضيلة التامة إنما هي في شدّ الرّحال إلى الثلاثة خاصة.

[اهـ صحيح البخاري بشرح الكرماني ج٧ ص١٢]

الحافظ ابن حجر العسقلاني والزيارة

قال الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني في شرحه لحديث: «**لا تشدّ الرّحال**»:

قال الكرماني: وقع في هذه المسألة في عصرنا في البلاد الشامية مناظرات كثيرة وصنّف فيها رسائل من الطرفين، قلت: يشير إلى ما ردّ به الشيخ تقي الدّين

السبكي وغيره على الشيخ تقي الدّين ابن تيمية وما انتصر به الحافظ شمس الدّين بن عبد الهادي وغيره لابن تيمية وهي مشهورة في بلادنا، والحاصل أنهم ألزموا ابن تيمية بتحريم شدّ الرّحل إلى زيارة قبر سيدنا رسول الله ﷺ وأنكرنا صورة ذلك، وفي شرح ذلك من الطرفين طول، وهي من أبشع المسائل المنقولة عن ابن تيمية، ومن جملة ما استدل به على دفع ما ادعاه غيره من الإجماع على مشروعية زيارة قبر النبيّ ﷺ ما نقل عن مالك أنه كره أن يقال: زرت قبر النبيّ ﷺ.

وقد أجاب عنه المحققون من أصحابه: بأنه كره اللفظ أدباً لا أصل الزيارة فإنها من أفضل الأعمال وأجلّ القربات الموصلة إلى ذي الجلال وإن مشروعيتها محل إجماع بلا نزاع، والله الهادي إلى الصواب.

قال بعض المحققين قوله: «إلّا إلى ثلاثة مساجد» المستثنى منه محذوف، فإما أن يقدر عاماً فيصير: لا تشدّ الرّحال إلى مكان في أي أمر كان إلّا إلى الثلاثة، أو أخصّ من ذلك، لا سبيل إلى الأول لإفضائه إلى سدّ باب السفر للتجارة وصلة الرحم وطلب العلم وغيرها فتعين الثاني، والأولى أن يقدر ما هو أكثر مناسبة وهو: لا تشدّ الرّحال إلى مسجد للصلاة فيه إلّا إلى الثلاثة، فيبطل بذلك قول من منع شدّ الرّحال إلى زيارة القبر الشريف وغيره من قبور الصالحين والله أعلم.

وقال السبكي الكبير: ليس في الأرض بقعة لها فضل لذاتها حتى تشدّ الرّحال إليها غير البلاد الثلاثة، ومرادي بالفضل ما شهد الشرع باعتباره ورتب عليه حكماً شرعياً، وأما غيرها من البلاد فلا تشدّ إليها لذاتها بل لزيارة أو جهاد أو علم أو نحو ذلك من المندوبات أو المباحات، قال: وقد التبس ذلك على بعضهم فزعم أن شدّ الرّحال إلى الزيارة لمن في غير الثلاثة داخل في المنع ـ وهو خطأ ـ لأن الاستثناء إنما يكون من جنس المستثنى منه، فمعنى الحديث: لا تشدّ الرّحال إلى مسجد من المساجد أو إلى مكان من الأمكنة لأجل ذلك المكان إلّا إلى الثلاثة المذكورة، وشدّ الرّحال إلى زيارة أو طلب علم ليس إلى المكان بل إلى من في ذلك المكان. والله أعلم.

[اهـ فتح الباري كتاب فضل الصلاة في مكة والمدينة ص٦٦ ج٣]

كلام الإمام العيني في الزيارة

قال الإمام العلامة بدر الدّين أبو محمد محمود بن أحمد العيني في شرحه على البخاري المسمى بعمدة القاري عند الكلام على حديث: «لا تشدّ الرّحال» وحكى الرافعي عن القاضي ابن كج أنه قال: إذا نذر أن يزور قبر النبيّ ﷺ فعندي

أنه يلزمه الوفاء وجهاً، قال: ولو نذر أن يزور قبر غيره ففيه وجهان عندي، وقال القاضي عيّاض وأبو محمد الجويني من الشافعية: أنه يحرم شدّ الرّحال إلى غير المساجد الثلاثة لمقتضى النهي، وقال النووي وهو غلط والصحيح عند أصحابنا وهو الذي اختاره إمام الحرمين والمحققون أنه لا يحرم ولا يكره، وقال الخطابي: لا تشدّ لفظه خبر ومعناه الإيجاب فيما نذره الإنسان من الصلاة في البقاع التي يتبرك بها أي لا يلزم الوفاء بشيء من ذلك حتى يشدّ الرّحل له ويقطع المسافة إليه غير هذه الثلاثة التي هي مساجد الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام. فأما إذا نذر الصلاة في غيرها من البقاع فإن له الخيار في أن يأتيها أو يصليها في موضعه لا يرحل إليها، قال: والشدّ إلى المسجد الحرام فرض للحج والعمرة وكانت تشدّ الرّحال إلى مسجد رسول الله ﷺ في حياته للهجرة وكانت واجبة على الكفاية، وأما إلى بيت المقدس فإنما هو فضيلة واستحباب، وأول بعضهم معنى الحديث على وجه آخر وهو أن لا يرحل في الاعتكاف إلّا إلى هذه الثلاثة، فقد ذهب بعض السلف إلى أن الاعتكاف لا يصح إلّا فيها دون سائر المساجد، وقال شيخنا زين الدّين: من أحسن محامل هذا الحديث أن المراد منه حكم المساجد فقط وأنه لا تشدّ الرّحل إلى مسجد من المساجد غير هذه الثلاثة، فأما قصد غير المساجد من الرحلة في طلب العلم وفي التجارة والتنزه وزيارة الصالحين والمشاهد وزيارة الإخوان ونحو ذلك فليس داخلاً في النهي، وقد وردّ ذلك مصرّحاً به في بعض طرق الحديث في مسند أحمد: حدّثنا هاشم حدثنا عبد الحميد حدّثني شهر سمعت أبا سعيد الخدري رضي الله عنه وذكر عنده صلاة في الطور فقال: قال رسول الله ﷺ: **«لا ينبغي للمطي أن يشدّ رحاله إلى مسجد يبتغي فيه الصلاة غير المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا»** وإسناده حسن وشهر بن حوشب وثقه جماعة من الأئمّة.

[اهـ عمدة القاري ص٢٥٤ ج٧]

نصوص
أئمّة الحنابلة في مسألة الزيارة

أبو محمد بن قدامة:

قال الشيخ أبو محمد موفق الدّين عبد الله بن قدامة: ويستحبّ زيارة قبر النبيّ ﷺ لما روى الدارقطني بإسناده عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: **«من حجّ فزار قبري بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي»**.

وفي رواية: «**من زار قبري وجبت له شفاعتي**».

رواه باللفظ الأول سعيد حدثنا حفص بن سليمان عن ليث عن مجاهد عن ابن عمر، وقال أحمد في رواية عبد الله عن يزيد بن قسيط عن أبي هريرة أن النبيّ ﷺ قال: «**ما من أحد يسلم عليَّ عند قبري إلّا ردّ الله عليَّ روحي حتى أردّ عليه السلام**».

وإذا حجّ الذي لم يحج قط يعني من غير طريق الشام لا يأخذ على طريق المدينة لأني أخاف أن يحدث به حدث فينبغي أن يقصد مكة من أقصد الطرق ولا يتشاغل بغيره.

ويروى عن العتبي قال: كنت جالساً عند قبر النبيّ ﷺ فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله! سمعت الله يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤] وقد جئتك مستغفراً لذنبي مستشفعاً بك إلى ربي ثم أنشد يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم انصرف الأعرابي فحملتني عيني فنمت فرأيت النبيّ ﷺ في النوم فقال: يا عتبي! الحق الأعرابي فبشّره أن الله قد غفر له.

[المغني لابن قدامة ج٣ ص٥٥٦]

أبو الفرج بن قدامة:

قال الشيخ شمس الدّين أبو الفرج عبد الرحمن بن قدامة الحنبلي في كتابه الشرح الكبير:

مسألة: فإذا فرغ من الحج استحب زيارة قبر النبيّ ﷺ وقبر صاحبيه رضي الله عنهما اهـ.

[الشرح الكبير ج٣ ص٤٩٥]

ثم ذكر الشيخ ابن قدامة صيغة تقال عند السلام على النبيّ ﷺ وفيها أن يقول: اللهمّ إنك قلت وقولك الحق: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤] وقد أتيتك مستغفراً من ذنوبي مستشفعاً بك إلى ربي فأسألك يا رب أن توجب لي المغفرة كما أوجبتها لمن أتاه في حياته، اللهمّ اجعله أول الشافعين وأنجح السائلين وأكرم الأولين والآخرين برحمتك يا أرحم الراحمين.

ثم قال: ولا يستحب التمسّح بحائط قبر النبيّ ﷺ ولا تقبيله، قال أحمد رحمه الله: ما أعرف هذا، قال الأثرم: رأيت أهل العلم من أهل المدينة لا يمسون قبر النبيّ ﷺ، يقومون من ناحية فيسلمون، قال أبو عبد الله: وهكذا كان ابن عمر رضي الله عنهما يفعل، قال: أما المنبر فقد جاء فيه ما رواه إبراهيم بن عبد الله بن عبد القاري أنه نظر إلى ابن عمر وهو يضع يده على مقعد النبيّ ﷺ من المنبر ثم يضعها على وجهه اهـ.

[الشرح الكبير ج٣ ص٤٩٥]

منصور البهوتي:

قال الشيخ منصور بن يونس البهوتي في كتابه «كشاف القناع عن متن الإقناع»:

فصل:

وإذا فرغ من الحج استحب له زيارة قبر النبيّ ﷺ وقبري صاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما لحديث الدارقطني عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**من حجّ فزار قبري بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي**».

وفي رواية: «**من زار قبري وجبت له شفاعتي**» رواه باللفظ الأول سعيد.

تنبيه:

قال ابن نصر الله: لازم استحباب زيارة قبره ﷺ استحباب شدّ الرّحال إليها، لأن زيارته للحاج بعد حجه لا تمكن بدون شدّ الرّحال، فهذا كالتصريح باستحباب شدّ الرّحل لزيارته ﷺ.

[كشاف القناع ج٢ ص٥٩٨]

شيخ الإسلام محمد تقي الدّين الفتوحي الحنبلي:

قال الشيخ الفتوحي: وسن زيارة قبر النبيّ ﷺ وقبر صاحبيه رضي الله عنهما فيسلم عليه مستقبلاً له، ثم يستقبل القبلة ويجعل الحجرة عن يساره ويدعو ويحرم الطواف بها ويكره التمسّح ورفع الصوت عندها.

الشيخ مرعي بن يوسف الحنبلي:

قال الشيخ مرعي بن يوسف في كتابه «دليل الطالب»: وسن زيارة قبر النبيّ ﷺ وقبر صاحبيه رضوان الله عليهما وتستحب الصلاة في مسجده ﷺ وهي بألف صلاة، وفي المسجد الحرام بمائة ألف وفي المسجد الأقصى بخمسمائة.

[دليل الطالب ص٨٨]

ابن مفلح:

وقال العلامة الفقيه شمس الدّين المقدسي محمد بن مفلح في الفروع: وتستحب الصلاة على النبيّ ﷺ وزيارة قبره وقبر صاحبيه فيسلم عليه مستقبلاً له لا للقبلة.

[الفروع ج٣ ص٥٢٣]

كلام الشوكاني في الزيارة النبويّة وفيه تحقيق أحاديث الزيارة

قال الإمام العلامة الشيخ محمد بن علي الشوكاني في كتابه «نيل الأوطار» وقد اختلفت فيها أقوال أهل العلم، فذهب الجمهور إلى أنها مندوبة، وذهب بعض المالكية وبعض الظاهرية إلى أنها واجبة، وقالت الحنفية إنها قريبة من الواجبات، وذهب ابن تيمية الحنبلي المعروف بشيخ الإسلام إلى أنها غير مشروعة، وتبعه على ذلك بعض الحنابلة، وروى ذلك عن مالك والجويني والقاضي عيّاض.

أدلة القائلين بالندب:

١ - احتجّ القائلون بأنها مندوبة بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ [النساء: ٦٤] الآية:

ووجه الاستدلال بها أنه ﷺ حي في قبره بعد موته كما في حديث: «**الأنبياء أحياء في قبورهم**» وقد صحّحه البيهقي وألف في ذلك جزءاً.

قال الأستاذ أبو منصور البغدادي: قال المتكلمون المحققون من أصحابنا إن نبيّنا ﷺ حي بعد وفاته اهـ.

ويؤيد ذلك ما ثبت أن الشهداء أحياء يرزقون في قبورهم والنبيّ ﷺ منهم، وإذا ثبت أنه حي في قبره كان المجيء إليه بعد الموت كالمجيء إليه قبله ولكنه قد ورد أن الأنبياء لا يتركون في قبورهم فوق ثلاث وروي فوق أربعين، فإن صح ذلك قدح في الاستدلال بالآية، ويعارض القول بدوام حياتهم في قبورهم ما سيأتي من أنه ﷺ تردّ إليه روحه عند التسليم عليه، نعم حديث: «**من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي**» الذي سيأتي إن شاء الله تعالى إن صح فهو الحجّة في المقام.

٢ ـ واستدلوا ثانياً بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [النساء: ١٠٠]. والهجرة إليه في حياته الوصول إلى حضرته كذلك الوصول بعد موته، ولكنه لا يخفى أن الوصول إلى حضرته في حياته فيه فوائد لا توجد في الوصول إلى حضرته بعد موته، منها: النظر إلى ذاته الشريفة وتعلم أحكام الشريعة منه والجهاد بين يديه وغير ذلك.

٣ ـ واستدلوا ثالثاً بالأحاديث الواردة في ذلك، منها الأحاديث الواردة في مشروعية زيارة القبور على العموم والنبيّ ﷺ داخل في ذلك دخولاً أولياً، وقد تقدم ذكرها في الجنائز، وكذلك الأحاديث الثابتة من فعله ﷺ في زيارتها ومنها أحاديث خاصة بزيارة قبره الشريف.

أخرج الدارقطني عن رجل من آل حاطب عن حاطب قال: قال رسول الله ﷺ: «من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي» وفي إسناده الرجل المجهول.

وعن ابن عمر عند الدارقطني أيضاً قال: قال فذكر نحوه، ورواه أبو يعلى في مسنده وابن عدي في كامله وفي إسناده حفص بن أبي داود وهو ضعيف الحديث وقال أحمد فيه: إنه صالح.

وعن عائشة عند الطبراني في الأوسط عن النبيّ ﷺ مثله.

قال الحافظ: وفي طريقه من لا يعرف، وعن ابن عباس عند العقيلي مثله وفي إسناده فضالة بن سعد المازني وهو ضعيف.

وعن ابن عمر حديث آخر عند الدارقطني بلفظ: «من زار قبري وجبت له شفاعتي»، وفي إسناده موسى بن هلال العبدي، قال أبو حاتم: مجهول أي العدالة، ورواه ابن خزيمة في صحيحه من طريقه وقال: إن صح الخبر فإن في القلب من إسناده شيئاً، وأخرجه البيهقي، وقال العقيلي: لا يصح حديث موسى ولا يتابع عليه ولا يصح في هذا الباب شيء، وقال أحمد: لا بأس به، وأيضاً قد تابعه عليه مسلمة بن سالم، كما رواه الطبراني من طريقه، وموسى بن هلال المذكور رواه عن عبيد الله بن عمر عن نافع وهو ثقة من رجال الصحيح، وجزم الضياء المقدسي والبيهقي وابن عدي وابن عساكر بأن موسى رواه عن عبد الله بن عمر المكبر وهو ضعيف ولكنه قد وثقه ابن عدي وقال ابن معين: لا بأس به، وروى له مسلم مقروناً بآخر، وقد صحّح هذا الحديث ابن السكن وعبد الحق وتقي الدّين السبكي، وعن ابن عمر عند ابن عدي والدارقطني، وابن حبان في ترجمة النعمان بلفظ: «من حج ولم يزرني فقد جفاني» وفي إسناده

النعمان بن شبل وهو ضعيف جداً ووثقه عمران بن موسى، وقال الدارقطني: الطعن في هذا الحديث على ابن النعمان لا عليه ورواه أيضاً البزار وفي إسناده إبراهيم الغفاري وهو ضعيف، ورواه البيهقي عن عمر قال: وفي إسناده مجهول.

وعن أنس عند ابن أبي الدنيا بلفظ: «**من زارني بالمدينة محتسباً كنت له شفيعاً وشهيداً يوم القيامة**» وفي إسناده سليمان بن زيد الكعبي ضعفه ابن حبان والدارقطني وذكره ابن حبان في الثقات، وعن عمر عند أبي داود الطيالسي بنحوه، وفي إسناده مجهول، وعن عبد الله بن مسعود عن أبي الفتح الأزدي بلفظ: «**من حجّ حجّة الإسلام وزار قبري وغزا غزوة وصلى في بيت المقدس لم يسأله الله فيما افترض عليه**». وعن أبي هريرة بنحو حديث حاطب المتقدم، وعن ابن عباس عند العقيلي بنحوه، وعنه في مسند الفردوس بلفظ: «**من حج إلى مكة ثم قصدني في مسجدي كتبت له حجتان مبرورتان**»، وعن علي بن أبي طالب عليه السلام عند ابن عساكر: «**من زار قبر رسول الله ﷺ كان في جواره**».

وفي إسناده عبد الملك بن هارون بن عنبرة وفيه مقال، قال الحافظ: وأصح ما ورد في ذلك ما رواه أحمد وأبو داود عن أبي هريرة مرفوعاً: «**ما من أحد يسلم عليَّ إلّا ردّ الله عليَّ روحي حتى أردّ عليه السلام**» وبهذا الحديث صدر البيهقي الباب، ولكن ليس فيه ما يدل على اعتبار كون المسلم عليه على قبره بل ظاهره أعم من ذلك، وقال الحافظ أيضاً: أكثر متون هذه الأحاديث موضوعة، وقد رويت زيارته ﷺ عن جماعة من الصحابة منهم بلال عند ابن عساكر بسند جيد، وابن عمر عند مالك في الموطأ، وأبو أيوب عند أحمد، وأنس ذكره عيّاض في الشفا وعمر عند البزار، وعلي عليه السلام عند الدارقطني وغير هؤلاء، ولكنه لم ينقل عن أحد منهم أنه شدّ الرّحل لذلك إلّا عن بلال، لأنه روي عنه أنه رأى النبيّ ﷺ وهو بداريا يقول له: ما هذه الجفوة يا بلال، أما آن لك أن تزورني؟ روى ذلك ابن عساكر.

أدلّة القول بالوجوب:

واستدل القائلون بالوجوب بحديث: «**من حج ولم يزرني فقد جفاني**» وقد تقدم، قالوا: والجفاء للنبيّ ﷺ محرم. فتجب الزيارة لئلا يقع في المحرم، وأجاب عن ذلك الجمهور بأن الجفاء يقال على ترك المندوب كما في ترك البر والصلة وعلى غلظ الطبع كما في حديث: «**من بدا فقد جفا**»، وأيضاً الحديث على انفراده مما لا تقوم به الحجّة لما سلف.

القول بأنها غير مشروعة:

واحتجّ من قال بأنها غير مشروعة بحديث: «**لا تشدّ الرّحال إلّا إلى ثلاثة مساجد**» وهو في الصحيح وقد تقدم، وحديث: «**لا تتخذوا قبري عيداً**» رواه عبد الرزاق.

[نيل الأوطار ٥/ ١٠١ ـ ١٠٣]

أقوال أئمّة الشافعية

الإمام أبو إسحاق الشيرازي:

قال الإمام أبو إسحاق الشيرازي في كتابه المهذب: ويستحبّ زيارة قبر رسول الله ﷺ لما روى ابن عباس رضي الله عنهما أن النبيّ ﷺ قال: «**من زار قبري وجبت له شفاعتي**»، ويستحبّ أن يصلى في مسجد رسول الله ﷺ لقوله ﷺ: «**صلاة في مسجدي هذا تعدل ألف صلاة فيما سواه من المساجد**».

[انظر المهذب ضمن المجموع ج٨ ص٢٧٢]

الإمام النووي:

قال الإمام أبو زكريا محيي الدّين بن شرف النووي في شرحه المجموع على المهذب: واعلم أن زيارة قبر رسول الله ﷺ من أهم القربات وأنجح المساعي، فإذا انصرف الحجّاج والمعتمرون من مكة استحب لهم استحباباً متأكداً أن يتوجهوا إلى المدينة لزيارته ﷺ وينوي الزائر مع الزيارة التقرّب وشدّ الرّحل إليه والصلاة فيه.

[المجموع ج٨ ص٢٧٢]

وقال أيضاً في كتابه المنهاج: ويسن شرب ماء زمزم وزيارة قبر رسول الله ﷺ بعد فراغ الحجّ.

[المنهاج ضمن شرح المحلي عليه ٢/ ١٢٥]

الإمام المحلي:

وكذلك الإمام جلال الدّين محمد بن أحمد المحلي في شرحه على المنهاج أقرّ على ما كتبه الإمام النووي وقرره وقال: ففي الحديث: «**من حج ولم يزرني فقد جفاني**» رواه ابن عدي في الكامل وغيره، وروى الدارقطني وغيره: «**من زار قبري وجبت له شفاعتي**» شرح المحلي على المنهاج ٢/ ١٢٥.

الإمام زكريا الأنصاري وابن حجر الهيتمي والرملي والخطيب الشربيني :

وكذلك الإمام شيخ الإسلام أبو يحيى زكريا الأنصاري في كتابه فتح الوهاب على منهج الطلاب ج١ ص١٤٩.

وكذلك الإمام الفقيه المحدّث شهاب الدّين أحمد بن حجر الهيتمي في شرحه على المنهاج، وقال: (و) يسن بل قيل: يجب وانتصر له والمنازع في طلبها ضال مضل «زيارة قبر رسول الله ﷺ» لكل أحد كما بينت ذلك مع أدلتها وآدابها وجميع ما يتعلق بها في كتاب حافل لم أسبق إلى مثله سميته «الجوهر المنظم في زيارة القبر المكرم»، وقد صح خبر «**من زار قبري وجبت له شفاعتي**» إلخ.

[تحفة المحتاج ٤/ ١٤٤]

وكذلك الإمام شمس الدّين محمد بن أحمد أبي العباس الرملي في شرحه على المنهاج ـ نهاية المحتاج ج٣ ص٣١٩.

وكذلك الإمام محمد بن أحمد الخطيب الشربيني في شرحه على المنهاج ـ مغني المحتاج ج١ ص٥١٢، بل قال: فزيارة قبره ﷺ من أفضل القربات ولو لغير حاج ومعتمر.

زيارة القبر هي زيارة المسجد في اعتبار الشيخ ابن تيمية

للشيخ ابن تيمية رأي نفيس جاء ضمن كلامه عن الزيارة، فبعد أن تكلم عن بدعية شدّ الرّحل للقبر النبويّ المحمدي وحده دون المسجد رجع فقال:

وهذا المعترض وأمثاله جعلوا السفر إلى قبور الأنبياء نوعاً من القربة ثم لما رأوا ما ذكره العلماء من استحباب زيارة قبر نبيّنا ظنوا أن سائر القبور يسافر إليها كما يسافر إليه، فضلوا من وجوه:

أحدها: أن السفر إليه ﷺ إنما هو سفر إلى مسجده وهو مستحب بالنصّ والإجماع.

الثاني: أن هذا السفر هو للمسجد في حياة الرسول ﷺ وبعد دفنه وقبل دخول الحجرة وبعد دخول الحجرة فيه، فهو سفر إلى المسجد سواء كان القبر هناك أو لم يكن، فلا يجوز أن يشبه به السفر إلى قبر مجرد.

ثم قال: **السادس**: أن السفر إلى مسجده ﷺ ـ **الذي يسمى السفر لزيارة قبره**

ـ هو ما أجمع عليه المسلمون جيلاً بعد جيل، وأما السفر إلى سائر القبور فلا يعرف عن أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان بل ولا عن أتباع التابعين.

ثم قال: والمقصود أن المسلمين ما زالوا يسافرون إلى مسجده ولا يسافرون إلى قبور الأنبياء كقبر موسى وقبر الخليل عليهما السلام، ولم يعرف عن أحد من الصحابة أنه سافر إلى قبر الخليل مع كثرة مجيئهم إلى الشام وبيت المقدس، فكيف يجعل السفر إلى مسجد الرسول ﷺ الذي يسميه بعض الناس زيارة لقبره مثل السفر إلى قبور الأنبياء؟

فيستفاد من كلام الشيخ ابن تيمية فائدة مهمة جداً وهي: أنه لا يتصور أبداً أن يشدّ الزائر رحله قاصداً زيارة القبر وحده، ثم لا يدخل إلى المسجد ويصلي فيه ليستفيد من بركاته ومضاعفة صلاته وروضة الجنة التي فيه، ويقابله أنه لا يعقل أبداً أن يشدّ الزائر رحله قاصداً زيارة المسجد وحده ثم لا يتوجه إلى الزيارة ولا يقف بالقبر الشريف للسلام على النبيّ ﷺ وصاحبيه رضي الله عنهما.

ولذلك ترى الشيخ يشير في عبارته إلى هذا المعنى بقوله مثلاً:

فكيف يجعل السفر إلى مسجد الرسول الذي يسميه بعض الناس زيارة؟

وبقوله: إن السفر إليه إنما هو سفر إلى مسجده.

وبقوله: إن السفر إلى مسجده الذي يسمى السفر لزيارة قبره هو ما أجمع عليه المسلمون.

فهذا الرأي الجيد النفيس يحلّ مشكلة كبرى فرّقت بيننا معشر المسلمين وبسببها كفّر بعضنا بعضاً وأخرجه عن دائرة الإسلام ولو سلك من ادعى أنه متّبع للسلف مسلك ابن تيمية إمام السلف في عصره والتمس للناس العذر في مقاصدهم وحسن الظن بهم لسلم جمع غفير من دخول النار وفازوا بالجنة دار القرار.

وهذا هو الحق الذي ندين الله به ونعتقده بكل صدق سواء صرّحنا به أو لم نصرّح، فلو قال الواحد منا: أنا مسافر لزيارة النبيّ ﷺ أو قبره فهو قاصد في الجملة مسجده الشريف، ولو قال: أنا مسافر لزيارة المسجد فهو قاصد في الجملة القبر، غاية ما في الأمر أنه فاته التصريح بكل ما يقصده وينويه للارتباط الوثيق بين المسجد والقبر الذي هو في الحقيقة عبارة عن قصد النبيّ ﷺ ذاته ﷺ، لأن المسافر لزيارة القبر هو مسافر في الحقيقة إلى النبيّ ﷺ.

أما القبر حقيقة فلا يقصده ولا يتوجه إليه مسافر، ونحن إنما نتوجه إليه ﷺ ونشدّ رحالنا لزيارته هو ونتقرب إلى الله بتلك الزيارة، ولذلك فالواجب

على المسلمين الزائرين أن يصحّحوا ألفاظهم ابتعاداً عن الشبهة، ويقولوا: نحن نزور رسول الله ﷺ ونشدّ الرّحل إلى رسول الله ﷺ، ومن هنا قال مالك: أكره للرجل أن يقول: زرت قبر الرسول ﷺ.

وفسّره العلماء من أئمّة المالكية بأن ذلك من الأدب في التعبير اللفظي، ولو كان المسافر لزيارة القبر لا يقصد إلّا زيارة القبر فقط لما رأيت هذا الازدحام الشديد على الروضة المشرفة، ولما رأيت الناس يتسابقون ويتدافعون عند فتح أبواب المسجد النبويّ حتى ليكاد يقتل بعضهم بعضاً، وهؤلاء الذين يحرصون على الصلاة في المسجد والمسابقة إلى الروضة هم الذين جاءوا لزيارة محمد بن عبد الله ﷺ وشدّوا رحالهم إليها.

تحقيق مفيد

تحقيق العلامة الشيخ عطية محمد سالم صاحب تكملة أضواء البيان

وقد ذكر هذه المسألة العلامة الشيخ عطية محمد سالم القاضي بالمدينة المنوّرة في كتابه الذي تمّم به التفسير المشهور المسمى بأضواء البيان للعلامة المفسّر الشيخ محمد الأمين الشنقيطي فقال:

وأعتقد أن هذه المسألة لولا نزاع معاصري شيخ الإسلام معه في غيرها لما كان لها محل ولا مجال.

ولكنهم وجدوها حساسة ولها مساس بالعاطفة ومحبة رسول الله ﷺ، فأثاروها وحكموا عليه بالالتزام أي بلازم كلامه حينما قال:

لا يكون شدّ الرّحال لمجرد الزيارة، بل تكون للمسجد من أجل الزيارة عملاً بنصّ الحديث، فتقوّلوا عليه ما لم يقله صراحة ولو حمل كلامه على النفي بدلاً من النهي لكان موافقاً أي لا يتأتى ذلك لأنه رحمه الله لم يمنع زيارته ﷺ ولا السلام عليه، بل يجعلها من الفضائل والقربات، وإنما يلتزم بنصّ الحديث في جعل شدّ الرحال إلى المسجد ولكل شيء، ومنه السلام على رسول الله ﷺ كما صرّح بذلك في كتبه، اهـ كلام الشيخ عطية في أضواء البيان ٨/ ٥٨٦.

ثم نقل من نصوص كلام ابن تيمية ما نقلناه عنه ثم قال: فدلّ كلامه رحمه الله أن زيارة القبر والصلاة في المسجد مرتبطان، ومن ادعى انفكاكهما عملياً فقد خالف الواقع، وإذا ثبتت الرابطة بينهما انتفى الخلاف وزال موجب النزاع والحمد لله رب العالمين.

وصرّح في موضع آخر ص٣٤٦ في قصر الصلاة في السفر لزيارة قبور الصالحين عن أصحاب أحمد أربعة أقوال: الثالث منها: تقصر إلى قبر نبيّنا عليه الصّلاة والسّلام. أضواء البيان ٨/ ٥٩٠.

ثم قال الشيخ عطية: وهذا غاية في التصريح منه رحمه الله أنه لا انفكاك من حيث الواقع بين الزيارة والصلاة في المسجد عند عامة العلماء.

ثم قال في حق الجاهل: وأما من لم يعرف هذا فقد لا يقصد إلّا السفر إلى القبر، ثم إنه لا بد أن يصلّي في مسجده فيثاب على ذلك، وما فعله وهو منهي عنه، ولم يعلم أنه منهي عنه لا يعاقب فيحصل أجر ولا يكون عليه وزر.

[انظر أضواء البيان ج٨ ص٥٩٠]

وبه يظهر لك أن قاصد القبر على كل حال ليس بمحروم من الأجر والثواب فهل يقال في حقه: إنه مبتدع أو ضال أو مشرك؟ سبحانك هذا بهتان عظيم.

الإمــام
كمال الدّين ابن الهمام الحنفي والزيارة

قال الإمام كمال الدّين ابن الهمام المتوفى سنة ٨٦١هـ في كتابه (فتح القدير) في أواخر الكلام على الحجّ:

المقصد الثاني: في زيارة قبر النبيّ ﷺ: قال مشايخنا رحمهم الله تعالى: من أفضل المندوبات، وفي مناسك الفكر وشرح المختار: أنها قريبة من الوجوب لمن له سعة.

روى الدارقطني والبزار عنه ﷺ: «**من زار قبري وجبت له شفاعتي**».

وأخرج الدارقطني عنه عليه الصّلاة والسّلام: «**من جاء زائراً لا تعمله حاجة إلّا زيارتي كان حقاً عليَّ أن أكون شفيعاً له يوم القيامة**».

وأخرج الدارقطني أيضاً «**من حجّ وزار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي**» إلى أن قال: «**ثم يأتي القبر الشريف فيستقبل جداره ويستدبر القبلة**»، وما روي عن أبي الليث من أنه يقف مستقبل القبلة مردود بقول أبي حنيفة رضي الله عنه في مسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «**من السنة أن تأتي قبر النبيّ ﷺ من قبل القبلة، وتجعل ظهرك إلى القبلة وتستقبل القبر بوجهك**».

ثم قال ابن الهمام: ويسأل الله تعالى حاجته متوسلاً إلى الله بحضرة نبيّه ﷺ، وأعظم المسائل وأهمها حسن الخاتمة والرضوان والمغفرة ثم يسأل النبيّ

ﷺ الشفاعة فيقول: يا رسول الله أسألك الشفاعة وأتوسّل بك في أن أموت مسلماً على ملّتك وسنّتك، ويذكر كل ما كان من قبيل الاستعطاف والرفق، ثم قال: ويستحبّ أن يخرج كل يوم إلى البقيع بقيع الغرقد فيزور القبور التي به، ثم يأتي أحداً يوم الخميس مبكراً فيزور شهداء أحد، ويبدأ بقبر حمزة، ويزور أحداً نفسه، ففي الصحيح عنه ﷺ: «**أحد جبل يحبنا ونحبه**». وفي رواية لابن ماجه «**إنه على ترعة من ترع الجنة، وأن عيراً على ترعة من ترع النار**»، وعن ابن عمر رضي الله عنهما: مرّ رسول الله ﷺ بمصعب بن عمير فوقف على قبره وقال: «**أشهد أنكم أحياء عند الله، فزوروهم وسلموا عليهم فوالذي نفسي بيده لا يسلم عليهم أحد إلّا ردّوا عليه السلام إلى يوم القيامة**».

ثم قال: وإنه يستحب إذا عزم على الرجوع إلى أهله أن يأتي القبر الشريف فيسلم ويدعو بما أحب له ولوالديه إلخ.

المحدّث
الشيخ حسن العدوي المالكي والزيارة

قال الشيخ حسن العدوي المتوفى سنة ١٣٠٣هـ في كتابه «مشارق الأنوار»: اعلم أن زيارة قبره الشريف ﷺ من أعظم القربات وأرجى الطاعات، والسبيل إلى أعلى الدرجات ثم قال: وينبغي للزائر أن يستحضر من الخشوع ما أمكنه، وليكن مقتصداً في سلامه بين الجهر والإسرار، وينبغي للزائر أن يتقدم إلى القبر الشريف من جهة القبلة، وإن جاء من جهة رجلي الصاحبين فهو أبلغ في الأدب، ويستدبر القبلة ويقف قبالة وجهه الشريف ﷺ.

وقد روي أن أبا جعفر المنصور الخليفة العباسي سأل مالكاً: يا أبا عبد الله! أأستقبل رسول الله ﷺ وأدعو أم أستقبل القبلة وأدعو؟ فقال له مالك رضي الله عنه: ولمَ تصرف وجهك عنه ﷺ وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله عزّ وجلّ يوم القيامة، ثم يقول: السلام عليك إلخ.

ويلازم الأدب والخشوع والتواضع غاضّ البصر في مقام الهيبة كما كان يفعل بين يديه في حياته، ويستحضر علمه بوقوفه بين يديه وسماعه لسلامه كما هو في حال حياته ﷺ، إذ لا فرق بين موته وحياته في مشاهدته لأمته ومعرفة أحوالهم ونياتهم وعزائمهم وخواطرهم وذلك عندي جليّ لا خفاء فيه.

وقد روى ابن المبارك عن سعيد بن المسيب: ليس من يوم إلّا ويعرض على النبيّ ﷺ أعمال أمته غدوة وعشية فيعرفهم بسيماهم وأعمالهم فلذلك يشهد عليهم.

ويتمثل الزائر وجهه الكريم في ذهنه، ويحضر قلبه جلال رتبته وعلو منزلته، ثم يقول الزائر بحضور قلب وغضّ طرف وصوت وسكون جوارح: السلام عليك يا رسول الله.

وعن الحسن البصري قال: وقف حاتم الأصم على قبره ﷺ فقال: يا رب! إنا زرنا قبر نبيك فلا تردّنا خائبين، فنودي: يا هذا! ما أذنا لك في زيارة حبيبنا إلّا وقد قبلناك، فارجع أنت ومن معك من الزوار مغفوراً لهم.

وبعد السلام على صاحبيه يرجع قبالة وجهه الشريف ويجدّد التوبة ويسأل الله تعالى بجاهه ﷺ أن يجعلها توبة نصوحاً.

أفبعد هذه الأحاديث الناطقة والآيات الساطعة وآراء أئمّة المذاهب الأربعة التي تحدثت أدلتها وتكلمت آياتها أروع بيان وأجلى حجّة عن سنية الزيارة وتقرير استحبابها، وبالغ الترغيب في شدّ الرّحال والسفر إليها بما لا يدع مجالاً للتأويل، ولا يترك باباً للتحريف والتبديل يتوكأ ويقف الابتداع عليه. ﴿يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ﴾ [الأحقاف: ٣١] يصلح لكم قلوبكم ويشف صدوركم.

الإمام
عبد القادر الجيلاني الحنبلي
رضي الله عنه

قال الإمام عبد القادر الجيلاني الحنبلي المتوفى سنة ٥٦١هـ في كتابه «الغنية» وإليه يرجع سند ابن تيمية في الفقه الحنبلي:

ثم يأتي القبر الشريف وليكن بحذائه بينه وبين القبلة، ويجعل جدار القبلة خلف ظهره والقبر أمامه تلقاء وجهه والمنبر عن يساره وليقل: السلام عليك أيها النبيّ ورحمة الله وبركاته، ثم يقول: اللهمّ إني أتوجه إليك بنبيك عليه سلامك نبيّ الرحمة، يا رسول الله! إني أتوجه إلى ربي ليغفر لي ذنوبي، اللهمّ إني أسألك بحقه أن تغفر لي وترحمني...

تفصيل كلام
الإمام النووي الشافعي
رضي الله عنه

قال الإمام النووي المتوفى سنة ٦٧٦هـ في المناسك: الباب السادس في زيارة قبر مولانا وسيدنا رسول الله ﷺ وشرف وكرم إلخ:

اعلم أن لمدينة رسول الله - ﷺ - أسماء جمّة، وعدّها وذكر سبب تسميتها، ثم قال: في الباب مسائل الأولى: إذا انصرف الحجّاج والمعتمرون من مكة فليتوجهوا إلى مدينة رسول الله ﷺ لزيارة تربته فإنها من أعظم القربات وأنجح المساعي.

وقد روى البزار والدارقطني بإسنادهما عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من زار قبري وجبت له شفاعتي**» إلى أن قال: ثم يأتي القبر الشريف فيستدبر القبلة ويستقبل جدار القبر ويقف ناظراً إلى أسفل ما يستقبله غاضّ الطرف في مقام الهيبة والإجلال فارغ القلب من علائق الدنيا مستحضراً في قلبه جلال موقفه ومنزلة من هو بحضرته ﷺ، ثم يسلم على رسول الله ﷺ ولا يرفع صوته وليقتصر فيقول: السلام عليك يا رسول الله، ثم إن كان أحد أوصاه بالسلام على رسول الله فليقل: السلام عليك من فلان، ثم يرجع إلى موقفه الأول قبالة وجه رسول الله ﷺ ويتوسّل إليه في حق نفسه ويتشفع به إلى ربه، ومن أحسن ما يقوله ما حكاه أصحابنا عن العتبي قال: كنت جالساً عند قبر النبيّ ﷺ فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ [النساء: ٦٤]، وقد جئتك مستغفراً من ذنبي مستشفعاً بك إلى ربي، ثم أنشأ يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه ... فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرم
أنت الشفيع الذي ترجى شفاعته ... على الصراط إذا ما زلّت القدم
وصاحباك فلا أنساهما أبداً ... مني السلام عليكم ما جرى القلم

قال: **ثم انصرف فغلبتني عيناي**، فرأيت رسول الله ﷺ في النوم فقال: يا عتبي! الحق الأعرابي وبشّره **بأن الله تعالى قد غفر له**.

ثم قال: ويستحبّ أن يزور قبور الشهداء بأحد، إلى أن قال: وإذا أراد السفر من المدينة استحب أن يودع المسجد بركعتين ويدعو بما أحب ويأتي القبر ويعيد نحو السلام والدعاء إلخ.

فتوى كبار علماء الحديث في الهند في شدّ الرّحال

سئل جماعة كبار علماء الحديث من أهل السنة والجماعة في الهند عن مسألة شدّ الرّحال لزيارة خير الأنام سيدنا محمد ﷺ فأجابوا بجواب سديد مفيد وهذا نصّ السؤال والجواب كما جاء في كتاب «المفنّد على المهند» وفي آخره ذكر أسماء العلماء.

نـصّ السـؤال:

ما قولكم في شدّ الرّحال إلى زيارة سيد الكائنات عليه أفضل الصلوات والتحيّات وعلى آله وصحبه؟ أي الأمرين أحبّ إليكم وأفضل لدى أكابركم للزائر؟ هل ينوي وقت الارتحال للزيارة زيارته عليه الصّلاة والسّلام أو ينوي المسجد أيضاً؟ وقد قال بعضهم: إن المسافر إلى المدينة لا ينوي إلّا المسجد النبويّ.

نـصّ الجـواب:

بسم الله الرحمن الرحيم. ومنه نستمدّ العون والتوفيق وبيده أزمة التحقيق حامداً ومصلياً ومسلماً.

ليعلم **أولاً** قبل أن نشرع في الجواب أنّا بحمد الله ومشائخنا رضوان الله عليهم أجمعين وجميع طائفتنا وجماعتنا مقلدون لقدوة الأنام وذروة الإسلام الإمام الهمام الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان رضي الله تعالى عنه في الفروع ومتبعون للإمام الهمام أبي الحسن الأشعري والإمام الهمام أبي منصور الماتريدي رضي الله عنهما في الاعتقاد والأصول ومنتسبون من طرق الصوفية إلى الطريقة العلية المنسوبة إلى السادة النقشبندية والطريقة الزكية المنسوبة إلى السادة الجشتية وإلى الطريقة البهية المنسوبة إلى السادة السهروردية رضي الله عنهم أجمعين، ثم **ثانياً**: أنّا لا نتكلم بكلام ولا نقول قولاً في الدّين إلا عليه وعندنا دليل من الكتاب أو السنة أو إجماع الأمة أو قول من أئمّة المذهب ومع ذلك لا ندعي أنّا لمبرؤون من الخطأ والنسيان في ضلّة القلم وزلّة اللسان فإن ظهر لنا أنا أخطأنا في قول سواء كان من الأصول والفروع فما يمنعنا الحياء أن

نرجع عنه ونعلن بالرجوع كيف لا وقد رجع أئمتنا رضوان الله عليهم في كثير من أقوالهم حتى أن إمام حرم الله تعالى المحترم إمامنا الشافعي رضي الله عنه لم يبق مسألة إلا وله فيها قول جديد، والصحابة رضي الله عنهم رجعوا في مسائل إلى أقوال بعضهم كما لا يخفى على متتبع الحديث، فلو ادعى أحد من العلماء أنا غلطنا في حكم فإن كان من الاعتقاديات فعليه أن يثبت بنصّ من أئمّة الكلام وإن كان من الفرعيات فيلزم أن يبني بنيانه على القول الراجح من أئمّة المذهب، فإذا فعل ذلك فلا يكون منّا إن شاء الله تعالى إلا الحسنى والقبول بالقلب واللسان وزيادة الشكر بالجنان والأركان.

وثالثاً: أن في أصل اصطلاح بلادنا الهند كان إطلاق الوهابي على من ترك تقليد الأئمّة رضي الله عنهم ثم اتسع فيه وغلب استعماله على من عمل بالسنة السنية وترك الأمور المستحدثة الشنيعة والرسوم القبيحة حتى شاع في بمباي ونواحيها أن من منع عن سجدة قبور الأولياء وطوافها فهو وهابي، بل ومن أظهر حرمة الربا فهو وهابي وإن كان من أكابر أهل الإسلام وعظمائهم، ثم اتّسع فيه حتى صار سبّاً، فعلى هذا لو قال رجل من أهل الهند لرجل إنه وهابي فهو لا يدل على أنه فاسد العقيدة بل يدل على أنه سني حنفي عامل بالسنة مجتنب عن البدعة خائف من الله تعالى في ارتكاب المعصية، ولما كان مشايخنا رضي الله تعالى عنهم يسعون في إحياء السنة ويشمّرون في إخماد نيران البدعة غضب جند إبليس عليهم وحرفوا كلامهم وبهتوهم وافتروا عليهم الافتراءات ورموهم بالمبتدعة وحاشاهم عن ذلك بل وتلك سنة الله التي سنّها في خواصّ أوليائه كما قال الله تعالى في كتابه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢]. فلما كان ذلك في الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه وجب أن يكون في خلفائهم ومن يقوم مقامهم كما قال رسول الله ﷺ: «**نحن معاشر الأنبياء أشد بلاء ثم الأمثل فالأمثل**» ليتوفر حظهم ويكمل لهم أجرهم فالذين ابتدعوا البدعات ومالوا إلى الشهوات واتخذوا إلههم الهوى وألقوا أنفسهم في هاوية الردى يفترون علينا الأكاذيب والأباطيل وينسبون إلينا الأضاليل فإذا نسب إلينا في حضرتكم قول يخالف المذهب فلا تلتفتوا إليه لا تظنوا بنا إلّا خيراً وإن اختلج في صدوركم فاكتبوا إلينا فإنا نخبركم بحقيقة الحال والحق من المقال فإنكم عندنا قطب دائرة الإسلام.

توضيح الجواب :

عندنا وعند مشايخنا زيارة قبر سيد المرسلين (روحي فداه) من أعظم القربات وأهم المثوبات وأنجح لنيل الدرجات بل قريبة من الواجبات وإن كان حصوله بشدّ الرّحال وبذل المهج والأموال وينوي وقت الارتحال زيارته عليه ألف ألف تحية وسلام وينوي معها زيارة مسجده ﷺ وغيره من البقاع والمشاهد الشريفة بل الأولى ما قال العلامة الهمام ابن الهمام أن يجرد النية لزيارة قبره عليه الصّلاة والسّلام ثم يحصل له إذا قدم زيارة المسجد لأن في ذلك زيادة تعظيمه وإجلاله ﷺ ويوافقه قوله ﷺ: **«من جاءني زائراً لا تحمله حاجة إلّا زيارتي كان حقاً عليَّ أن أكون شفيعاً له يوم القيامة»**، وكذا نقل عن العارف السامي الملا جامى أنه أفرز الزيارة عن الحج وهو أقرب إلى مذهب المحبِّين، وأما ما قال المعارضون من أن المسافر إلى المدينة المنوّرة على ساكنها ألف ألف تحية لا ينوي إلّا المسجد الشريف استدلالاً بقوله عليه الصّلاة والسّلام: **«لا تشدّ الرّحال إلّا إلى ثلاثة مساجد»** فمردود لأن الحديث لا يدل على المنع أصلاً بل لو تأمله ذو فهم ثاقب العلم أنه بدلالة النصّ يدل على الجواز فإن العلة التي استثنى بها المساجد الثلاثة من عموم المساجد أو البقاع هو فضلها المختص بها وهو مع الزيارة موجودة في البقعة الشريفة، فإن البقعة الشريفة والرحبة المنيفة التي ضمت أعضاءه ﷺ أفضل مطلقاً حتى من الكعبة ومن العرش والكرسي كما صرّح به فقهاؤنا رضي الله عنهم، ولما استثنى المساجد لذلك الفضل الخاص فأولى ثم أولى أن يستثني البقعة المباركة لذلك الفضل العام وقد صرّح بالمسألة كما ذكرناه بل بأبسط منها شيخنا العلامة شمس العلماء العاملين مولانا رشيد أحمد الكنكوهي قدس الله سره العزيز في رسالته زبدة المناسك في فضل زيارة المدينة المنوّرة وقد طبعت مراراً، وأيضاً في هذا المبحث الشريف رسالة شيخ مشايخنا مولانا المفتي صدر الدّين الدهلوي قدس الله سره العزيز أقام فيها الطامة الكبرى على من يدّعي السلفية ومن وافقهم وأتى ببراهين قاطعة وحجج ساطعة سماها «أحسن المقال في حديث لا تشدّ الرّحال» طبعت واشتهرت فليرجع إليها والله تعالى أعلم.

أصحاب الفتوى والمؤيدون

١ ـ العلامة المحدّث رشيد أحمد الكنكوهي.
٢ ـ العلامة الشيخ المحدّث خليل أحمد السهارنفوري.
٣ ـ العلامة المحدّث الشيخ محمود الحسن الدّيوبندي.
٤ ـ العلامة الشيخ مير أحمد حسن الحسيني.

٥ ـ العلامة المحدّث الشيخ عزيز الرحمن الدّيوبندي.
٦ ـ العلامة المرشد الشيخ أشرف علي التهانوي.
٧ ـ العلامة الشيخ الشاه عبد الرحيم الرانفوري.
٨ ـ الشيخ الحاج الحكيم محمد حسن الدّيوبندي.
٩ ـ المولوي قدرت الله.
١٠ ـ المولوي المفتي كفايت الله.
١١ ـ العلامة الشيخ محمد يحيى سهارنفوري.

تأييد علماء مكة المكرمة لفتوى علماء الهند

وقد أيّد هذه الفتوى جملة من كبار الفقهاء والعلماء بمكة المكرمة منهم العلامة الشيخ محمد سعيد بن محمد بابصيل مفتي الشافعية، ورئيس العلماء بمكة المكرمة والإمام والخطيب بالمسجد الحرام، والشيخ أحمد رشيد خان نواب والشيخ العلامة الفقيه المفتي محمد عابد بن حسين المالكي مفتي المالكية بمكة المحمية، والشيخ العلامة المحقق محمد علي بن حسين المالكي الإمام والمدرّس بالمسجد الحرام.

تأييد علماء المدينة المنوّرة

وقرظ هذه الفتوى وأيّدها علماء المدينة ومنهم: العلامة الفقيه السيد أحمد بن إسماعيل البرزنجي، وشيخ المالكية بالحرم النبويّ الشيخ أحمد الجزائري، والسيد محمد زكي البرزنجي، والشيخ عمر حمدان المحرسي المحدّث المشهور، والشريف أحمد بن المأمون البلغيث، والشيخ موسى كاظم، والشيخ ملا محمد خان، والشيخ خليل بن إبراهيم، والشيخ محمد العزيز الوزير التونسي، والشيخ محمد السوسي الخياري، والحاج أحمد بن محمد خير الشنقيطي، والشيخ محمد بن عمر الفلاني، والشيخ أحمد بن أحمد أسعد، والشيخ محمد منصور بن نعمان، والشيخ أحمد بساطي، والشيخ محمد حسن سندي، والشيخ محمود عبد الجواد.

تأييد علماء الأزهر

وأيّد ذلك أيضاً شيخ الأزهر الشيخ سليم البشري، والشيخ محمد إبراهيم القاياتي.

تأييد علماء الشام

الشيخ الفقيه المحدّث محمد أبو الخير الشهير بابن عابدين الحسيني حفيد ابن عابدين صاحب الفتاوى، والشيخ مصطفى بن أحمد الشطي الحنبلي، والشيخ محمود رشيد العطار الدمشقي تلميذ الشيخ بدر الدّين محدّث الشام، والشيخ محمود البوشي الحموي، والشيخ محمد سعيد الحموي، والشيخ علي بن محمد الدلال الحموي، والشيخ محمد أديب الحوراني المدرس بجامع السلطان بحماه، والشيخ عبد القادر اللبابيدي، والشيخ محمد سعيد لطفي الحنفي، والشيخ فارس بن أحمد الشقفة، والشيخ مصطفى الحداد الحموي.

اعتناء السلف بالسلام على النبيّ ﷺ

عند قبره الشريف أصالة ونيابة

قد استفاض عن عمر بن عبد العزيز أنه كان يبرد البريد من الشام يقول: سلّم لي على رسول الله ﷺ.

وصحّ أن ابن عمر كان إذا قدم من سفر أتى قبر النبيّ ﷺ فقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر الصديق السلام عليك يا أبتاه.

وفي الموطأ أن ابن عمر رضي الله عنهما كان يقف على قبر النبيّ ﷺ، فيصلي على النبيّ ﷺ وعلى أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ.

وعن ابن القاسم والقعنبي: ويدعو لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

وعن ابن عون: سأل رجل نافعاً هل كان ابن عمر يسلّم على القبر؟ قال: نعم لقد رأيته مائة مرة أو أكثر من مائة مرة كان يأتي على القبر فيقوم عنده فيقول: السلام على النبيّ، السلام على أبي بكر، السلام على أبي.

وفي فتوح الشام أن عمر رضي الله عنه قال لكعب الأحبار بعد فتح بيت المقدس: هل لك أن تسير معي إلى المدينة وتزور قبر النبيّ ﷺ فقال: نعم يا أمير المؤمنين. ولما قدم عمر المدينة أول ما بدأ بالمسجد وسلم على رسول الله ﷺ.

جابر بن عبد الله يبكي عند قبر رسول الله ﷺ:

قال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي، أخبرنا حامد بن محمد بن عبد الله الهروي، حدّثنا محمد بن يونس القرشي حدّثنا عبد الله بن يونس بن عبيد حدّثنا أبي عن محمد بن المنكدر أنه قال: رأيت جابراً وهو يبكي عند قبر

رسول الله ﷺ وهو يقول: ههنا تسكب العبرات سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة**» رواه البيهقي في شعب الإيمان ٨/ ٩٩.

قال المعلق الندوي: إسناده ضعيف والحديث أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٣٨٩ وأبو يعلى في مسنده ٣/ ٣١٩ ـ ٣٢٠ رقم: ١٧٨٤ والبزار في مسنده: (٢/ ٥٧ كشف الأستار) من طريق علي بن زيد بن جدعان عن محمد بن المنكدر عن جابر به.

روى أبو حنيفة رحمه الله عن ابن عمر أنه قال: من السنة أن يأتي قبر النبيّ ﷺ من قبل القبلة.

وما رواه أحمد وغيره من وجدان مروان أبا أيوب الأنصاري واضعاً وجهه على القبر.

وفي الشفا قال بعضهم: رأيت أنس بن مالك أتى إلى قبر النبيّ ﷺ فوقف فرفع يديه حتى ظننت أنه افتتح الصلاة فسلم على النبيّ ﷺ ثم انصرف.

وللبزار: خرج عمر إلى منبر رسول الله ﷺ، فإذا معاذ بن جبل قائم يبكي عند قبر رسول الله ﷺ فقال: ما يبكيك يا معاذ؟... الحديث.

وأخرج الحافظ أبو ذر الهروي في أواخر كتاب السنة له من طريق محمد بن يوسف بن الطباخ، قال: حدّثنا مصعب قال: قال الدراوردي: رأيت جعفر بن محمد أي الصادق بن الباقر، جاء فسلم على رسول الله ﷺ ثم انثنى، فسلم على أبي بكر وعمر، فرآني كأني تعجبت، أو قال: فسرني أي لإكذابه بذلك ما تزعمه الشيعة من بغضه للشيخين قال: فقال لي: والله إن هذا الذي أدين الله به، وإنه ما يسرني أن أقول لمعاوية: أخزاه الله، أو فعل الله به وأن لي الدنيا.

وأخرج الدارقطني في الفضائل عن عبد الله بن جعفر: أن علي بن أبي طالب دخل المسجد فبكى حيث نظر إلى بيت فاطمة، فأطال البكاء ثم انصرف إلى قبر النبيّ ﷺ، فبكى فأطال البكاء عنده، ثم قال: وعليكما السلام يا أخوي ورحمة الله، قد كنتما هاديين مهديين، خرجتما من الدنيا خميصين يعني أبا بكر وعمر.

وذكر ابن عبد البر والبلاذري وغيرهما: أن زياد ابن أبيه أراد الحج، فأتاه أبو بكرة وهو لا يكلمه، فأخذ ابنه ليخاطبه ويسمع زياداً، فقال: إن أباك فعل وفعل، وإنه يريد الحج وأم حبيبة هناك، فإن أذنت له فأعظم بها مصيبة وخيانة لرسول الله ﷺ، وإن هي حجبته فأعظم بها حجّة عليه.

قال البلاذري: فترك الحج تلك السنة، وقيل غير ذلك، فلولا أن إتيان

المدينة والزيارة للحاج عندهم مما لا يترك، ما قال أبو بكرة ذلك مع تمكن زياد من الحج على غير طريق المدينة، فإنه كان بالعراق ومكة أقرب إليه.

وفي «الشفاء» قال إسحاق بن إبراهيم الفقيه: ومما لم يزل من شأن من حج المرور بالمدينة، والقصد إلى الصلاة في مسجد رسول الله ﷺ، والتبرك برؤية روضته، ومنبره وقبره، ومجلسه، وملامس يديه ومواطئ قدميه، والعمود الذي يستند إليه وينزل جبريل بالوحي فيه عليه، ومن عمده وقصده من الصحابة وأئمّة المسلمين والاعتبار بذلك كله.

إرسال السلام بالبريد:

روى البيهقي في الشعب قال: حدّثنا عبد الله بن يوسف الأصفهاني أخبرنا إبراهيم بن فراس بمكة، حدّثني محمد بن صالح الرازي، حدّثنا زياد بن يحيى عن حاتم بن وردان أنه قال: كان عمر بن عبد العزيز يوجّه بالبريد قاصداً إلى المدينة ليقرئ عنه النبيّ ﷺ السلام.

أخبرنا أبو سعيد بن أبي عمرو، وأخبرنا أبو عبد الله الصفار حدّثنا ابن أبي الدنيا حدّثني إسحاق بن حاتم المدايني، حدّثنا ابن أبي فديك عن رباح بن بشير عن يزيد بن أبي سعيد المهري أنه قال: قدمت على عمر بن عبد العزيز إذ كان خليفة بالشام فلما ودّعته قال: إن لي إليك حاجة إذا أتيتَ المدينة سترى قبر النبيّ ﷺ فأقرئه مني السلام.

قال محمد بن إسماعيل بن أبي فديك: فحدثتُ به عبد الله بن جعفر فقال: أخبرني فلان أن عمر كان يبرد إليه بالبريد من الشام.

[كذا في الجامع لشعب الإيمان ج٨ ص١٠٠ ـ ١٠١]

وقال الإِمام أبو بكر بن عمر بن أبي عاصم النبيّل من المتقدمين في مناسك له التزم فيها الثبوت، وكان عمر بن عبد العزيز يبعث بالرسول قاصداً من الشام إلى المدينة ليقرئ النبيّ ﷺ السلام ثم يرجع.

قلت: وهذا مما استفاض عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه.

صوت وسلام
وأذان يسمع من القبر النبويّ

روى الإِمام الحافظ أبو محمد عبد الله الدارمي في كتابه السنن الذي يعتبر من كتب الأصول الحديثية الستة، قال: أخبرنا مروان بن محمد عن سعيد بن

عبد العزيز قال: لما كان أيام الحرّة لم يؤذن في مسجد النبيّ ﷺ ثلاثاً، ولم يقم، ولم يبرح سعيد بن المسيب من المسجد، وكان لا يعرف وقت الصلاة إلّا بهمهمة يسمعها من قبر النبيّ ﷺ فذكر معناه اهـ من سنن الدارمي (ج١ ص٤٤) ونقله الشيخ محمد بن عبد الوهاب في أحكام تمني الموت من مجموعة مؤلفاته (ج٣ ص٤٧).

ونقل هذه الرواية الإمام مجد الدّين الفيروزآبادي صاحب القاموس في الصلات والبشر ص١٥٤، وقال إبراهيم بن شيبان: حججت فجئت المدينة فتقدمت إلى قبر النبيّ ﷺ فسلمت عليه فسمعت من داخل الحجرة: وعليك السلام.

قال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو قالا حدّثنا أبو عبد الله الصفار حدّثنا أبو بكر بن أبي الدنيا حدّثني سويد بن سعيد حدّثني ابن أبي الرجال عن سليمان بن سحيم قال: رأيت النبيّ ﷺ في النوم قلت: يا رسول الله! هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون عليك أتفقه سلامهم؟ قال: نعم وأردّ عليهم. قال المعلق الندوي: إسناده حسن (الجامع لشعب الإيمان ٨/ ١٠٠).

تأييد ابن تيمية لهذه الوقائع

ذكر الشيخ ابن تيمية هذه الوقائع في معرض كلامه عن اتخاذ القبر مسجداً أو وثناً يعبد، ثم قال: ولا يدخل في هذا الباب ما يروى من أن قوماً سمعوا ردّ السلام من قبر النبيّ ﷺ أو قبور غيره من الصالحين، وأن سعيد بن المسيب كان يسمع الأذان من القبر ليالي الحرّة ونحو ذلك اهـ، (اقتضاء الصراط المستقيم ص٣٧٣).

ثم قال في موضع آخر: وكذلك ما يذكر من الكرامات وخوارق العادات التي توجد عند قبور الأنبياء والصالحين مثل نزول الأنوار والملائكة عندها وتوقي الشياطين والبهائم لها واندفاع النار عنها وعمن جاورها وشفاعة بعضهم في جيرانه من الموتى واستحباب الاندفان عند بعضهم وحصول الأنس والسكينة عندها ونزول العذاب بمن استهان بها، فجنس هذا حق ليس مما نحن فيه، وما في قبور الأنبياء والصالحين من كرامة الله ورحمته، وما لها عند الله من الحرمة والكرامة فوق ما يتوهمه أكثر الخلق، لكن ليس هذا موضع تفصيل ذلك اهـ، (من اقتضاء الصراط المستقيم ص٣٧٤).

لا تجعلوا قبري عيداً

هذا الحديث رواه أبو هريرة عن النبيّ ﷺ ولفظه: «**لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ولا تجعلوا قبري عيداً وصلوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم**» رواه أبو داود.

واختلف في رواية عبد الله بن نافع الصائغ فقال أحمد: كان ضعيفاً، وكذلك أبو حاتم الرازي ووثقه يحيى بن معين، وقال أبو زرعة: لا بأس به، كذا في مختصر أبي داود للمنذري ج٢/ ٤٤٧.

وفي مجمع الزوائد رواه أبو يعلى وفيه حفص بن إبراهيم الجعفري ذكره ابن أبي حاتم ولم يذكر فيه جرحاً وبقية رجاله ثقات، مجمع الزوائد ج٣ ص٣.

قال الحافظ زكي الدّين المنذري: يحتمل أن يكون المراد به الحثّ على كثرة زيارة قبره ﷺ وأن لا يهمل حتى لا يزار إلّا في بعض الأوقات كالعيد الذي لا يأتي في العام إلّا مرتين، ومنهم من فهم منه النهي عن أن يجعل للزيارة يوم خاص لا تكون إلّا فيه كما أن العيد كذلك، وإنما الذي ينبغي هو أن يزار عليه الصّلاة والسّلام كلما تيسر ذلك من غير تخصيص بيوم، ذكر هذا التأويل التقي السبكي.

ومنهم من فهم أن معناه: النهي عن سوء الأدب عند زيارته عليه الصّلاة والسّلام باللهو واللعب كما يفعل عند العيد، وإنما يزار للسلام عليه والدعاء عنده ورجاء بركة نظره ودعائه وردّ سلامه مع المحافظة على الأدب اللائق بهذه الحضرة الشريفة النبويّة، ولعل هذا هو الأقرب إن شاء الله، فإن من عادة أهل الكتاب الإغراق في اللهو والزينة واللعب عند زيارة أنبيائهم وصالحيهم فنهى عليه الصّلاة والسّلام الأمة أن يتشبهوا بهم في هذا اللهو واللعب عند زيارته عليه الصّلاة والسّلام، بل عليهم أن يأتوا لزيارته مستغفرين تائبين وأن يكونوا إذا زاروه بعد وفاته كما يكونون بين يديه في حياته.

واعلم أن زيارته عليه الصّلاة والسّلام خير وأن الإكثار من الخير خير. وعلى الزائر أن يلتزم الأدب ويجتنب اللهو واللعب، وعلى الزجر عن سوء الأدب يحمل الأثر الذي رواه عبد الرزاق في مصنفه بسنده أن الحسن بن الحسن رأى قوماً عند القبر النبويّ فنهاهم وساق لهم قول جده عليه الصّلاة والسّلام: «**لا تجعلوا قبري عيداً**» الحديث.

وهو يؤيد أن معناه النهي عن سوء الأدب عند الزيارة وعن التسامح عندها بما يكون من اللهو عند الأعياد وليس نهياً عن الزيارة، قال شيخ الإسلام التقي

رضي الله عنه: وكيف يتخيل في أحد من السلف منعه من زيارة المصطفى ﷺ وهم مجمعون على زيارة سائر الموتى اهـ.

قال محيي السنة ومميت البدعة ابن الحاج في كتابه: «المدخل» وهو معاصر لابن تيمية وتوفي بعده بسنوات في فصل زيارة القبور:

وأما عظيم جناب الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فيأتي عليهم الزائر ويتعين عليه قصدهم من الأماكن البعيدة، فإذا جاء إليهم فليتّصف بالذلّ والانكسار والمسكنة والفقر والفاقة والحاجة والاضطرار والخضوع وليحضر قلبه وخاطره إليهم، وإلى مشاهدتهم بعين قلبه لا بعين بصره لأنهم لا يبلون ولا يتغيرون، ثم يثني على الله بما هو أهله ثم يصلي عليهم ويترضّى عن أصحابهم ثم يترحم على التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدّين ثم يتوسّل إلى الله بهم في قضاء مآربه ومغفرة ذنوبه ويستغيث بهم، ويطلب حوائجه منهم ويجزم بالإجابة ببركتهم ويقوي حسن ظنه في ذلك فإنهم باب الله المفتوح، وجرت سنّته سبحانه وتعالى بقضاء الحوائج على أيديهم وبسببهم، ومن عجز عن الوصول إليهم فليرسل بالسلام عليهم، ويذكر ما يحتاج إليه من حوائجه ومغفرة ذنوبه وستر عيوبه، فإنهم السادة الكرام، والكرام لا يردّون من سألهم ولا من توسّل بهم ولا من قصدهم ولا من لجأ إليهم، هذا الكلام في زيارة الأنبياء والمرسلين عموماً، قال رضي الله عنه:

فصل:

وأما في زيارة سيد الأولين والآخرين صلوات الله عليه وسلامه فكل ما ذكر يزيد أضعافه أعني في الانكسار والذلّة والمسكنة لأنه الشافع المشفع الذي لا تردّ شفاعته، ولا يخيب من قصده ولا نزل بساحته، ولا من استعان أو استغاث به إذ أنه عليه الصّلاة والسّلام قطب دائرة الكمال وعروس المملكة ثم قال:

فمن توسّل به أو استغاث به أو طلب حوائجه منه فلا يردّ ولا يخيب لما شهدت به المعاينة والآثار، ويحتاج إلى الأدب الكلي في زيارته عليه الصّلاة والسّلام، وقد قال علماؤنا رحمة الله عليهم: إن الزائر يشعر نفسه بأنه واقف بين يديه عليه الصّلاة والسّلام كما هو في حياته إذ لا فرق بين موته وحياته أعني في مشاهدته لأمته ومعرفة أحوالهم ونياتهم وعزائمهم وخواطرهم وذلك عنده جليّ لا خفاء فيه ـ إلى أن قال ـ فالتوسّل به عليه الصّلاة والسّلام محل حطّ أحمال الأوزار، وأثقال الذنوب والخطايا لأن بركة شفاعته عليه الصّلاة والسّلام

وعظمها عند ربه لا يتعاظمها ذنب إذ أنها أعظم من الجميع فليستبشر من زاره وليلجأ إلى الله بشفاعة نبيّه عليه الصّلاة والسّلام من لم يزره، اللهمّ لا تحرمنا من شفاعته بحرمته عندك آمين يا رب العالمين. ومن اعتقد خلاف ذلك فهو محروم. فانظر إلى هذا الكلام الذي يفيض تقى، ويرشح إيماناً من هذا العالم الذي أمضى حياته في إحياء السنة والتباعد عن البدعة، وانظر إلى قوله: قال علماءنا كيف يشير إلى أن ما نقله قد اجتمع عليه العلماء، وانظر إلى قوله رضي الله عنه: ومن اعتقد خلاف هذا فهو محروم.

فتوى الشيخ
سعد بن عتيق الحنبلي النجدي

يقول الشيخ سعد بن عتيق في الزيارة في كتابه المجموع المفيد:

أما مسألة شدّ الرّحل لزيارة قبر النبيّ ﷺ فقد جوّز طائفة من متأخري العلماء شدّ الرّحل إلى قبر النبيّ ﷺ، وكذلك قبور الصالحين وخالفهم طوائف من المحققين، والذي نعتقد هو ما دلَّ عليه الحديث الصحيح عن النبيّ ﷺ أنه قال: **«لا تشدّ الرّحال إلّا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى»**. وبهذا الحديث الصحيح تعرف بطلان قول المجوزين فإن كل قول يخالف قول سيد المرسلين مردود على قائله مضروب به في وجهه لا يلتفت إليه ولا يعول عليه. (اهـ من المجموع المفيد من فتاوى الشيخ سعد بن عتيق).

قلت: لقد أنصف هذا العالم الجليل إذ بيّن قول الجانب الآخر من العلماء وإن كان يخالف رأيه ثم بيّن ما يعتقده هو بقوله: (والذي نعتقده إلخ) فهذا منه غاية الإنصاف. وانظر الفرق بين موقفه هذا العادل المنصف وبين موقف ما ابتلينا بهم في هذا العصر من جماعة المكفرين الذين يكفرون كل من يقول بشدّ الرّحل أو الزيارة أو التوسّل بالنبيّ ﷺ.

«اللهمّ لا تجعل قبري وثناً يعبد»:

هذا الحديث رواه أحمد بلفظ: **«اللهمّ لا تجعل قبري وثناً لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»** كذا في مسند أحمد ٢/ ٢٤٦، ورواه مالك في الموطأ مرسلاً ١/ ١٧٢ وكذلك رواه أبو يعلى وفيه إسحاق بن أبي إسرائيل وفيه كلام وبقية رجاله ثقات، كذا في مجمع الزوائد ج٣ ص٣، قال الزرقاني: فالحديث صحيح عند من يحتج بمراسيل الثقات وعند من قال بالمسند لإِسناد

عمر بن محمد له بلفظ الموطأ وهو ممن تقبل زيادته وله شاهد عند العقيلي، كذا في شرح الزرقاني الموطأ ج١ ص٣٥١.

اعلم أن كون قبره ﷺ في موضعه هذا الذي هو في داخل حجرته التي هي في داخل مسجده من الأمور التي اتفق عليها العلماء الأعلام وأئمّة الإسلام من السلف الصالح منذ عهد الصحابة رضوان الله تعالى عنهم أجمعين.

وقد جاء في الحديث الصحيح ما يدلّ على أن قبره ﷺ محفوظ من وقوع الشرك والوثنية لأنه طلب ودعا أن لا يكون قبره وثناً يعبد، ودعاؤه ﷺ مستجاب، قال ﷺ: «**اللهمّ لا تجعل قبري وثناً يعبَد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**». ومعنى الحديث الشريف على ما تعطيه رواياته من جميع طرقه النهي عن أن يقصد القبر بالصلاة عليه أو إليه تعظيماً لصاحب القبر أو للقبر فإن ذلك كان ذريعة لمن سبق من الأمم إلى الشرك وعبادة القبور وأهلها.

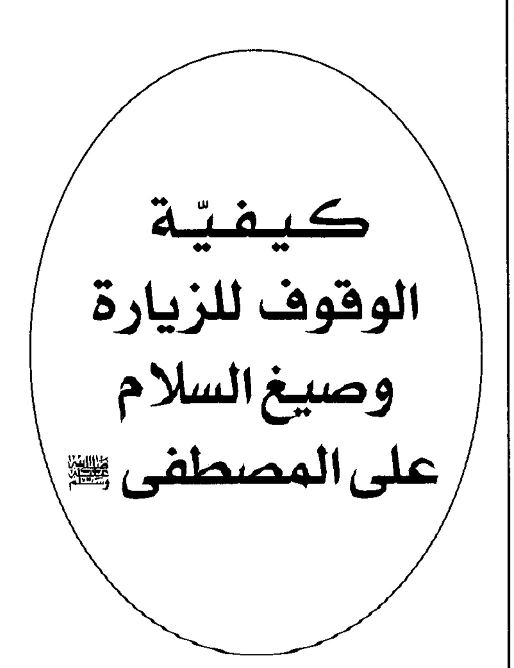
وقد اعتبر الشارع بهذا النهي هذه الذريعة فسدّها على أمته لئلا يقعوا فيما وقع فيه الأمم قبلهم، وقد حقّق الله رجاءه واستجاب دعاءه فليس في المسلمين من يعظم قبره ﷺ بالصلاة عليه أو إليه.

واحتاط الأولون من هذه الأمة ـ شكر الله سعيهم ـ فلم يجعلوا الحجرة الشريفة التي فيها القبور المعظمة له ولصاحبيه مربعة لئلا يقع استقبالها في الصلاة ولو بغير قصد بل وضعوها على الشكل المانع من ذلك حتى لا يتأتى استقبالها في الصلاة وقد ضيقوا الزاوية التي تقع في قبلة المصلين وإن كانت غير محرمة زيادة في الاحتياط وكمالاً في الورع.

وقد ثبت عنه عليه الصّلاة والسّلام الإشارة إلى دفنه في هذا الموضع، وقد روى البزار بسند صحيح والطبراني مرفوعاً: «**ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة**». بلفظ القبر بدل البيت فقد علم أن مسجده الشريف يكون بجوار قبره، وحكم له بهذا الفضل ورغب الأمة في إتيانه ولم يأمرهم بهجر مسجده لأجل القبر ولا بهدمه، بل صرّح بأن الصلاة فيه أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلّا المسجد الحرام، وخصّ ما يلي القبر الشريف إلى المنبر بأنه «**روضة من رياض الجنة**».

ولما أدخلت حجر أمهات المؤمنين في المسجد لتوسيعه صارت الحجرة

التي فيها القبر الشريف وقبر صاحبيه في داخل المسجد النبويّ وأقرّ ذلك الصحابة الموجودون إذ ذاك وهم كثير والتابعون ولم يروا حرجاً في جعل الحجرة الشريفة في المسجد بل ما زال الصحابة وفقهاء التابعين ومن بعدهم من الأئمّة الأربعة وشيوخهم ونظرائهم والعلماء يتوافدون لزيارته عليه الصّلاة والسّلام في مسجده من كل فجّ عميق.


كيفيّة
الوقوف للزيارة
وصيغ السلام
على المصطفى ﷺ

كيفيّة
الوقوف للزيارة

كان الناس يقفون للسلام على رسول الله ﷺ من جهة الروضة الشريفة، فلما وسّع المسجد وأدخلت الحجرات في المسجد صاروا يقفون للسلام من جهة القبلة فيستقبلون القبر ويستدبرون الكعبة.

قال العلامة المحدّث المؤرخ جمال الدّين محمد المطري المدني في «كتاب التعريف»:

موقف الناس اليوم للسلام على رسول الله ﷺ هو عرصة بيت أم المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله عنهما لأن حجرات أزواج النبيّ ﷺ كانت مطيفة بالمسجد إلّا من جهة الغرب.

وقد كان الناس يقفون للسلام على سيدنا رسول الله ﷺ في الروضة الشريفة قبل أن تدخل الحجرات في المسجد، يستقبلون السارية التي فيها الصندوق الخشب[1] وثم قائم من خشب مجدد وهي لاصقة بحائط الحجرة الغربي الذي بناه عمر بن عبد العزيز حول بيت النبيّ ﷺ ويستدبرون الروضة وأسطوان التوبة وروي ذلك عن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم أنه كان إذا جاء يسلم على رسول الله ﷺ وقف عند الأسطوانة التي تلي الروضة ويستقبل السارية التي تلي الصندوق اليوم فيسلم على رسول الله ﷺ وعلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ويقول: هاهنا رأس رسول الله ﷺ، فلما أدخل بيت رسول الله ﷺ في المسجد وأدخلت حجرات أزواجه رضوان الله عليهن وقف الناس مما يلي وجه رسول الله ﷺ واستدبروا القبلة للسلام عليه وللدعاء عنده عليه صلاة الله وسلامه وبركاته ورضوانه عن صاحبيه، واستدبار القبلة للسلام على رسول الله ﷺ مستحبّ كما هو في خطبة الجمعة والعيدين وسائر الخطب المشروعة، ومن ذلك ما ورد أن أبا جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس الثاني من خلفاء بني العباس

---

(١) هذا كان في العهود السّابقة.

المعروف بالمنصور عند وقوفه للسلام على رسول الله ﷺ ومعه الإمام مالك بن أنس رحمه الله فقال له جعفر: يا أبا عبد الله! أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله ﷺ وأدعو؟ فقال له مالك: ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه الصّلاة والسّلام إلى الله عزّ وجلّ يوم القيامة.

قال ابن أبي مليكة: من أحب أن يقوم تجاه النبيّ ﷺ فليجعل القنديل[١] الذي في القبلة عند القبر الشريف على رأسه، وقال الشيخ أمين الدّين أبو اليمن رحمه الله قال: إن شيخنا أبا عمرو رحمه الله وذكر بعض من أدركنا زمانه من مشايخ مكة من علماء وقته بها أن الزائر المسلم يأتي القبر المقدس من ناحية قبلته فيقف عند محاذاة تمام أربع أذرع من رأس القبر بعيداً ويجعل القنديل على رأسه ناظراً إلى أسفل ما يستقبل من جدار القبر المقدس غاضّ الطرف في مقام الهيبة والإجلال ثم يسلم ولا يرفع صوته.

وقال القاضي عيّاض في الشفا ج٢ ص٨٦: وقال مالك في رواية ابن وهب: إذا سلم على النبيّ ﷺ ودعا يقف ووجهه إلى القبر لا إلى القبلة ويدنو ويسلم ولا يمسّ القبر بيده.

وفي الموطأ من رواية يحيى بن يحيى الليثي أنه كان يقف على قبر النبيّ ﷺ فيصلي على النبيّ ﷺ وعلى أبي بكر وعمر.

وفي «رؤوس المسائل» للنووي: عن الحافظ أبي موسى الأصفهاني أنه روى عن مالك قال: إذا أراد الرجل أن يأتي قبر النبيّ ﷺ فيستدبر القبلة، ويستقبل النبيّ ﷺ ويصلي عليه ويدعو له.

ونقل ابن يونس عن ابن حبيب أنه قال: ثم اقصد إذا قضيت ركعتيك إلى القبر من وجاه القبلة، فادن منه، ثم سلم على رسول الله ﷺ وأثن عليه وعليك السكينة والوقار، فإنه ﷺ يسمع ويعلم وقوفك بين يديه، وتسلم على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وتدعو لهما. وقال إبراهيم الحربي في «مناسكه»: تولي ظهرك القبلة وتستقبل وسطه يعني القبر.

وفي «مسند أبي حنيفة» رحمه الله لأبي القاسم طلحة عن أبي حنيفة جاء أيوب السختياني، فدنا من قبر النبيّ ﷺ فاستدبر القبلة، وأقبل بوجهه إلى القبر وبكى بكاءً غير متباك.

(١) هذا كان أيّام وجود القنديل وكانت الزّيارة من الرّوضة.

وقال المجد اللغوي: روينا عن عبد الله بن المبارك قال: سمعت أبا حنيفة يقول: قدم أيوب السختياني وأنا بالمدينة فقلت: لأنظرنَّ ما يصنع، فجعل ظهره مما يلي القبلة ووجهه مما يلي وجه رسول الله ﷺ وبكى غير متباك، فقام مقام رجل فقيه اهـ.

ويشهد له ما أخرجه أبو ذر الهروي في سننه في بيان الإيمان والإسلام، من أن حماد بن زيد حدّث أبا حنيفة بالحديث في ذلك عن شيخه أيوب السختياني، فقال له أبو حنيفة: فحدّثك أيوب بهذا وبكى، ثم قال: ما ذكرت أيوب السختياني إلّا بكيت، فقد رأيته يلوذ بقبر رسول الله ﷺ شيئاً ما رأيته من أحد، وفيه مخالفة لما ذكره أبو الليث في «الفتاوى» عطفاً على حكاية حكاها الحسن بن زياد عن أبي حنيفة من أن الزائر يستقبل القبلة في سلامه.

وقال السروجي من الحنفية: يقف عندنا مستقبل القبلة.

وقال الكرماني منهم: ويقف عند رأسه، ويكون وقوفه بين القبر والمنبر مستقبل القبلة.

وعن أصحاب الشافعي وغيره: يقف وظهره إلى القبلة، ووجهه إلى الحضرة، وهو قول ابن حنبل انتهى.

وقال المحقق الكمال ابن الهمام رحمه الله تعالى: إن ما نقل عن أبي الليث مردود بما روي عن أبي حنيفة في مسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: من السنة أن تأتي قبر النبيّ ﷺ من قبل القبلة، وتجعل ظهرك إلى القبلة وتستقبل القبر بوجهك، ثم تقول: السلام عليك أيها النبيّ ورحمة الله وبركاته.

وفي «المنسك الكبير» لابن جماعة: مذهب الحنفية، أنه يقف للسلام عند الرأس المقدس بحيث يكون على يساره، ويبعد عن الجدار قدر أربعة أذرع، ثم يدور إلى أن يقف قبالة الوجه المقدس مستدبر القبلة، وشذّ الكرماني من الحنفية فقال: يقف مستدبر القبر المقدس مستقبل القبلة وتبعه بعضهم، وليس بشيء فاعتمد على ما نقلته انتهى.

ولا ينبغي أن يتردد فيه، إذ الميت يعامل معاملة الحي، والحي يسلم عليه مستقبلاً له، وما سبق عن علقمة القروي الكبير من أن الناس كانوا قبل إدخال البيت في المسجد يقفون على باب البيت يسلمون، سببه: تعذر استقبال الوجه الشريف حينئذٍ، وكانوا يستقبلون القبر الشريف من ناحية باب البيت، ومن ناحية الرأس الشريف، لما سبق عن المطري، من أن موقف علي بن الحسين للسلام

عند الأسطوانة التي تلي الروضة، قال: وهو موقف السلف قبل إدخال الحجرات، كانوا يستقبلون السارية التي فيها الصندوق مستدبرين الروضة، فلما أدخلت الحجرات وقفوا مما يلي الوجه الشريف.

ولابن زبالة عن سلمة بن وردان، قال: رأيت أنس بن مالك إذا سلم على النبيّ ﷺ يأتي فيقوم أمامه.

[كذا في الخلاصة ص١١٢]

الأدب عند
المرور بالقبر الشريف

قال العلماء: ينبغي لمن أراد الخير ورغب في الفضل والتحلّي بالأدب أن لا يمرّ بالقبر الشريف ولو من خارج المسجد حتى يقف ويسلم.

حدّث أبو حازم أن رجلاً أتاه فحدّثه أنه رأى النبيّ ﷺ يقول لأبي حازم: أنت المار بي معرضاً لا تقف تسلم عليّ، فلم يدع ذلك أبو حازم منذ بلغته الرؤيا.

وفي (جامع البيان) لابن رشد: وسئل ـ يعني مالكاً ـ عن المار بقبر النبيّ ﷺ أترى أن يسلم كلما مرّ؟ قال: نعم أرى ذلك عليه كلما مرّ به، وقد أكثر الناس من ذلك، فأما إذا لم يمرّ به، فلا أرى ذلك، وذكر حديث: «**اللهمّ لا تجعل قبري وثناً**»، فإذا لم يمرّ عليه فهو في سعة من ذلك.

قال الإِمام النووي[1]: يستحب الإكثار من الزيارة وأن يكثر الوقوف عند قبر أهل الخير والفضل.

وقال عبد الله بن محمد بن عقيل في هدم جدار الحجرة: كنت أخرج كل ليلة من آخر الليل حتى آتي المسجد، فأبدأ بالنبيّ ﷺ فأسلّم عليه.

وقال الشافعي: قال ابن عجلان لبعض الأمراء: إنك تطيل ثيابك، وتطيل الخطبة، وتكثر المجيء إلى قبر رسول الله ﷺ، فقال: أما ثيابي فإني أكساها، وأما الخطبة فإني أتعلمها، وأما كثرة المجيء إلى قبر رسول الله ﷺ، فلو كان فيه العجلان ما أتيته.

(١) الأذكار للنووي في زيارة القبور.

زيارة نبويّة

السلام عليك يا رسول الله ﷺ وعلى آلك الطيبين الطاهرين المطهرين يا رسول الله، إن الله تعالى قال فيما أنزل عليك: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ . . .﴾ [النساء: ٦٤].

وقد ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، وأتيت بجهلي وغفلتي أمراً كبيراً، وقد وفدت عليك زائراً، وبك مستجيراً، وجئتك مستغفراً من ذنبي، سائلاً منك أن تشفع لي إلى ربي، وأنت شفيع المذنبين، المقبول الوجيه عند رب العالمين، وها أنا معترف بخطئي، مقرّ بذنبي، متوسّل بك إلى الله، مستشفع بك إليه، وأسأل الله البر الرحيم بك أن يغفر لي، ويميتني على سنتك ومحبتك، ويحشرني في زمرتك، ويوردني وأحبائي حوضك، غير خزايا ولا نادمين، فاشفع لي يا رسول رب العالمين، وشفيع المذنبين، فها أنا في حضرتك وجوارك، ونزيل بابك، وعلقت بكرم ربي الرجا لعله يرحم عبده وإن أساء، ويعفو عما جنى، ويعصمه ما بقي في الدنيا، ببركتك وشفاعتك يا خاتم النبيّين وشفيع المذنبين:

أنت الشفيع وآمالي معلّقة ... وقد رجوتك يا ذا الفضل تشفع لي
هذا نزيلك أضحى لا ملاذ له ... إلّا جنابك يا سؤلي ويا أملي
ضيف ضعيف غريب قد أناخ بكم ... ومستجير بكم يا سادة العرب
يا مكرمي الضيف يا عون الزمان ويا ... غوث الفقير ومرمى القصد والطلب
هذا مقام الذي ضاقت مذاهبه ... وأنتمو في الرجا من أعظم السبب

قال العلامة ابن حجر في الجوهر المنظم: وقف أعرابي مقابل القبر الشريف فقال: «اللهمّ هذا حبيبك، وأنا عبدك، والشيطان عدوك، فإن غفرت لي سرّ حبيبك، وفاز عبدك، وغضب عدوك، وإن لم تغفر لي غضب حبيبك، ورضي عدوك وهلك عبدك، وأنت أكرم من أن تغضب حبيبك، وترضي عدوك، وتهلك عبدك، اللهمّ إن العرب الكرام إذا مات فيهم سيد أعتقوا على قبره، وإن هذا سيد العالمين، فأعتقني على قبره»، قال الأصمعي: فقلت: يا أخا العرب إن الله قد غفر لك وأعتقك بحسن هذا السؤال.

ويجلس الزائر إن شقّ عليه طول القيام، فيكثر من الصلاة والتسليم. ويتلو ما تيسر، ويقصد الآي والسور الجامعة لصفات الإِيمان ومعاني التوحيد.

وفي «شرح المهذب» عن آداب زيارة القبور لأبي موسى الأصبهاني: أن الزائر بالخيار إن شاء زار قائماً، وإن شاء قاعداً، كما يزور أخاه في الحياة، فربما جلس، وربما زار قائماً ومارّاً. انتهى.

زيارة نبويّة للإمام النووي

السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا نبيّ الله، السلام عليك يا خيرة الله، السلام عليك يا خير خلق الله، السلام عليك يا حبيب الله، السلام عليك يا نذير، السلام عليك يا بشير، السلام عليك يا طهر، السلام عليك يا طاهر، السلام عليك يا نبيّ الرحمة، السلام عليك يا نبيّ الأمة، السلام عليك يا أبا القاسم، السلام عليك يا رسول رب العالمين، السلام عليك يا سيد المرسلين، وخاتم النبيّين، السلام عليك يا خير الخلائق أجمعين، السلام عليك يا قائد الغرّ المحجّلين، السلام عليك وعلى آلك وأهل بيتك وأزواجك وذريتك وأصحابك أجمعين، السلام عليك وعلى سائر الأنبياء وجميع عباد الله الصالحين، جزاك الله يا رسول الله عنا أفضل ما جزى نبياً ورسولاً عن أمته، وصلى الله عليك كلما ذكرك ذاكر وغفل عن ذكرك غافل أفضل وأكمل وأطيب ما صلى على أحد من الخلق أجمعين، أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنك عبده ورسوله وخيرته من خلقه، وأشهد أنك قد بلّغت الرسالة وأدّيت الأمانة، ونصحت الأمة وجاهدت في الله حق جهاده، اللهمّ وآته الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته وآته نهاية ما ينبغي أن يسأله السائلون، اللهمّ صل على محمد عبدك ورسولك النبيّ الأميّ وعلى آل محمد وأزواجه وذرّيته كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد النبيّ الأمي وعلى آل محمد وأزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد. (انظر الإيضاح للإمام النووي ص ٤٩٥).

زيارة نبويّة للغزالي

السلام عليك أيها النبيّ ورحمة الله وبركاته ثلاثاً، السلام عليك يا رسول رب العالمين، السلام عليك يا خير الخلائق أجمعين، السلام عليك يا سيد المرسلين وخاتم النبيّين، السلام عليك يا إمام المتقين، السلام عليك يا قائد الغرّ المحجّلين، السلام عليك أيها المبعوث رحمة للعالمين، السلام عليك يا شفيع المذنبين، السلام عليك يا حبيب الله، السلام عليك يا خيرة الله، السلام عليك يا صفوة الله، السلام عليك أيها الهادي إلى الصراط المستقيم، السلام

عليك يا من وصفه الله تعالى بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] وبقوله: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] السلام عليك يا من سبّح الحصى في يديه، وحنّ الجذع إليه، السلام عليك يا من أمرنا الله بطاعته والصّلاة والسّلام عليه، السلام عليك وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وعباد الله الصالحين، وملائكة الله المقرّبين، وعلى آلك وأزواجك الطاهرات أمهات المؤمنين، وأصحابك أجمعين، كثيراً دائماً أبداً كما يحب ربنا ويرضى جزاك الله عنا أفضل ما جزى به رسولاً عن أمته، وصلى الله عليك أفضل وأكمل وأزكى وأنمى صلاة صلاها على أحد من خلقه، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنك عبده ورسوله، وخيرته من خلقه، وأشهد أنك قد بلّغت الرسالة وأدّيت الأمانة، ونصحت الأمة وكشفت الغمّة، وأقمت الحجّة وجاهدت في الله حق جهاده، وأوضحت المحجّة، وكنت كما نعتك الله في كتابه حيث قال: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٣٨]، فصلوات الله وملائكته وجميع خلقه في سماواته وأرضه عليك يا رسول الله، اللهمّ آته الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، وآته نهاية ما ينبغي أن يسأله السائلون، ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين، آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، اللهمّ فثبتني على ذلك، ولا تردّنا على أعقابنا، ولا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب، اللهمّ صلّ على محمد عبدك ورسولك النبيّ الأمي وعلى آل محمد وأزواجه وذريته، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد النبيّ الأمي وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد. ومن عجز عن حفظ ذلك أو ضاق عنه الوقت اقتصر على بعضه وأقله: السلام عليك يا رسول الله ﷺ.

زيارة نبويّة للإمام المطري

السلام عليك يا خاتم النبيّين يا شفيع المذنبين، السلام عليك يا إمام المتقين، السلام عليك يا قائد الغرّ المحجّلين، السلام عليك يا رسول رب العالمين، السلام عليك يا من أمنه الله على المؤمنين، السلام عليك يا طه، السلام عليك يا يس، السلام عليك وعلى أهل بيتك الطيبين الطاهرين، السلام عليك وعلى أزواجك الطاهرات المبرآت أمهات المؤمنين، السلام عليك وعلى

أصحابك أجمعين ورحمة الله وبركاته، جزاك الله عنا يا رسول الله أفضل الجزاء وصلى عليك أفضل الصلوات.

وإن اتّسع الوقت فمن أحسن السلام أن تقول: السلام عليك يا من سفرت لوامع مجده، السلام عليك يا من همرت هوامع رفده، السلام عليك يا من ظهرت أنواره علاه، السلام عليك يا من بهرت آثاره سناه، السلام عليك يا نتيجة الشرف الباذخ، السلام عليك يا سلالة المجد الراسخ، السلام عليك يا جوهرة الشرف الأعلى، السلام عليك يا واسطة العقد المحلى، السلام عليك يا إمام الأنبياء، السلام عليك يا صفوة الأصفياء، السلام عليك يا معنى الوجود، السلام عليك يا منبع الكرم والجود، السلام عليك يا درّة لؤي، السلام عليك يا غرّة قصيّ، السلام عليك يا نبعة المكارم، السلام عليك يا سلالة الأكارم، السلام عليك يا ذا المحامد يا أبا القاسم، السلام عليك يا من عظمت هباته، السلام عليك يا من بهرت آياته، السلام عليك يا من ظهرت معجزاته، السلام عليك ورحمة الله وبركاته.

والحمد لله الذي أقرّ عيني برؤيتك وأحلّني بشرف روضتك وقضى لي أن أفوز بزيارتك وأحوز سابق السعادة بحلول بلدتك.

حيث النبوة جرت من ذوائبها ... فضلاً وأجرت ينابيعاً من الحكم

حيث السنا مشرق والعزّ منبثق ... والجود مغدودق بالبارد الشبم

حيث الضريح وما ضمّت صفائحه ... من النبيّ الرضي الطاهر الشّيم

أنواره غرّة في المجد نيرة ... وفخرة شمم في معطس الكرم

درّت عليه ينابيع الرضى وسرت ... عليه نفحة سر القرب في القدم

ولاح من نوره معنى أضاء به ... مقام آدم فخراً وهو في العدم

إنسان عين العلا سر الكمال سنى ... فخر النبوة نور اللوح والقلم

يا آخراً عند ختم الأنبياء به ... وأول الرسل عند الله في القدم

يا غرّة أوضحت طه أسرتها ... ودرّة جليت في نون والقلم

كانت حياتك ما بين الأنام حياً ... سقى ثراهم بغيث واكف الدّيم

وكان فقدك خطباً شاك أنفسهم ... لما ألمّ بصدع غير ملتئم

فالآن ليس سوى قبر حللت به ... منجى الطريد وملجأ كل معتصم

وقد حططنا لديه الرحل همتنا ... على الصدى نهلة من مورد الكرم

نقبّل الترب إجلالاً لساكنه فكل موطئ أقدام مقرّ فم
هذا عطاؤك فاغمرنا بمنهله فقد مددنا أكفّ الفقر والعدم
وإن رمتنا الخطايا وسط مهلكة فأنت ملجأ خلق الله كلهم
حسبي شفاعتك العظمى إذا صفرت يداي أو أسفرت عن زلة قدمي
فالعفو شيمتك العظمى التي شهرت إذ كانت الموبقات الدهم من شيمي
صلى عليك إله العرش ما حملت عنك الثناء المزجى ألسن الأمم
وناسم المسك أنفاس السلام على هذا الضريح وهذا البيت والحرم

[كذا في التعريف بتاريخ المدينة للمطري ص٢١]

زيارة الشيخين أبي بكر وعمر
رضي الله عنهما للإمام المطري

أبو بكر رضي الله عنه:

السلام عليك يا خليفة سيد المرسلين، السلام عليك يا من أيّد الله به يوم الردّة الدّين، السلام عليك يا من بادر بالإيمان من غير توقف، السلام عليك يا من لم تستمله الدنيا بزخرف، السلام عليك يا من أنفق في ذات الله ورسوله ماله قليله وجليله، ولم يترك لنفسه ولا لأهله إلّا الله ورسوله، السلام عليك يا من تشرف بجميل المصاحبة في الغار والعريش والطريق، السلام عليك يا أفضل الخلفاء يا أبا بكر الصديق.

عمر رضي الله عنه:

السلام عليك يا أمير المؤمنين، السلام عليك يا من أيّد الله به الدّين وختم به الأربعين، السلام عليك يا من آزر الإسلام فتمهّد بعزائمه واتّضح، ومصّر الأمصار والأقاليم افتتح، السلام عليك يا من لا تأخذه في الله لومة لائم فلم يدع الحق له صديقاً، السلام عليك يا من ما لقيه الشيطان سالكاً طريقاً إلّا اتخذ غير طريقه طريقاً، السلام عليك يا محدّث هذه الأمة الناطق بالصواب، السلام عليك يا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب.

أشهد أنكما خلفتما رسول الله ﷺ في أمته بأحسن الخلف، وسلكتما طريقته وشيدتما شريعته وكنتما له خليفتي صدق وإمامي عدل وحق فجزاكما الله عن نبيكما وعن الإسلام وأهله خير جزاء، وأبدلكما أشرف منازل الصديقين والأولياء،

وأنالكما أفضل ما أناله أحداً من خلفاء الأنبياء ونفعنا بهذه الزيارة والمحبة وحشرنا مع نبيّنا ومعكما وسائر الأحبة، السلام عليكما ورحمة الله وبركاته.

صيغة أخرى لزيارة الشيخين
ذكرها الشيخ الحضراوي في نفحات الرضا والقبول

السلام عليك يا خليفة رسول الله والقائم بحقوق دين الله، أنت الصديق الأكبر والعلم الأشهر جزاك الله عن أمة سيدنا محمد خيراً خصوصاً يوم المصيبة والشدة وحين قاتلت أهل النفاق والردّة يا من فني في محبة الله ورسوله حتى بلغ أقصى مراتب الفنا، يا مَن أنزل الله في حقه ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ [التوبة: ٤٠] أستودعك شهادة أن لا إله إلّا الله وأن صاحبك محمداً رسول الله ﷺ، آمنت بجميع ما جاء به من عند الله تعالى، اشهد لي بها عند الله تعالى يوم القيامة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلّا من أتى الله بقلب سليم.

ثم يزور قبر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ويقول: السلام عليك يا ناطقاً بالحق والصواب يا حليف المحراب يا من بدين الله أمر، يا من قال في حقه سيدنا رسول الله ﷺ: لو كان بعدي نبيّ لكان عمر، يا شديد المهمات في دين الله والغيرة، يا من قال في حقه رسول الله ﷺ: ما سلك عمر فجاً إلّا سلك الشيطان فجاً غيره، أستودعك شهادة أن لا إله إلّا الله وأن صاحبك محمداً رسول الله اشهد لي بها عند الله يوم القيامة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلّا من أتى الله بقلب سليم.

ثم بعد زيارة الشيخين يذهب للسلام على السيدة فاطمة في بيتها الذي داخل المقصورة للقول: بأنها مدفونة هناك، والراجح أنها في البقيع ويتوسّل بها إلى أبيها ﷺ ثم يرجع إلى موقفه الأول قبالة وجهه الكريم ﷺ فيقول: الحمد لله رب العالمين، اللهمّ صلّ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد السلام عليك يا سيدي يا رسول الله، إن الله تعالى أنزل عليك كتاباً صادقاً قال فيه: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ﴾ [النساء: ٦٤] وقد جئتك مستغفراً من ذنبي مستشفعاً بك إلى ربي:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه ... فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرم
وصاحباك فلا أنساهما أبداً ... مني السلام عليكم ما جرى القلم

وحينئذٍ يجدد التوبة ويسأل الله تعالى قبولها ويقول أيضاً بعد قراءة الآية: نحن وفدك يا رسول الله وزوارك جئناك لقضاء حقك والتبرك بزيارتك والاستشفاع بك مما أثقل ظهورنا وأظلم قلوبنا فليس لنا شافع غيرك نؤمّله ولا رجا غير بابك نصله فاستغفر لنا واشفع لنا إلى ربك واسأله أن يمنّ علينا بسائر طلباتنا ويحشرنا في زمرة عباده الصالحين والعلماء العاملين.

ثم يأتي الروضة الشريفة ويكثر فيها من الدعاء والصلاة ويتحرّى الوقوف والدعاء عند المنبر مستقبلِ القبلة وعند سواري المسجد التي كانت في زمانه ﷺ فإن لكل واحدة منها فضلاً.

صلاة تقال عند زيارة النبيّ ﷺ للحبيب علي بن محمد الحبشي

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللهمّ صلّ وسلّم على سيدنا محمد أول متلقٍ لفيضك الأول، وأكرم حبيب تفضلت عليه فتفضل وعلى آله وصحبه، وتابعيه وحزبه، ما دام منك تلقيه وترقيه إليك وإقبالك عليه وإقباله عليك، وشهوده لك وانطراحه لديك، صلاة نشهدك بها من مرآته، ونصل بها إلى حضرتك من حضرة ذاته، قائمين لك وله بالأدب الوافر، مغمورين منك ومنه بالمدد الباطن والظاهر.

اللهمّ إنا قد وفدنا إلى مشاهدك العظام، وبيتك الحرام، وقبر نبيك عليه أفضل الصّلاة والسّلام، ولنا آمال أملناها من واسع فضلك، ومطالب كمنت في صدورنا وليست خافية عنك، وأنت أجلّ مقصود، وأكرم من عهد منه الجود، وفي حسن ظننا بك ما تحققنا به إجابة سؤالنا، ونجح مطالبنا، فبحق حبيبك وصفيك سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد بن عبد الله ﷺ وبحق أنبيائك ورسلك والصالحين من عبادك لا تردّنا اللهمّ عن هذا الموقف صفر الأيدي، وأقبل عَلى مُقْبِلنا بما أمل، وعلى مدبرنا بواسع رحمتك الشاملة.

اللهمّ قرّب بعيدنا، واشف مريضنا وافكك أسيرنا ويسّر عسيرنا وهب لنا علماً يصحبه النفع، وعملاً يصحبه القبول، ومعرفة يصحبها الأدب، ووفقنا للقيام بآداب العبودية لك في كل نفس.

اللهمّ أقبل بكليتي عليك، وأجعل جميع توجهاتي إليك، واصرف عني كل همّ دونك، واجعلني في ديوان من تحبهم ويحبونك.

اللهمّ اكشف عني حجب الأغيار، وخذ بي جادة أصفيائك الأخيار.

اللهمّ أفض على روحي ما أفضته على روح الكامل من هذه الأمة، واكشف عني كل مدلهمة وظلمة، واغفر لي ما جنيت وسامحني فيما أتيت، ولا تعاقبني بما نويت، وأقبلني على ما فيّ، وأدخلني تحت وريف ظل لطفك الخفي، واستر عيبي وأزل ريبي وأجل ريني ونقّ جيبي وأذهب غيني وأقرّ بما تحبه وترضاه عيني، وهب لي زهداً كزهد الكامل، وورعاً كورعه وعلماً كعلمه ونوراً كنوره وفهماً كفهمه وإقبالاً كإقباله، واجعل عين العناية ناظرة إليّ، وجودك الكامل وعطاءك الشامل مقبلاً عليّ.

اللهمّ اطو مسافة البعد بيني وبين حبيبك المصطفى ﷺ، واجمع بيني وبينه في هذه الدار وفي تلك الدار جهراً وخفاً، اللهمّ اجعل لي حظاً وافراً من حبك وحبه، وسهماً كاملاً من قربك وقربه.

اللهمّ إن قلبي يدعي حبك، وروحي تشتاق قربك، فاجعل للدعوى حقيقة، واسلك بي في قربك أقوم طريقة.

اللهمّ إنك جعلت العلامة على حبك اتباع حبيبك ولا طاقة لي على ذلك إلّا بتوفيقك لي، فوفّقني اللهمّ لذلك لأكون من المحبين لك حقيقة يا أرحم الراحمين آمين يا رب العالمين.

زيــارة نبويّة للشيخ القُشاشي

ذكر الإمام العارف بالله الشيخ أحمد بن محمد القشاشي صيغة زيارة تقال عند المواجهة الشريفة: السلام عليك أيها النبيّ ورحمة الله وبركاته وتستشعر جوابه ﷺ لك عند ذلك ولو بالغيب، فالإيمان بالغيب حصول على المغيب بالغيب يقيناً وتقول:

السلام عليك يا أول، السلام عليك يا آخر، السلام عليك يا باطن، السلام عليك يا ظاهر، السلام عليك بما سلم الله به عليك في الأول والآخر والباطن والظاهر، ويقال: إن ذلك من تحية جبريل للنبيّ ﷺ إلى يا ظاهر كذا، سمعته من شيخنا رحمه الله ثم رأيته منقولاً في الخصائص الكبرى للسيوطي رحمه الله وتمّمت إليه.

ثم يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] ثم تقول: صلّى الله

عليك وسلّم يا رسول الله، إلى أن توفي سبعين مرة. فيقول لك الملك الموكل بالإجابة عن ذلك لقائله من الزائرين وأنت صلى الله عليك يا فلان بن فلان ولن تسقط اليوم لك حاجة. هكذا نقل عن ابن أبي فديك رحمه الله فليسأل وليرغب إلى الله السائل له ولمن شاء من أبويه ومشايخه وذراريه ومحبيه وغيرهم ولمصالح داريه فإنه موقف القبول خصوصاً عند القدوم وحين الجائزة وتعيين المنزل مع من ينزل فإذا انقضى الوطر من ذلك وسلم على رسول الله ﷺ تقدم للسلام على سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه وسلم عليه وتوسّل به إلى الله وإلى رسوله ﷺ فإنه وجيه عند الله وعند رسوله مقبول، ثم توجه إلى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وسلم عليه وتوسّل به كذلك، ثم تعود إلى محاذاة الوجه الكريم وكن على ما يلقيه الله إليك وإلّا فقل كما قلت أولاً كله أو بعضه كيف تيسر لك وحكم به الوقت عندك. (اهـ من الدرة الثمينة فيما لزائر النبيّ ﷺ إلى المدينة للشيخ أحمد القشاشي ص٢٩).

الصلاة
على النبيّ ﷺ في الزيارة

قال الحافظ البيهقي في الشعب: أخبرنا أبو سعيد بن أبي عمرو، أخبرنا أبو عبد الله الصفار، حدّثنا أبو بكر بن أبي الدنيا حدّثنا سعيد بن عثمان حدّثنا ابن أبي فديك، قال: سمعت بعض من أدركتُ يقول: بلغنا أنه من وقف عند قبر النبيّ ﷺ فتلا هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] صلى الله عليك يا محمد حتى يقولها سبعين مرة فأجابه ملك صلى الله عليك يا فلان لم تسقط لك حاجة، قال المعلق الندوي: هذا الأثر أورده السهمي في تاريخ جرجان. كما في الجامع لشعب الإيمان ج٨ ص١٠٢.

الملائكة تحفّ بالقبر النبويّ:

قال: وأخبرنا أبو بكر حدّثني محمد بن الحسين حدّثنا قتيبة بن سعيد أخبرنا ليث بن سعد عن خالد بن يزيد عن ابن أبي هلال عن نبيّه بن وهب أن كعب الأحبار قال: ما من نجم فجر يطلع إلّا نزل سبعون ألفاً من الملائكة حتى يحفّوا بالقبر يضربون بأجنحتهم ويصلون على النبيّ ﷺ حتى إذا أمسوا عرجوا وهبط مثلهم فصنعوا مثل ذلك حتى إذا انشقّت الأرض خرج في سبعين ألفاً من

الملائكة يوقّرونه، رواه الدارمي في سننه ١/ ٤٤، والبيهقي في الشعب بسند حسن ٨/ ١٠٢، والحافظ إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبيّ ﷺ وهو جيد في المتابعات والشواهد.

استشعار ردِّ السلام

ينبغي للزائر أن يردّد السلام على النبيّ ﷺ بأدب ولطف وذلّ واستكانة لعلّ الله أن ييسر له سماع جواب سلامه الشريف شهادة وإلّا فيؤمن به غيباً وإن لم يسمعه.

قال القشاشي: فإذا وقف الواقف ثانياً بين يدي النبيّ ﷺ وحلّ نظره الشريف عليه وأجابه بردّ السلام إليه عند قوله: السلام عليك أيها النبيّ ورحمة الله وبركاته فينبغي أن لا يزيد على ذلك إلّا بحال قاهر للزيادة على ذلك فيردّده بأدب ولطف وذلّ واستكانة لعل أن ييسّر الله له سماع جوابه الشريف بالشهادة وإلّا فيؤمن بسماع الغيب يقيناً لتعيّن إجابته ﷺ للمسلّم عليه لأن الابتداء سنة والردّ فريضة، فتنبّه للفريضة وذلك لإيجاب الرحمة وسبقها الغضب ومنه قوله في الحديث القدسي: «**سبقت رحمتي غضبي**»، و«**كتب ربكم على نفسه الرحمة**». (الدرة الثمينة ص٢٧).

مراتب
الزائرين في نظر العارفين

اعلم أن مراتب الداخلين من الزائرين بعد الاستقرار وتكرار السلام عليه عند تخالف الأطوار وتقسيم دخولهم بحسب أحوالهم وأصولهم التي بنيت عليها أعمالهم وبحسب أعمالهم فيها لأن النيات الأصلية هي المميزة بين الشخصين والعَملين وهما بالذات جنس واحد إلى ما لا يعدّ من الأنواع وما لا يحصى في القبول ومراتبه وأحواله وعلاماته الدالة على أهاليه ومنازلهم منه وتجعل له ضابطاً من أسماء المدينة المشرفة كما أصل تسميتها بذلك، كذلك فهي درجات للنازلين بها ومراتبهم على اختلاف مقاماتهم وأحوالهم فيها لأنها محل القِرى لأهل المُدن والقُرى بل ولأهل السماء كأهل الأرض لما نالهم من الدعوة والرحمة والخدمة لله بالجهاد وغيره ولكل منها شرعة ومنهاج ومنها جاء منهاج التشريع إلى الكلّ وإليها يعود فهي الدار الآخرة في الدنيا لمن نظر بها لغد فإذا حصل السائرون فيها وانتهى السالكون إليها ووقف ظل السير في رأسه واستوت

شمس المطلوب على الطالب في حسّه ونفسه وجاء الحق ببرد اليقين وانقطع الشكّ ببرهان العين بالعين للشاهدين على قدر منازلهم في حال مُنازلهم بها منهم عليهم بحسب نياتهم حيث لكل درجات مما عملوا فهم المنشؤون غراس الدرجات بها وهم السائرون بالزيارة إلى حبيبهم الذي هو أولى بهم من أنفسهم في جميع الحالات فدخولهم في السير والوصول والبذل والسعة لذلك بالرحمة حتى يصلوا إلى الحبيب، واقتسامهم للمنازل بحضرته ودياره بالأعمال لأنها في الدنيا الختام والآخرة بعد الأولى فلها صورة الآخرة.

[اهـ ملخصاً من الدرة الثمينة ص٢٠٦]

درجات الزائرين
وأحوالهم في تحقيق معنى الزيارة

تختلف أحوال الزائرين في استفادتهم من زيارتهم واستمدادهم من الله بواسطة نبيّهم المصطفى وحبيبهم المجتبى ﷺ، وبحسب استعدادهم في تلقي الفيوضات الإلهية والواردات الربانية بواسطة الحضرة المحمدية ولكل منهم مقام وباب يدخل منه ويقف عنده يناسب حاله وذلك يتناسب مع أسماء المدينة المنوّرة.

الطبقة الأولى في يثرب:

فناس من الزائرين النبيّ ﷺ إلى المدينة المشرفة المستغفرين الله (لهم الطبقة الأولى) من الزيارة وأحوال الزائرين ومنزلهم بالاسم الأول من أسمائها الذي هو (يثرب) وما والاه من الأسماء الإلهية والأسماء المحمدية بما يمدّ ذلك بقدر أولئك فهذه درجة العامة من أمته ﷺ فلهم توبة من الله عليهم بالتوبة من الذنب والرحمة بالطاعة وكمال الإنابة إلى الله عن المخالفة بقدر أحوالهم الموجبة لاختلاف درجاتهم ومعاملاتهم بما لا يحصيه إلّا الله وحده ومقامهم ومنزلهم من المدينة المشرفة في حضرة ذلك الاسم الذي هو يثرب ونداؤهم به إجمالاً على تفاوتهم في النداء والسماع والبطء والإسراع من الآية الشريفة قوله تعالى: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢] لأنهم من أهل السعادة وإن حلّ بهم ما يوجب التوبة والإقلاع فلتقدير الله البر الرحيم، وقد جعل الله لهم المجيء والاستغفار واستغفار الرسول طهارة من ذلك الظلم للنفس بإذن الله تعالى، فهذه من حيث الطالب إجمالاً قسمتهم مع الاشتراك في الكل من وجدان الله عند المجيء والاستغفار غفوراً رحيماً وسيرهم

في ذلك وعملهم منه حتى يرتقوا عنه وأدبهم أدبه وطلبهم طلبه قبل الوصول إليه وبعده حتى يأذن الله لهم بالانتقال منه إلى غيره لأن السير بالإذن والإقامة بالإذن والإقلاع والاطلاع بالإذن.

وفي هذا المنزل منازل لا تعدّ ولا تحصى بعدد الواصلين على الدوام إلى يوم القيامة فلهم ذلك الاسم وما والاه وما يقابله من أسماء النبيّ ﷺ ومن الأسماء الإلهية أيضاً، فهذه منه فينزلون منازل الاسم وما والاه وتتلقاهم أملاكه وكراماته وجنوده الحسية والمعنوية ويفتح لهم من خزائنه وأرزاقه الدنيوية والأخروية بقدر أحوالهم لمصالح الدارين إقامة وسفراً كما يراد بهم لأن السير بالإرادة والوقوف بالإرادة، وهذا دأبهم تعجيلاً وتأجيلاً يجرون بعين الله في فلك إرادة الله وبحر قدرته وإليه المصير في كل مسير، فيكون هذا الاسم هو الغالب عليهم والمقام لهم به وينقلون من أوله إلى وسطه ومن وسطه إلى غايته ومنه إلى غيره سيراً دورياً دنيوياً وأخروياً.

الطبقة الثانية في دار الهجرة:

وناس في الطبقة الثانية من طبقات الزيارة والزائرين له ﷺ المستغفرين الله لهم توبة ورحمة من نظر الطاعة بالصون عن رؤيتها حين صدورها منهم فيسترهم الله عن شهودها برؤية منّة الله تعالى عليهم بها فيرتاحون إلى ستر الله لهم عن رؤية الطاعة ورؤية الاشتغال بها، ويرون الاشتغال بذلك نقصاً بقدر حالهم فيطلبون من الله ستر ذلك عنهم بدوام شهود منّة الله عليهم بها مع كمال محافظتهم وإتيانهم بأشد العمل الذي يبلغه وسعهم وإخلاصهم لله فيه وهم عالم لا يحصى وطبقات مقاماتهم في ذلك لا تنحصر إلّا لله ومن شاء الله ومقامهم من أسماء المدينة المشرفة (أرض الهجرة) وبقية الأسماء المدنية ممدّة لهم فيه كالأولين والآخرين على ذلك لمهاجرتهم من خلق حميد بالنسبة إلى خلق أحمد منه كما كان مهاجرة الأولين من خلق ذميم إلى حميد أوجب ذلك لهم مقامهم عن معاملتهم مع الله بذلك، وجليل نيتهم وشريف قصدهم لأن الدرجة من العمل والعمل تابع للهجرة وهي النية فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله كانت درجته ومدرجته كذلك إلى الله ورسوله ﷺ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته يعني نيته إلى ما هاجر إليه ودرجته به فيه كذلك، والمدد الإلهي لكل جار بمدد كلاً نمدّ هؤلاء وهؤلاء وكل ميسّر لما خلق له فله يبذل وعليه ينزل، هذا إجمال المنازل لكل نازل وفي كل منزل فتوبة هؤلاء

ورحمتهم من الله بزيارة رسول الله ﷺ واستغفارهم عنده خلاصهم إلى الله وإلى رسوله ﷺ من شهود ما منهم وإن صدر عنهم بلباس ثوب المنّة من الله ثم من رسوله ﷺ عليهم كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٣٧] فذلك كذلك جار بذلك إلى يوم الدّين من إنعام الله وإنعام الرسول لكافة الزائرين وعامة النازلين ولهم من الأسماء المحمدية وما إلى ذلك كالماحي والرحيم ومن الأسماء الإلهية كذلك، ولا يخفى عليك أيها المستبصر كالاسم المنّان والكريم والوهّاب في الحضرتين أيضاً لأن النبيّ ﷺ خلقه القرآن كما قالت أم المؤمنين رضي الله عنها، فالأسماء الإلهية له أيضاً أسماء وزيادة أسمائه عند من تسمى بالأسماء فبعض الأسماء سار في جميع الحضرات وهو الغالب وبعضها يخصّ بعض الحضرات بوجه ما وذلك قليل لحكم الكل في الكل وإنما بسبب طرف ما من الغالبية والمغلوبية يتقدم الأسماء بعضها بعضاً وتترتب كذلك على بعضها بعضاً فاذكر ذلك في جميع الباقي.

الطبقة الثالثة في دار الإيمان:

وناس في الطبقة الثالثة من طبقات الزيارة للنبيّ ﷺ وطبقات الزائرين المستغفرين لهم من الله توبة ورحمة من حضرة اسمها الإيمان فيفيض الله عليهم من الأسرار الإيمانية بقدر استعدادهم وما يقبلونه وسعتهم وما يليق بها في المقام الذي هم فيه وما ينقلون إليه ويمدهم بقية الأسماء على ذلك ولهم من الأسماء المحمدية البر والباطن والبرهان والبيّنة وتمدّها جميع الأسماء ولهم من الأسماء الإلهية النور الهادي الحميد المقيت وما والاها وتمدّها جميع الأسماء ولهم من الدرجات الثلاث إسلاماً وإيماناً وإحساناً على قدر حالهم عروجاً ودروجاً إلى أن يتلقوا ما قبلهم ويصلحوا له ويورثوا من خلفهم آثارهم ليقتدوا بها إلى أن يحصلوا بذلك إلى حيث أذن الله لهم ولم تزل الطريق بأهلها على ذلك معبورة مسلوكة معمورة بالسائرين من الأولين والآخرين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

ومن الزوّار من يدخل من باب دار الأخيار، ومنهم من يدخل من باب دار الأبرار، ومنهم من يدخل من باب دار الفتح، ومنهم من يدخل من باب ذات الحجر، ومن طبقات الزائرين طبقة المفتقرين إلى الله في جميع الحالات الواقفين على باب رسوله ﷺ بالذلّ والافتقار في جميع الفقرات الذين لا يأوون إلى أنفسهم في حالة من الحالات ولا حياة لهم إلّا سيد السادات تدرعاً به عنهم

وهؤلاء لهم من الله رحمة وتوبة وفيض من باب اسمه الدرع مستمدّ من اسم المدينة المنوّرة (الدرع).

ثم تتنوع تلك الطبقات بحسب الأبواب العلية المستمدة من الأسماء المدنية إلى ما شاء الله من المداخل والمراتب فمنهم جماعة في باب سيدة البلدان ومنهم جماعة في باب الشافية ومنهم في باب طابة ومنهم في باب طيبة وكلهم يفيض الله عليهم منه توبة ورحمة بقدر وسعهم واستعدادهم ونواله وإفضاله والله غفور رحيم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

١

حقيقة الزيارة وتعريفها

قال الإمام العارف بالله الشيخ أحمد المعروف بالقشاشي: الزيارة الحقيقية مضبوطة شرعاً بالقصد له في مسجده ومدينته والوقوف عنده والسّلام عليه والتوسّل به في تحقيق وجوب الشفاعة له لتتم له البشرى بالموت على الإسلام مع حصول الشفاعة له في دفع الملمات عنه فذلك هو الزيارة سواء كان ذلك الفعل بنفس الزائر منه له أو لغيره عنه فتصحّ الإجارة بذلك عليها لضبطها لأنها مضبوطة بما ذكره ﷺ وبما فعله في زيارته أهل البقيع كما أمره الله بزيارتهم فراح إليهم وسلم عليهم ودعا لهم وانصرف، فهذه هي الزيارة القصد للمزور من قرب أو بعد للزائر بنفسه أو بمن يستأجره لها أو بمن يتبرع بها عند الله تعالى كالحج لأنها من المعروف وقد صحّ الحديث الشريف بأن كل معروف صدقة والسّلام على المزور حيًّا كان أو ميتاً والدعاء له والتوسّل به لكل بقدر حاله، وقد قال الإمام القدوة أحمد بن حجر المكي في كتابه (الدر المنظّم في زيارة القبر المعظّم): ينبغي ضبط الزيارة بما ضبط به الأئمّة الاستطاعة في الحج انتهى.

قلت: فإذا وجد ذلك فهو مستطيع وإذا رحل إليه ووقف عنده وسلم عليه واستغفر له أو لمن استأجره فقد زار، وهذه هي الزيارة وعليها يتحصل المواعيد من الله ومن رسوله، وقال العلامة ابن حجر أيضاً في كتابه: قيل يجوز الاستئجار للزيارة وصحّحه غير واحد من العلماء الأمجاد وبه أفتى الأصبحي وهو مذهب السادة المالكية رضي الله عنهم فالإجارة عليها صحيحة بهذا، وصحّ عن ابن عباس مرفوعاً: «**ما من أحد يمّر بقبر أخيه المؤمن**» وفي رواية: «**بقبر الرجل كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلّا عرفه وردّ عليه السلام**»، فكيف بالنبيّ ﷺ

تسلم عليه ولا تنال المرام بالموت على الإسلام ودار السلام معه في جوار الله، فقرى الواقف ببابه الشريف كقرى الواقف بعرفات الشفاعة والبشرى بالموت على الإسلام وذلك هو المغفرة الحاصلة للواقفين لأن الله لا يغفر للمشركين وإنما يغفر للمسلمين فقد أتم الله للحبيب المضاهاة بكل الحالات وذلك حاضر فيه بالنصّ دون غيره وإن قيس به.

[الدرة الثمينة للقشاشي ص١٠]

٢

فوائد الزيارة النبويّة

عقد لذلك الإمام الشيخ أحمد بن حجر الهيثمي فصلاً في كتابه الجليل «الجوهر المنظم» فقال:

الفصل الثاني في فضائل الزيارة وفوائدها:

وفيها دلائل واضحة وتأييدات ظاهرة لائحة على ما برهنا عليه في الفصل الأول من أنها مشروعة مطلوبة وأنها من أنجح المساعي وأهم القربات وأفضل الأعمال وأزكى العبادات إذ هي إنما تتمايز بتمايز ثمراتها وتفاوت ثوابها وتباين درجاتها ومن تأمل ما يأتي علم أن في زيارته ﷺ من عظيم الفوائد ما يبلغ به المخلص فيها إلى أعلى المقاصد ويرد به أعذب الموارد وأوسع العوائد.

اعلم أنه مرّت أحاديث كثيرة صحيحة وغيرها متضمنة لفضائل عظيمة تحصل للزائر فلا بأس بسردها ههنا لتستحضر فوائدها وترجى عوائدها وهي قوله ﷺ: «**من زار قبري وجبت له شفاعتي**»، ومعنى وجبت له شفاعتي أنها ثابتة بالوعد الصادق لا بد منها، وأفاد قوله ﷺ مع عموم شفاعته له ولغيره أنه يختص بشفاعة تناسب عظيم عمله إما بزيادة النعيم وإما بتخفيف الأهوال عنه في ذلك اليوم، وإما بكونه من الذين يحشرون بلا حساب، وإما برفع درجات في الجنة وإما بزيادة شهود الحق والنظر إليه، وإما بغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، هذا كله إن أريد أنه يخصّ بشفاعة لا تحصل لغيره ويحتمل أن يراد أنه يفرد بشفاعة مما يحصل لغيره والإفراد للتشريف والتقوية بسبب الزيارة وأن يراد أنه ببركتها يجب دخوله فيمن تناله الشفاعة فهو بشرى بموته مسلماً فيجري على عمومه ولا يضمر فيه شرط الوفاة

على الإسلام وإلّا لم يكن لذكر الزيارة معنى لأن الإسلام وحده كاف في نيل هذه الشفاعة بخلافه على الأولين، وأفادت إضافة الشفاعة له ﷺ أنها شفاعة عظيمة جليلة إذ هي تعظم بعظم الشافع ولا أعظم منه ﷺ فلا أعظم من شفاعته.

وقوله ﷺ: «**من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي**»، وقوله ﷺ: «**من جاءني زائراً لا تعمله حاجة إلّا زيارتي كان حقاً عليّ أن أكون له شفيعاً يوم القيامة**»، وقوله ﷺ: «**من جاءني زائراً كان له حقاً على الله عزّ وجلّ أن أكون له شفيعاً يوم القيامة**».

والحاصل: أن هذا الثواب العظيم وهو الفوز بتلك الشفاعة العظيمة منه ﷺ لا يحصل إلّا لمن أخلص وجهته فيها بأن لا يقصد بها أو معها أمراً آخر ينافيها.

ومن أعظم فوائد الزيارة: أن زائره ﷺ إذا صلى وسلم عليه ﷺ عند قبره سمعه سماعاً حقيقياً وردّ عليه من غير واسطة وناهيك بذلك بخلاف من يصلي أو يسلم عليه ﷺ من بُعد فإن ذلك لا يبلغه ﷺ ولا يسمعه إلاّ بواسطة والدليل على ذلك أحاديث كثيرة.

منها: ما جاء عنه ﷺ بسند جيد وإن قيل: إنه غريب: «**من صلى عليّ عند قبري سمعته ومن صلى عليّ من بعيد أعلمته**»، وفي رواية في سندها متروك: «**من صلى عليّ عند قبري سمعته ومن صلى عليّ نائياً أي بعيداً وكّل الله به ملكاً يبلغني وكفي أمر دنياه وآخرته وكنت له يوم القيامة شهيداً أو شفيعاً**»، وفي رواية: «**ما من عبد يسلم علي عند قبري إلّا وكّل الله به ملكاً يبلغني**»، وفي أخرى في سندها ضعف لكن له شواهد تقويه: «**أكثروا الصلاة عليّ فإن الله وكل بي ملكاً عند قبري فإذا صلى عليّ رجل من أمتي قال ذلك الملك: يا محمد إن فلان بن فلان صلى عليك الساعة**»، وفي أخرى سندها حسن بل صحيح كما قاله النووي وغيره ونوزع فيه بما لا يقدح: «**ما من أحد يسلم عليّ إلّا ردّ الله عليّ روحي حتى أردّ عليه السلام**»، وروى ابن بشكوال: «**ما من أحد يسلم عليّ إلّا ردّ الله عليّ روحي حتى أردّ عليه**»، وفي رواية: «**ما من مسلم يسلم عليّ في شرق ولا غرب**»، بل فيه من اتهمه الذهبي بوضعه وفي أخرى سندها ضعيف: «**إن أقربكم مني يوم القيامة في كل موطن أكثركم عليّ صلاة في الدنيا**»، وفي رواية: «**من صلى عليّ يوم الجمعة وليلة الجمعة مائة مرة قضى الله له مائة حاجة سبعين من حوائج الآخرة وثلاثين من حوائج الدنيا ثم يوكّل الله بذلك ملكاً يدخله في قبري كما تدخل عليكم الهدايا يخبرني بمن صلى عليّ باسمه ونسبه إلى عشيرته فأثبته عندي في صحيفة بيضاء**»، وفي رواية زيادة: «**إن علمي بعد الموت كعلمي في الحياة**»، وفي أخرى رجالها ثقات إلّا

واحداً لم يعرف: «**من صلى عليّ بلغتني صلاته وصليت عليه وكتب له سوى ذلك عشر حسنات**»، وفي رواية أخرى صحيحة خلافاً لمن طعن فيها فقد أخرجها ابنا خزيمة وحبان والحاكم في صحاحهم وقال هذا حديث حسن صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه، وممن صحّحه أيضاً النووي في أذكاره وحسنه عبد الغني والمنذري وقال ابن دحية إنه صحيح محفوظ بنقل العدل عن العدل، ومن قال إنه منكر أو غريب لعلة خفية فقد استروح لأن الدارقطني ردها: «**من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثروا عليّ من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة عليّ**» قالوا: **يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا** عليك وقد أرمت يعني بليت؟ قال: «**إن الله عزّ وجلّ حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**»، قال الخطابي: و«أرمت» **بفتح** أوليه وسكون ثالثه وفتح آخره أصله أرممت أي صرت رميماً حذفت إحدى الميمين تخفيفاً كأظلت أي أظللت والرميم والرمة العظام البالية، وقال غيره: الميم مشددة والتاء آخره ساكنة أي أرمت العظام وقيل: يروى **بضم** أوله وكسر ثانيه، وفي أخرى رجالها **ثقات** إلّا أنها منقطعة: «**أكثروا من الصلاة عليّ يوم الجمعة فإنه يوم مشهود تشهده الملائكة وإن أحد لن يصلي عليّ إلّا عرضت عليّ صلاته حتى يفرغ منها**»، قال راويه أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه: وبعد الموت؟ فقال: «**وبعد الموت إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء فنبيّ الله ﷺ حي يرزق** »، أي من المعارف الربانية والمراتب الرحمانية ما يليق بعلي مقامه ويتلذذ في قبره الشريف ﷺ كما كان يتلذذ به قبل وفاته فلكونه غذاء لروحه الشريفة ﷺ عبر عنه بالرزق إشارة إلى أنه يشمل النعم الباطنة كالظاهرة في الحياة وبعد الموت.

عرض الصلاة عليه ﷺ

وفي الأحاديث ما يدلّ على عرضها عليه ﷺ وقت قولها ويوم الجمعة ويوم القيامة ولا تنافي بينها فقد يكون العرض عليه ﷺ أي التبليغ له مرات متعددة كما ورد في أحاديث ما يدلّ على أن الأعمال تعرض على الله سبحانه وتعالى كل يوم وليلة ثم كل يوم اثنين ويوم خميس ثم في كل ليلة نصف شعبان. وفي أخرى للطبراني: «**ليس من عبد يصلي عليَّ إلّا بلغني صوته**»، قلنا: يا رسول الله! وبعد وفاتك؟ قال: «**وبعد وفاتي، إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**»، أي فسمعهم الحسي كبقية حواسهم الظاهرة والباطنة باقية بحالها كما كانت عليه قبل وفاتهم على نبيّنا وعليهم الصّلاة والسّلام، لكن الله تعالى

أغناهم عن الاحتياج إلى الغذاء الحسي كرامة لهم كالملائكة وأولى، وفي أخرى: قلنا: يا رسول الله! كيف تبلغك صلاتنا إذا تضمنتك الأرض؟ قال: «**إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**».

وأخرج جمع أنه ﷺ قال: «**إن لله ملكاً أعطاه أسماع الخلائق فهو قائم على قبري إذا مت فليس أحد يصلي عليَّ صلاة إلّا قال: يا محمد صلى عليك فلان ابن فلان فيصلي الرب تبارك وتعالى على ذلك الرجل بكل واحدة عشراً**».

وفي أخرى: «**فهو قائم على قبري حتى تقوم الساعة فليس أحد من أمتي يصلي علي صلاة إلّا قال: يا أحمد! فلان ابن فلان باسمه واسم أبيه يصلي عليك كذا وكذا وضمن لي الرب أن من صلى عليّ صلاة صلّى الله عليه عشراً وإن زاد زاده الله**».

وفي أخرى: «**إن الله وكل بقبري ملكاً أعطاه أسماع الخلائق لا يصلي عليّ أحد إلى يوم القيامة إلّا بلغني باسمه واسم أبيه هذا فلان ابن فلان قد صلى عليك**».

وفي أخرى زيادة: «**إني سألت ربي عزّ وجلّ أن لا يصلي عليّ واحد منهم صلاة إلّا صلى عليه عشر أمثالها وإن الله عزّ وجلّ أعطاني ذلك**».

وفي سند الجميع راو ليَّنه البخاري ووثقه ابن حبان وآخر ضعفه بعضهم.

إبلاغ السلام في الحضور والغيبة

تنبيه: يجمع بين هذه الأحاديث الظاهرة التعارض بادي الرأي وأحاديث أخر كثيرة وردت بمعناها أو قريب منها بأنه ﷺ يبلغ الصّلاة والسّلام إذا صدرا من بعد ويسمعهما إذا كانا عند قبره الشريف بلا واسطة وإن ورد أنه يبلغهما هنا أيضاً كما مرّ إذ لا مانع أن من عند قبره يخصّ بأن الملك يبلغ صلاته وسلامه مع سماعه لهما إشعاراً بمزيد خصوصيته والاعتناء بشأنه والاستمداد له بذلك سواء في ذلك كله ليلة الجمعة وغيرها إذ المقيد يقضى به على المطلق، والجمع بين الأدلة التي ظاهرها التعارض واجب حيث أمكن، وأفتى النووي رحمه الله تعالى فيمن حلف بالطلاق الثلاث أن رسول الله ﷺ يسمع الصلاة عليه هل يحنث بأنه لا يحكم عليه بالحنث للشك في ذلك والورع أن يلتزم الحنث، وعلم من بعضها أنه ﷺ يردّ على من سلم وصلى عليه سواء زائره وغيره ودعوى اختصاص ذلك بزائره يحتاج لدليل بل يردها الخبر الصحيح: «**ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلّا عرفه وردّ عليه السلام**»، فلو اختصّ ردّه ﷺ بزائره لم يكن له خصوصية به لما علمت أن غيره

يشاركه في ذلك. قال أبو اليمن بن عساكر: وإذا جاز ردّه ﷺ على من يسلم عليه من الزائرين لقبره الشريف ﷺ جاز رده على جميع من يسلم عليه من جميع الآفاق من أمته على بعد شقته، إذا علمت ذلك علمت أن رده ﷺ سلام الزائر عليه بنفسه الكريمة ﷺ أمر واقع لا شك فيه، وإنما الخلاف في رده على المسلّم عليه من غير الزائرين، فهذه فضيلة أخرى عظيمة ينالها الزائرون لقبره ﷺ فيجمع الله لهم بين سماع رسول الله ﷺ لأصواتهم من غير واسطة وبين ردّه عليهم سلامهم بنفسه، فأنى لمن سمع بهذين بل بأحدهما أن يتأخر عن زيارته ﷺ، أو يتوانى عن المبادرة إلى المثول في حضرته ﷺ، تالله ما يتأخر عن ذلك مع القدرة عليه إلّا من حق عليه البعد عن الخيرات والطرد عن مواسم أعظم القربات أعاذنا الله سبحانه وتعالى من ذلك بمنّه وكرمه آمين.

النبيّ ﷺ حي حياة لائقة بمقامه

وعلم من تلك الأحاديث أيضاً أنه ﷺ حي على الدوام إذ من المحال العادي أن يخلو الوجود كله عن واحد يسلم عليه في ليل أو نهار فنحن نؤمن ونصدق بأنه ﷺ حي يرزق وأن جسده الشريف لا تأكله الأرض وكذا سائر الأنبياء عليه وعليهم الصّلاة والسّلام، والإجماع على هذا، قيل: وكذا العلماء والمؤذنون والشهداء صح أنه كشف عن غير واحد من العلماء والأولياء فوجدوا لم تتغير أجسادهم كما صح أن عبد الله أبا جابر وعمرو بن الجموح وهما ممن استشهد يوم أحد حفر السيل قبرهما بعد ست وأربعين سنة فوجدا لم يتغيرا وكان أحدهما جرح فوضع يده على جرحه فدفن وهو كذلك فأميطت يده عن جرحه ثم أرسلت فرجعت كما كانت. ولما حفر معاوية رضي الله عنه العين التي استنبطها بالمدينة وذلك بعد أحد بنحو خمسين سنة ونقل الموتى أصابت المسحاة قدم سيدنا حمزة عم رسول الله ﷺ فسال منها الدم.

نعم الظاهر من الأدلة أن حياة الشهداء أقوى من حياة الأولياء للنصّ عليها في القرآن الكريم دون حياة الأنبياء لأنهم بها أولى وأحرى، والتفاوت فيها بمعنى التفاوت في ثمراتها غير بعيد فتأمله، وقد نظر بعض أئمتنا إلى أن حياته ﷺ امتازت بأنها تقتضي إثباتها حتى في بعض أحكام الدنيا فعد من خصائصه ﷺ أن ما خلفه باق على ما كان في حياته فكان ينفق منه سيدنا أبو بكر رضي الله عنه على أهله وخدمه والموت الواقع له غير مستمر لعود الحياة الكاملة له واستمرارها، وقد جمع البيهقي رحمه الله تعالى جزءاً في حياة الأنبياء عليهم

الصّلاة والسّلام في قبورهم واستدل بكثير من الأحاديث السابقة وبالحديث الصحيح: «**الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون**». ويشهد له خبر مسلم: «**مررت بموسى ليلة أسري بي عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلي في قبره**». ودعوى أن هذا خاص به يبطلها خبر مسلم أيضاً: «**فقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي**» الحديث، وفيه: «**وقد رأيتني في جملة من الأنبياء فإذا موسى قائم يصلي فإذا رجل ضرب جعد**» وفيه «**إذا عيسى ابن مريم قائم يصلي أقرب الناس به شبهاً عروة بن مسعود وإذا إبراهيم قائم يصلي أقرب الناس به صاحبكم**» أي يعني نفسه «**فحانت الصلاة فأممتهم**»، وفي حديث آخر: أنه لقيهم ببيت المقدس، وفي أخرى: أنه لقيهم في جماعة من الأنبياء بالسموات فكلمهم فكلموه، قال البيهقي: وكل ذلك صحيح، فقد يرى موسى قائماً يصلي في قبره ثم يسرى بموسى وغيره إلى بيت المقدس كما أسرى نبيّنا ﷺ فيراهم فيه ثم يعرج بهم إلى السموات كما عرج بنبيِّنا فيراهم فيها كما أخبرهم، وحلولهم في أوقات مختلفة بأمكنة مختلفة جائز عقلاً كما ورد به الخبر الصادق في كل ذلك دلالة على حياتهم انتهى.

وفي قوله: «رأيتني» مع أن الإسراء كان يقظة على الصواب الردّ على من زعم أن ذلك كان مناماً على أن رؤيا الأنبياء وحي. وقد ثبت حياة الشهداء في البرزخ بنصّ القرآن الكريم، وصرّح ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم بأنه ﷺ مات شهيداً، ويؤيده قوله ﷺ في مرض موته: «**ما زالت أكلة خيبر**» بالضم لأنه لم يأكل إلّا لقمة واحدة «**تعاودني حتى كان الآن قطع أبهري**» أي أكلة من الشاة التي سمت له بخيبر بسم قاتل من ساعته وإنما لم يؤثر فيه حالاً معجزة له ﷺ ثم أثّر فيه بعد، قال العلماء: ليجمع الله تعالى له بين درجتي النبوة والشهادة انتهى.

ووجه الشهادة في هذا أنه قتل من كافر وإن لم يكن في معركة واشتراط كونه بها إنما هو لإجراء الأحكام الدنيوية وفي حصول هذه الحياة لشهيد الآخرة فقط كالغريق والمبطون توقف، وجمهور العلماء على أن حياة الشهداء حقيقية ثم إنه في قول إنها للروح فقط وفي قول وللجسد أيضاً أي بمعنى أنه لا يبلى وأنه تستمر فيه أمارة الحياة من الدم وطراوة البدن، وهذا هو المشاهد في أبدانهم كما مرّ، والقول بعود أرواحهم إلى أجسادهم وبقائها فيها إلى يوم القيامة ردوه بأنه مخالف للأحاديث الصحيحة والمراد بالروح في الأحاديث السابقة النطق كما صرّح به جماعة فهو ﷺ حي على الدوام لكن لا يلزم لما

يأتي على السبكي من حياته دوام نطقه وإنما يردّ عليه عند سلام كل مسلم أو صلاة كل مصل عليه ﷺ أي وعند صلاته ونحوها لما مر أنهم أحياء في قبورهم يصلون والظاهر أنها صلاة كصلاة الأحياء في الدنيا وعلاقة التجوز بالروح عن النطق لما بينهما من التلازم غالباً.

وأجاب البيهقي بأن معنى ردّ الروح إليه: أنها ردّت إليه عقب دفنه ﷺ لأجل سلام من يسلم عليه واستمرت في جسده الشريف ﷺ لا أنها تعاد لرد السلام ثم تنزع ثم ترد لرد السلام، وهكذا أي يلزم عليه من تعدد حياته ووفاته ﷺ في الساعة القصيرة جداً مرات كثيرة، وأجيب بأنه لا محذور فيه إذ لا نزع ولا مشقة في ذلك الرد وإن تكرر، وأجاب السبكي بأنه محتمل أن يكون رداً معنوياً وأن تكون روحه الشريفة ﷺ مشتغلة بشهود الحضرة الإلهية والملأ الأعلى عن هذا العالم فإذا سلم عليه ﷺ أقبلت الروح الشريفة على هذا العالم لتدرك سلام من يسلم عليه وترد عليه ولا يلزم عليه استغراق الزمان كله في ذلك نظراً لاتصال الصلاة عليه في أقطار الأرض لأن أمور الآخرة لا تدرك بالعقل وأحوال البرزخ أشبه بأحوال الآخرة، وقال بعضهم: المراد بالروح الملك الموكل به ﷺ، وقال ابن العماد: يحتمل أن يراد به هنا السرور مجازاً فإنه قد يطلق ويراد به ذلك، قيل: وإذا تقرر أنه ﷺ حي فلا يقال عليه السلام ولا عليك السلام فإن عليك السلام تحية الموتى وقد امتلأت كتب كثيرة من المصنفين بذلك فليجتنب، وروى ابن أبي شيبة أن رجلاً قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت: عليك السلام يا رسول الله فقال: لا تقل عليك السلام فإن عليك السلام تحية الموتى.

وروى الترمذي بسند حسن أن رجلاً قال للنبيّ ﷺ: عليك السلام يا رسول الله ثلاث مرات فقال له: «**إن عليك السلام تحية الموتى**» ثم قال ﷺ: «**إذا لقي الرجل أخاه المسلم فليقل: السلام عليك ورحمة الله**»، ثم ردّ ﷺ على الرجل سلامه فقال: «**وعليك السلام ورحمة الله ثلاثاً**» انتهى. وليس بصحيح لأن ردّه ﷺ على المسلم به يدل على أنه سلام صحيح معتد به والفصل بين الابتداء والردّ بكلام يسير لغرض صحيح لا يضرّ وأيضاً فقد صحّ أنه ﷺ قال للموتى: «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين**»، فدل على أن معنى كون عليكم السلام تحية الموتى أي موتى القلوب أو أنها عادة جاهلية، وعلى كل فالسلام عليكم أفضل في حق الحي والميت ولا ينافي ما تقرر من حياة الأنبياء في قبورهم ما في صحيح ابن

حبان في قصة عجوز بني إسرائيل أنها دلّت نبيّ الله موسى على الصندوق الذي فيه عظام يوسف على نبيّنا وعليهما وعلى سائر الأنبياء والمرسلين أفضل الصّلاة والسّلام فاستخرجه وحمله معهم عند قصدهم الذهاب من مصر إلى بيت المقدس إما لأنها أرادت بالعظام كل البدن أو لأن الجسد لما لم يشاهد فيه روح عبر عنه بالعظم الذي من شأنه عدم الإحساس، وأن ذلك باعتبار ظنها أن أبدان الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام كأبدان غيرهم في البلى ولا ينافي ذلك بالنسبة لنبيّنا محمد ﷺ قوله: «**أنا أكرم على ربي من أن يتركني في قبري بعد ثلاث**»، لقول البيهقي إن صح هذا الحديث فالمراد أنهم لا يتركون لا يصلون إلّا بهذا القدر ثم يكونون مصلين بين يدي الله تعالى أي وإن كانوا في قبورهم لما مر أنهم أحياء يصلون في قبورهم، وفي خبر غير ثابت أيضاً أن الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام لا يتركون في قبورهم بعد أربعين ليلة ولكن يصلون بين يدي الله تعالى حتى ينفخ في الصور، وكأن هذا هو سند ما رواه عبد الرزاق عن ابن المسيب أنه رأى قوماً يسلمون على النبيّ ﷺ فقال: «**ما مكث نبيّ في الأرض أكثر من أربعين يوماً**»، وسند هذه المقالة لا أصل له فمن ثم لم يعول العلماء عليها بل أجمعوا على خلافها وأن الأنبياء أحياء في قبورهم وأنه يسن السلام عليهم عند قبورهم ومع البعد عنها على أنه جاء عن ابن المسيب نفسه ما يرد ذلك وهو أن يزيد بن معاوية لما حاصر المدينة المشرفة على ساكنها أفضل الصّلاة والسّلام وقتل من أهلها من قتل حتى خلا المسجد الشريف عن إقامة الصلاة فيه مدة قال ابن المسيب: كنت فيه وما كنت أعلم دخول الأوقات إلّا بسماع الأذان والإقامة من داخل القبر المكرم، ومما يردّه أيضاً قوله ﷺ: «**مررت بموسى ليلة أسري بي وهو قائم يصلي في قبره**»؛ وقول عثمان لما قال له الصحابة رضي الله تعالى عنهم وقد حوصر: الحق من بالشام: لم أفارق دار هجرتي ومجاورة رسول الله ﷺ فيها.

وإنما أطلت الكلام في هذا المبحث لأن فيه إتحافاً عظيماً للزائر الذي يقف بين يدي رسول الله ﷺ وهو يعلم أنه حي يسمع صوته وتوسّله وشغفه به وسؤاله منه أن يشفع له إلى ربه حتى يرضى عنه ويعطيه ما يحبه من خيري الدنيا والآخرة، فأي فائدة أجلّ من هذه الفائدة وأي تحفة أعظم من هذه العائدة فاشدد حينئذ بزيارته ﷺ يديك واسع في تحصيلها بما أمكنك لتساق هذه الخيرات والفوائد إليك وتحظى بالمثول في ذلك الموقف المتكفل بحصول

المأمول وإجابة السؤال وبصلاح الأحوال والسعي في التحلي بحلى أهل الكمال وبمحق ما فرط من الزلّات وطهارة ما تدنّس من الأخلاق والصفات حقق الله لنا ذلك وخرق لنا العوائد لنكون من أهل تلك المسالك بمنّه وكرمه آمين.

١

الزيارة النبويّة والدعاء

ذكر العلماء رضي الله عنهم: أنه يستحب لمن زار النبيّ ﷺ أن يقف للدعاء مستقبلاً للقبر الشريف فيسأل الله تعالى ما يشاء من الخير والفضل ولا يلزمه أن يتوجه إلى القبلة ولا يكون بوقوفه ذلك مبتدعاً أو ضالاً أو مشركاً، وقد نصّ العلماء على هذا الأمر، بل قد ذهب بعضهم إلى القول بالاستحباب.

والأصل في هذا الباب هو ما جاء عن الإمام مالك بن أنس لما ناظره أبو جعفر المنصور في المسجد النبويّ، فقال له مالك: يا أمير المؤمنين! لا ترفع صوتك في هذا المسجد، فإن الله تعالى أدّب قوماً فقال: ﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾ [الحجرات: ٢] الآية، وقد مدح قوماً فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات: ٣] الآية، وذمّ قوماً فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ﴾ [الحجرات: ٤] الآية، وإن حرمته ميتاً كحرمته حياً، فاستكان لها أبو جعفر فقال: يا أبا عبد الله! أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله ﷺ؟ فقال: ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله تعالى يوم القيامة، بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ [النساء: ٦٤] الآية.

وهذه القصة رواها القاضي عيّاض بسنده في كتابه المعروف «بالشفا في التعريف بحقوق المصطفى» في باب من أبواب الزيارة، وقد صرّح كثير من العلماء بهذا.

قال الشيخ ابن تيمية: قال ابن وهب فيما يرويه عن مالك: إذا سلم على النبيّ ﷺ يقف ووجهه إلى القبر لا إلى القبلة ويدنو ويسلم ويدعو ولا يمسّ القبر بيده. اهـ (من اقتضاء الصراط المستقيم ص٣٩٦).

وصرّح النووي رحمه الله في كتابه المعروف بالأذكار في أبواب الزيارة وكذلك في الإيضاح في باب الزيارة، وكذلك في المجموع (ج٨ ص٢٧٢).

قال الخفاجي شارح الشفاء: قال السبكي: صرّح أصحابنا بأنه يستحب أن يأتي القبر ويستقبله ويستدبر القبلة ثم يسلم على النبيّ ﷺ ثم على الشيخين ثم يرجع إلى موقفه الأول ويقف فيدعو، اهـ شرح الشفاء للخفاجي ج٣ ص٣٩٨.

رأي الشيخ ابن تيمية

قال الشيخ ابن تيمية بعد نقل أقوال العلماء في هذا الموضوع: «فاتفقوا في استقبال القبلة وتنازعوا في تولية القبر ظهره وقت الدعاء».

هذه خلاصة ما يراه الشيخ ابن تيمية في هذا الموضوع وهو يدل دلالة واضحة على أن من وقف أمام القبر يدعو الله تعالى ويسأله من فضله كما شرع هو على أساس متين معتبر مؤيد بأقوال أئمّة من السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين، ولو تأمل المنصف العاقل قول الشيخ ابن تيمية: «وتنازعوا في تولية القبر ظهره وقت الدعاء» لفهم منها ما يطمئن قلبه ويقرّ عينه ويبشّره بأن هؤلاء الذين يقفون بعد السلام على الرسول ﷺ للدعاء عند قبره ما زالوا على التوحيد ومن أهل الإيمان، لأن هذه المسألة متنازع فيها بين السلف، والكلام مختلف بينهم بين الاستحباب وغيره، فهل يصل الحال إلى القول بالشرك والضلال؟ سبحانك هذا بهتان عظيم.

تحليل كلام الشيخ ابن تيمية

والمفهوم من كلام الشيخ ابن تيمية هو أن المنهي عنه حقيقة هو تحرّي الدعاء عند القبور أو قصد القبور للدعاء عندها ورجاء الإجابة بالدعاء هناك، أو تستشعر أن الدعاء عند القبر أجوب من غيره، أما أن يدعو الله تعالى في طريقه ويتفق أن يمرّ بالقبور فيدعو عندها أو أن يزور قبراً فيسلم على صاحبه ثم يدعو في مكانه ذلك فلا يلزمه أن يتحول إلى القبلة ولا يقال في حقه: إنه مشرك أو مبتدع. وإليك نصوص كلام الشيخ في هذا الموضوع، قال في اقتضاء الصراط المستقيم في صفحة ٣٣٦: فمما يدخل في هذا قصد القبور للدعاء عندها أو لها فإن الدعاء عند القبور وغيرها من الأماكن ينقسم إلى نوعين:

أحدهما: أن يحصل الدعاء في البقعة بحكم الاتفاق لا لقصد الدعاء فيها، كمن يدعو الله تعالى في طريقه ويتفق أن يمرّ بالقبور أو من يزورها فيسلم عليها ويسأل الله العافية له وللموتى كما جاءت به السنة فهذا ونحوه لا بأس به.

الثاني: أن يتحرى الدعاء عندها بحيث يستشعر أن الدعاء هناك أجوب منه

في غيره، فهذا النوع منهي عنه: إما نهي تحريم أو نهي تنزيه وهو إلى التحريم أقرب والفرق بين البابين ظاهر.

ولو تحرى الدعاء عند صنم أو صليب أو كنيسة يرجو الإجابة بالدعاء في تلك البقعة لكان هذا من العظائم، بل لو قصد بيتاً أو حانوتاً في السوق، أو بعض عواميد الطرقات يدعو عندها يرجو الإجابة بالدعاء عندها لكان هذا من المنكرات المحرمة إذ ليس للدعاء عندها فضل.

فقصد القبور للدعاء عندها من هذا الباب بل هو أشدّ من بعضه لأن النبيّ ﷺ نهى عن اتخاذها مساجد وعن اتخاذها عيداً وعن الصلاة عندها بخلاف كثير من هذه المواضع.

ثم قال في صفحة ٣٣٨: إن قصد القبور للدعاء عندها ورجاء الإجابة بالدعاء هناك رجاء أكثر من رجائها في غير ذلك الموطن أمر لم يشرعه الله ولا رسوله ولا فعله أحد من الصحابة ولا التابعين ولا أئمّة المسلمين، ولا ذكره أحد من العلماء الصالحين المتقدمين.

ثم قال في صفحة ٣٣٩: ومن تأمل كتب الآثار وعرف حال السلف تيقن قطعاً أن القوم ما كانوا يستغيثون عند القبور ولا يتحرّون الدعاء عندها أصلاً بل كانوا ينهون عن ذلك من يفعله من جهالهم كما ذكرنا بعضه. اهـ (من اقتضاء الصراط المستقيم ص٣٣٩).

رأي الشيخ
محمد بن عبد الوهاب في الدعاء عند القبر
الدعاء عند القبر ليس بدعة

سئل الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن قولهم في الاستسقاء: (لا بأس بالتوسّل بالصالحين) وقول أحمد: (يتوسّل بالنبيّ ﷺ خاصة) مع قولهم: (إنه لا يستغاث بمخلوق).

فقال: فالفرق ظاهر جداً وليس الكلام مما نحن فيه، فكون بعض يرخّص بالتوسّل بالصالحين وبعضهم يخصه بالنبيّ ﷺ، أكثر العلماء ينهى عن ذلك ويكرهه، فهذه المسألة من مسائل الفقه وإن كان الصواب عندنا قول الجمهور: إنه مكروه، فلا ننكر على من فعله ولا إنكار في مسائل الاجتهاد، لكن إنكارنا على من دعا المخلوق أعظم مما يدعو الله تعالى ويقصد القبر يتضرع عند

ضريح الشيخ عبد القادر أو غيره يطلب فيه تفريج الكربات وإغاثة اللهفات وإعطاء الرغبات، فأين هذا ممن يدعو الله مخلصاً له الدّين لا يدعو مع الله أحداً، ولكن يقول في دعائه: أسألك بنبيك أو بالمرسلين أو بعبادك الصالحين، أو يقصد قبر معروف أو غيره يدعو عنده لكن لا يدعو إلّا الله مخلصاً له الدّين، فأين هذا مما نحن فيه (انتهى من فتاوى الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب في مجموع المؤلفات القسم الثالث ص٦٨ التي نشرتها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب).

فتوى كبار علماء الحديث في الهند
عن حكم استقبال القبر حالة الدعاء

سئل جماعة كبار علماء الحديث من أهل السنة والجماعة في الهند عن حكم استقبال القبر النبويّ حالة الدعاء بعد زيارة النبيّ ﷺ، وهذا نصّ السؤال والجواب كما جاء في كتاب المفنّد.

السؤال: هل للداعي في المسجد النبويّ أن يجعل وجهه إلى القبر المنيف ويسأل من المولى الجليل متوسلاً بنبيّه الفخيم النبيل ﷺ.

الجواب: اختلف الفقهاء في ذلك كما ذكره الملا علي القاري رحمه الله تعالى في المسلك والمنقسط فقال: ثم اعلم أنه ذكر بعض مشايخنا كأبي الليث ومن تبعه كالكرماني والسروجي أنه يقف الزائر مستقبل القبلة، كذا رواه الحسن عن أبي حنيفة رضي الله عنهما، ثم نقل عن ابن الهمام بأن ما نقل عن أبي الليث مردود بما روى أبو حنيفة عن ابن عمر رضي الله عنه أنه قال: من السنة أن تأتي قبر رسول الله ﷺ فتستقبل القبر بوجهك ثم تقول: السلام عليك أيها النبيّ ورحمة الله وبركاته.

ثم أيده برواية أخرى أخرجها مجد الدّين اللغوي عن ابن المبارك قال: سمعت أبا حنيفة يقول: قدم أيوب السختياني وأنا بالمدينة فقلت: لأنظرن ما يصنع؟ فجعل ظهره مما يلي القبلة ووجهه مما يلي وجه رسول الله ﷺ وبكى غير متباك فقام مقام فقيه.

ثم قال العلامة القاري بعد نقله: وفيه تنبيه على أن هذا هو مختار الإمام بعدما كان متردداً في مقام المرام، ثم قال: الجمع بين الروايتين ممكن إلخ كلام الشريف، فظهر بهذا أنه يجوز كلا الأمرين لكن المختار أن يستقبل وقت الزيارة مما يلي وجهه الشريف وهو المأخوذ به عندنا وعليه عملنا وعمل مشايخنا

وهكذا الحكم في الدعاء كما روي عن مالك لما سأله بعض الخلفاء، وقد صرّح به مولانا الكنكوهي في رسالته زبدة المناسك، وعليه توقيع كبار علماء الحديث من أهل السنة والجماعة وتأييد علماء الحرمين والأزهر والشام وقد سبق بيان أسمائهم فيما تقدم.

التوسّل بقبر النبيّ ﷺ بإرشاد السيدة عائشة

قال الإمام الحافظ الدارمي في كتابه السنن «باب ما أكرم الله تعالى نبيّه ﷺ بعد موته»: حدّثنا أبو النعمان حدّثنا سعيد بن زيد حدّثنا عمرو بن مالك النكري حدّثنا أبو الجوزاء أوس بن عبد الله قال: قحط أهل المدينة قحطاً شديداً فشكوا إلى عائشة، فقالت: انظروا قبر النبيّ ﷺ فاجعلوا منه كوة إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف، قال: ففعلوا، فمطرنا مطراً حتى نبت العشب وسمنت الإبل وتفتّقت من الشحم فسمي عام الفتق، ومعنى كوة أي نافذة اهـ سنن الدارمي (ج١ ص٤٣).

فهذا توسّل بقبره ﷺ لا من حيث كونه قبراً، بل من حيث كونه ضمّ جسد أشرف المخلوقين وحبيب رب العالمين، فتشرف بهذه المجاورة العظيمة واستحق بذلك المنقبة الكريمة.

تخريج الحديث: أما أبو النعمان فهو محمد بن الفضل الملقب بعارم شيخ البخاري، قال الحافظ في التقريب عنه: ـ ثقة ثبت ـ تغير في آخر عمره.

قلت: وهذا لا يضرّه ولا يقدح في روايته لأن البخاري روى له في صحيحه أكثر من مائة حديث وبعد اختلاطه لم تحمل عنه رواية، قاله الدارقطني، ولا ينبّئك مثل خبير.

وقد ردّ الذهبي على ابن حبان قوله: (بأنه وقع له أحاديث منكرة) فقال: ولم يقدر ابن حبان أن يسوق له حديثاً منكراً فأين ما زعم؟

[كذا في ميزان الاعتدال ج٤ ص٨]

وأما سعيد بن زيد فهو صدوق له أوهام، وكذلك حال عمرو بن مالك النكري كما قال الحافظ ابن حجر عنهما في التقريب.

وقد قرّر العلماء بأن هذه الصيغة وهي ـ صدوق يهم ـ من صيغ التوثيق لا من صيغ التضعيف.

[كذا في تدريب الراوي]

وأما أبو الجوزاء فهو أوس بن عبد الله الربعي وهو ثقة من رجال الصحيحين فهذا سند لا بأس به، بل هو جيد عندي، فقد قبله العلماء واستشهدوا بكثير من أمثاله وبمن هم أقل حالاً من رجاله.

السيدة عائشة وموقفها من قبر النبيّ ﷺ

أما قول بعضهم: بأن هذا الأثر موقوف على عائشة وهي صحابية، وعمل الصحابة ليس بحجّة، فالجواب هو أنه وإن كان رأياً لعائشة إلّا أنها رضي الله عنها معروفة بغزارة العلم، وفعلت ذلك في المدينة بين علماء الصحابة، ويكفينا من هذه القصة أنها دليل على أن عائشة أم المؤمنين تعلم أن رسول الله ﷺ لا زال بعد وفاته رحيماً وشافعاً لأمته وأن من زاره واستشفع به شفع له، كما فعلت أم المؤمنين، وليس هو من قبيل الشرك أو من وسائل الشرك كما يلغط به هؤلاء المكفرون المضللون، فإن عائشة ومن شهدها لم يكونوا ممن يجهلون الشرك ولا ما يمتّ إليه بصلة.

فالقصة تدمغ هؤلاء وتثبت أن النبيّ ﷺ يهتم بأمته في قبره حتى بعد وفاته، وقد ثبت أن أم المؤمنين عائشة قالت: كنت أدخل بيتي الذي فيه رسول الله ﷺ وأضع ثيابي، وأقول إنما هو زوجي وأبي، فلما دفن عمر معهما فوالله ما دخلت إلّا وأنا مشدودة حياء من عمر.

[رواه أحمد]

قال الحافظ الهيثمي: رجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد ٨/ ٢٦). ورواه الحاكم في المستدرك، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يعترضه الذهبي بشيء (ج٤ ص٧).

ولم تعمل عائشة هذا باطلاً بل هي تعلم أن النبيّ ﷺ وصاحبيه يعلمان من هو عند قبورهم.

وقد قال النبيّ ﷺ لمعاذ لما أرسله لليمن: «**فلعلّك تمرّ بقبري ومسجدي**». رواه أحمد والطبراني ورجالهما ثقات إلّا يزيد لم يسمع من معاذ (كذا في مجمع الزوائد ١٠/ ١٥٥). فتوفي رسول الله ﷺوجاء معاذ إلى قبر النبيّ ﷺ باكياً، وشاهده عمر بن الخطاب على هذا الحال وجرت بينهما هذه المحادثة كما رواها زيد بن أسلم عن أبيه قال: خرج عمر إلى المسجد فوجد معاذ بن جبل

عند قبر النبيّ ﷺ يبكي، قال: ما يبكيك؟ قال: حديث سمعته عن رسول الله ﷺ: «**اليسير من الرياء شرك**»، قال الحاكم: صحيح ولا يعرف له علة، ووافقه الذهبي فقال: صحيح ولا علّة له.

[كذا في المستدرك ج١ ص٤]

وقال المنذري في الترغيب والترهيب: رواه ابن ماجه والبيهقي والحاكم وقال: صحيح لا علة له، وأقره أعني المنذري (ج١ ص٣٢).

التوسّل بقبر النبيّ ﷺ في خلافة عمر رضي الله عنه

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي: أخبرنا أبو نصر بن قتادة وأبو بكر الفارسي قالا: حدّثنا أبو عمر بن مطر حدّثنا إبراهيم بن علي الذهلي حدّثنا يحيى بن يحيى حدّثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن مالك قال: أصاب الناس قحط في زمن عمر بن الخطاب فجاء رجل إلى قبر النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله! استسق الله لأمتك فإنهم قد هلكوا، فأتي الرجل في المنام فقال: «**ائت عمر فأقرئه منّي السلام وأخبرهم أنهم مسقون وقل له: عليك بالكيس الكيس**»، فأتى الرجل فأخبر عمر، فقال: يا رب! ما آلو إلّا ما عجزت عنه، وهذا إسناد صحيح كذا قال الحافظ ابن كثير في البداية ١/ ٩١ في حوادث عام ثمانية عشر.

وروى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح من رواية أبي صالح السمان عن مالك الداري ـ وكان خازن عمر ـ قال: أصاب الناس قحط في زمن عمر رضي الله عنه فجاء رجل إلى قبر النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا، فأتي الرجل في المنام فقيل له: ائت عمر، الحديث.

وقد روى سيف في الفتوح: أن الذي رأى في المنام المذكور هو بلال بن الحارث المزني أحد الصحابة، قال ابن حجر: إسناده صحيح اهـ.

[صحيح البخاري كتاب الاستسقاء فتح الباري ص٤١٥ ج٢]

ولم يقل أحد من الأئمّة الذين رووا الحديث ولا من بعدهم ممن مرّ بتصانيفهم من الأئمّة إنه كفر وضلال، ولا طعن أحد في متن الحديث به، وقد أورد هذا الحديث ابن حجر العسقلاني وصحّح سنده كما تقدم، وهو من هو في علمه وفضله ووزنه بين حفاظ الحديث مما لا يحتاج إلى بيان وتفصيل.

٢

الزيارة النبويّة والتوسّل

من أعظم القربات والطاعات التي يفرح بها الزائر هي التوسّل برسول الله ﷺ، إن التوسّل بالنبيّ ﷺ وغيره من الأنبياء والأولياء جائز بل مندوب، وقد عدّ من آداب الدعاء على ما في الحصن وهو بمعنى الدعاء والسؤال من الله تعالى بجاههم لديه والتوجه إليه بحرمتهم عنده، وقد ألّف كثير من أجلاء علماء السنة والجماعة في جواز ذلك كتباً مستقلة وبسطوا فيها أدلة منها قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَـٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٣٥] وذلك أن ابتغاء الوسيلة إليه هو التوسّل إليه بما يقرّبه إليه سواء في ذلك الأعمال والأشخاص أولو المكانة والجاه عنده إبقاء للمطلق على إطلاقه، وتخصيصه بالتوسّل بالأعمال تحكم لا داعي له، كيف وإن الذوات الفاضلة أفضل من الأعمال الصادرة عنها ويبعد التخصيص المذكور أن الله تعالى أمر بالتقوى وهي فعل المأمور به وترك المنهي عنه فإذا حمل ابتغاء الوسيلة على التوسّل بالأعمال كان ذلك تأكيداً للأمر بالتقوى وحمل الكلام على التأسيس خير من حمله على التأكيد.

حديث توسّل آدم:

جاء في الحديث أن آدم قد توسّل بالنبيّ ﷺ، قال الحاكم في المستدرك: حدّثنا أبو سعيد عمرو بن محمد بن منصور العدل حدّثنا أبو الحسن محمد بن إسحاق بن إبراهيم الحنظلي حدّثنا أبو الحارث عبد الله بن مسلم الفهري حدّثنا إسماعيل بن مسلمة أنبأنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده عن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب! أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال الله: يا آدم! كيف عرفت محمداً ولم أخلقه؟ قال: يا رب لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت فيّ من روحك، رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً «لا إله إلّا الله محمد رسول الله» فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلّا أحب الخلق إليك، فقال الله: صدقت يا آدم، إنه لأحب الخلق إليّ، ادعني بحقه قد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك**»، قال الحاكم: هذا الحديث صحيح الإسناد وقد أخرجه البيهقي أيضاً، كذا في شرح المواهب (ج١ ص٦٢)، ونقل هذا الحديث جملة من العلماء منهم الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (ج١

ص١٨٠) والحافظ الهيثمي وقال رواه الطبراني في الأوسط وفيه من لم أعرفهم، (مجمع الزوائد ج٨ ص٢٥٣)، وصحّح الحديث السبكي في كتابه «شفاء السقام في زيارة خير الأنام» والسراج البلقيني والحافظ السيوطي في الخصائص الكبرى والقسطلاني والزرقاني في شرح المواهب (ج١ ص٦٢).

روايات أخرى للحديث:

روى ابن تيمية حديثين في هذا الموضوع وأوردهما مستشهداً بهما فقال: روى أبو الفرج ابن الجوزي بسنده إلى ميسرة قال: قلت يا رسول الله! متى كنت نبياً؟ قال: «**لما خلق الله الأرض واستوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وخلق العرش وكتب على ساق العرش محمد رسول الله خاتم الأنبياء، وخلق الله الجنة التي أسكنها آدم وحواء فكتب اسمي على الأبواب والأوراق والقباب والخيام وآدم بين الروح والجسد، فلما أحياه الله تعالى نظر إلى العرش فرأى اسمي فأخبره الله أنه سيد ولدك، فلما غرّهما الشيطان تابا واستشفعا باسمي إليه**».

وروى أبو نعيم الحافظ في كتاب «دلائل النبوة» ومن طريقه الشيخ أبو الفرج حدّثنا سليمان بن أحمد حدّثنا أحمد بن رشدين حدّثنا أحمد بن سعيد الفهري حدّثنا عبد الله بن إسماعيل المدني عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما أصاب آدم الخطيئة رفع رأسه فقال: يا رب! بحق محمد إلّا غفرت لي، فأوحى الله إليه وما محمد؟ ومن محمد؟ فقال: يا رب إنك لما أتممت خلقي رفعت رأسي إلى عرشك فإذا عليه مكتوب: لا إله إلّا الله محمد رسول الله فعلمت أنه أكرم خلقك عليك إذ قرنت اسمه مع اسمك فقال: نعم، قد غفرت لك، وهو آخر الأنبياء من ذرّيتك ولولاه ما خلقتك**»، فهذا الحديث يؤيد الذي قبله وهما كالتفسير للأحاديث الصحيحة.

[من الفتاوى ج٢ ص١٥٠]

والحاصل أن هذا الحديث صحّحه ونقله جماعة من فحول العلماء وأئمّة الحديث وحفاظه الذين لهم مقامهم المعروف ومكانتهم العالية وهم الأمناء على السنة النبويّة، فمنهم الحاكم والسيوطي والسبكي والبلقيني ونقله البيهقي في كتابه الذي شرط فيه أن لا يخرج الموضوعات وذكره ابن كثير في البداية واستشهد به ابن تيمية في الفتاوى.

فوائد مهمة من حديث توسّل آدم عليه السلام:

وفي الحديث التوسّل برسول الله ﷺ قبل أن يتشرف العالم بوجوده فيه،

وأن المدار في صحة التوسّل على أن يكون للمتوسّل به القدر الرفيع عند ربه عزّ وجلّ وأنه لا يشترط كونه حياً في دار الدنيا، ومنه يعلم أن القول بأن التوسّل لا يصحّ بأحد إلّا وقت حياته في دار الدنيا قول من اتبع هواه بغير هدى من الله.

توسّل اليهود به ﷺ:

قال تعالى: ﴿**وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ**﴾[البقرة: ٨٩].

قال ابن عباس: كانت يهود خيبر تقاتل غطفان، فلما التقوا هزمت يهود فدعت يهود بهذا الدعاء وقالوا: إنا نسألك بحق النبيّ الأمي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزمان أن تنصرنا عليهم قال: فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا الدعاء فهزموا غطفان، فلما بعث النبيّ ﷺ كفروا، فأنزل الله تعالى: ﴿**وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ**﴾ (أي بك يا محمد) إلى قوله: ﴿**فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ**﴾ [البقرة: ٨٩].

[تفسير القرطبي ج٢ ص٢٦، ٢٧]

التوسّل بالنبيّ ﷺ في حياته وبعد وفاته

عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ وجاء رجل ضرير فشكا إليه ذهاب بصره فقال: يا رسول الله! ليس لي قائد وقد شقّ عليّ، فقال رسول الله ﷺ: «**ائت الميضاءة فتوضأ ثم صلِّ ركعتين ثم قل: اللهمّ إني أسألك وأتوجه إليك بنبيّك محمد ﷺ نبيّ الرحمة، يا محمد! إني أتوجه بك إلى ربك فيجلي لي عن بصري، اللهمّ شفعه فيّ وشفعني في نفسي**» قال عثمان: فوالله ما تفرقنا ولا طال بنا الحديث حتى دخل الرجل وكأنه لم يكن به ضرّ.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وقال الذهبي عن هذا الحديث إنه صحيح (ج١ ص٥١٩).

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب. لا نعرفه إلّا من هذا الوجه من حديث أبي جعفر وهو غير الخطمي، ذكره في آخر السنن في أبواب الدعوات، قال المنذري: ورواه النسائي وابن ماجه وابن خزيمة في صحيحه.

[كذا في الترغيب كتاب النوافل باب الترغيب في صلاة الحاجة ج١ ص٤٣٨]

وليس هذا خاصاً بحياته ﷺ بل قد استعمل بعض الصحابة هذه الصيغة من التوسّل بعد وفاته ﷺ.

فقد روى الطبراني هذا الحديث وذكر في أوله قصة وهي: أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه في حاجة له وكان عثمان رضي الله عنه لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته، فلقي الرجل عثمان بن حنيف فشكا ذلك إليه فقال له عثمان بن حنيف: ائت الميضاءة ثم ائت المسجد فصل فيه ركعتين ثم قل: «**اللهمّ إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ نبيّ الرحمة، يا محمد! إني أتوجه بك إلى ربك فيقضي حاجتي وتذكر حاجتك**» فانطلق الرجل فصنع ما قال له ثم أتى باب عثمان فجاء البواب حتى أخذ بيده فأدخله على عثمان فأجلسه معه على الطنفسة وقال: ما حاجتك؟ فذكر حاجته فقضاها له ثم قال: ما ذكرت حاجتك حتى كانت هذه الساعة، ثم قال: ما كانت لك حاجة فأتنا، ثم إن الرجل لما خرج من عنده لقي عثمان بن حنيف وقال له: جزاك الله خيراً ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إليّ حتى كلمته فيّ، فقال عثمان بن حنيف: والله ما كلمته ولكن شهدت رسول الله ﷺ وأتاه رجل ضرير فشكا إليه ذهاب بصره فقال له النبيّ ﷺ: «**أو تصبر؟**» فقال يا رسول الله! ليس لي قائد وقد شقّ عليّ، فقال له النبيّ ﷺ: «**ائت الميضاءة فتوضأ ثم صل ركعتين ثم ادع بهذه الدعوات**» فقال عثمان بن حنيف: فوالله ما تفرقنا ولا طال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضرّ قط، قال المنذري رواه الطبراني، وقال بعد ذكره: والحديث صحيح.

[كذا في الترغيب ج١ ص٤٤٠ وكذا في مجمع الزوائد ج٢ ص٢٧٩]

وقال الشيخ ابن تيمية: قال أبو عبد الله المقدسي: إن الحديث صحيح، فالقصة صحّحها الحافظ الطبراني والحافظ أبو عبد الله المقدسي ونقل ذلك التصحيح الحافظ المنذري والحافظ نور الدّين الهيثمي والشيخ ابن تيمية.

وحاصل القصة أن عثمان بن حنيف الراوي للحديث المشاهد للقصة علّم من شكا إليه إبطاء الخليفة عن قضاء حاجته هذا الدعاء الذي فيه التوسّل بالنبيّ ﷺ والنداء له مستغيثاً به بعد وفاته ﷺ، ولما ظن الرجل أن حاجته قضيت بسبب كلام عثمان مع الخليفة بادر ابن حنيف بنفي ذلك الظن وحدثه بالحديث الذي سمعه وشهده ليثبت له أن حاجته إنما قضيت بتوسّله به ﷺ وندائه له واستغاثته به وأكّد ذلك له بالحلف أنه ما كلّم الخليفة في شأنه.

توسّل النبيّ ﷺ بحقه وحق الأنبياء والصالحين

جاء في مناقب فاطمة بنت أسد أم علي بن أبي طالب أنها لما ماتت حفر رسول الله ﷺ لحدها بيده وأخرج ترابه بيده فلما فرغ دخل رسول الله ﷺ فاضطجع فيه فقال: «**الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ولقّنها حجّتها ووسّع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي فإنك أرحم الراحمين**»، وكبر عليها أربعاً وأدخلوها اللحد هو والعباس وأبو بكر الصديق رضي الله عنهم. رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه روح بن صلاح وثّقه ابن حبان والحاكم وفيه ضعف وبقية رجاله رجال الصحيح (كذا بمجمع الزوائد ج٩ ص٢٥٧) قلت: وقد صحّح الحديث ابن حبان والطبراني والحاكم.

وروي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من خرج من بيته إلى الصلاة فقال: اللهمّ إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا فإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياء ولا سمعة وخرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فأسألك أن تعيذني من النار وتغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلّا أنت. أقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون ألف ملك**». رواه ابن ماجه (كذا في الترغيب والترهيب ج١ ص١٧٩) ورواه ابن خزيمة في صحيحه وابن السني وأبو نعيم وقد حسنه العراقي وابن حجر، انظر المغني عن حمل الأسفار إحياء (ج١/ ٢٢٣) وقوله ﷺ هنا: «**بحق السائلين**» شامل للأحياء والأموات جميعاً فصح التوسّل بهما معاً.

بركة ختم القرآن بالمدينة المنوّرة

قال العلماء: ينبغي للزائر أن يختم القرآن بالمدينة المنوّرة قبل خروجه منها، فقد كان السلف يحبون ذلك، ونظيره ما قاله بعض أئمتنا في مكة من سن ذلك فيها أيضاً وكان حكمة ذلك فيهما أن كلاً منهما نزل به بعض القرآن الكريم عليه ﷺ، فإذا قرئ القرآن الكريم في أحدهما وتأمل القارئ نعمة إنزال القرآن بالمحل الذي هو فيه وكمال من أنزل عليه ﷺ حمله ذلك على أمر عظيم من الخشوع والخضوع والإجلال والخشية وفتح له أبواباً واسعة من التدبر والتفكر فيما يقرؤه ومن الشكر والحمد على هذه النعمة التي لا توازيها نعمة، والمنّة التي لا تلحقها منّة، وربما انتقل به ذلك إن طهرت سريرته ونارت بصيرته إلى ما لم يكن في حسابه من المعارف وما لم يخطر بباله من الحكم واللطائف حقق الله لنا ذلك بمنّه وكرمه

آمين. قال ابن حجر: ثم رأيت أبا مخلد قال: كانوا يحبون لمن أتى المساجد الثلاثة أن يختم فيها القرآن الكريم. رواه سعيد بن منصور.

[كذا في الجوهر المنظم للشيخ أحمد بن حجر الهيتمي المكي ص٧٩]

وختم القرآن بالمدينة المنوّرة يناسب أن يكون بالمدينة التي فتحت بالقرآن لا بالسيف، قال العلامة الزركشي: روى ابن أبي خيثمة في تاريخه الكبير عن مالك أن المدائن كلها افتتحت بالسيف، والمدينة افتتحت بالإيمان ثم ساق بسنده إلى مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: كل البلاد افتتحت بالسيف والرمح، وافتتحت المدينة بالقرآن.

وأخرجه البزار في مسنده مرفوعاً كذلك وقال: لا نعلم رواه عن مالك إلّا محمد بن الحسن بن زبالة وكان يلين بسبب هذا الحديث وغيره.

وقال الشيخ المراغي: أي يرى فيه لين أي ضعف خفيف. وهذا تعبير اصطلاحي لأهل الحديث، وقد ذكر صاحب تنزيه الشريعة: أن هذا الحديث مما تعقب على ابن الجوزي في تضعيفه له وذكر أن له طرقاً تؤيده.

[تنزيه الشريعة ج٢ ص١٧٢]

٣

الزيارة النبويّة والمناسك

وتذكر أكثر كتب المناسك أنه ينبغي للحاج أن لا يفوت فرصة زيارة المصطفى ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ خصوصاً وقد وصل إلى هذه الأماكن.

قال النووي: إذا انصرف الحجاج والمعتمرون من مكة فليتوجهوا إلى مدينة رسول الله ﷺ لزيارة تربته ﷺ فإنها من أهم القربات وأنجح المساعي، ثم ذكر الشيخ النووي بعد ذلك آداب الزيارة والسّلام على النبيّ ﷺ وذكر ما ينبغي من الآداب المطلوبة من الزائر أثناء إقامته في المدينة المنوّرة وكل ذلك مفصل في كتابه الجامع للمناسك المسمى بالإيضاح في الباب السادس ص٤٨٧.

تعليق ابن حجر:

قال العلامة الفقيه الشيخ ابن حجر الهيتمي في حاشيته معلقاً على قول النووي: «إذا انصرف الحجاج» قال: حكمة تقييده كالأصحاب سن الزيارة بفراغ النسك مع أنها مطلوبة في كل وقت إجماعاً، بل قيل: بوجوبها إذ غالب

الحجاج ليست المدينة الشريفة على طريقهم وإنما يتوجهون إلى مكة أولاً للحج، وأيضاً فهي في حق الحاج آكد لخبر: «**من حج ولم يزرني فقد جفاني**» وإن كان في سنده مقال، ولأنه إذا جاء من الآفاق البعيدة وقرب من المدينة يقبح منه ترك الزيارة لدلالته على عدم اهتمامه بما هو من أهم القربات وأنجح المساعي. وهل البداءة بالمدينة قبل مكة أفضل أو عكسه؟ فيه خلاف بين السلف، وظاهر كلام الأصحاب يوحي إلى ترجيح البداءة بمكة، والذي يتجه أن يقال إن اتسع الزمن للزيارة مع اتساعه بعدها للحج فالأولى تقديمها مبادرة لتحصيل هذه القربة العظيمة فإنه ربما يعوقه عائق عن التوجه إليها بعد الحج وإن لم يتسع لذلك قدم الحج.

[كذا في الحاشية ص٤٨٨]

وذكر ابن عبد البر والبلاذري وغيرهما: أن زياد ابن أبيه أراد الحج، فأتاه أبو بكرة وهو لا يكلمه، فأخذ ابنه ليخاطبه ويسمع زياداً، فقال: إن أباك فعل وفعل، وإنه يريد الحج، وأم حبيبة هناك، فإن أذنت له فأعظم بها مصيبة وخيانة لرسول الله ﷺ، وإن هي حجبته فأعظم بها حجّة عليه، قال البلاذري: فترك الحج تلك السنة، وقيل: غير ذلك، فلولا أن إتيان المدينة والزيارة للحاج عندهم مما لا يترك ما قال أبو بكرة ذلك مع تمكن زياد من الحج على غير طريق المدينة، فإنه كان بالعراق ومكة أقرب إليه.

وفي الشفاء قال إسحاق بن إبراهيم الفقيه: ومما لم يزل من شأن من حج المرور بالمدينة والقصد إلى الصلاة في مسجد رسول الله ﷺ، والتبرك برؤية روضته، ومنبره وقبره، ومجلسه، وملامس يديه، ومواطئ قدميه، والعمود الذي يستند إليه وينزل جبريل بالوحي فيه عليه، ومن عمده وقصده من الصحابة وأئمّة المسلمين، والاعتبار بذلك كله.

واختلف السلف في أن الأفضل للحاج البداءة بالمدينة أو بمكة، وإن ممن اختار البداءة بالمدينة علقمة والأسود وعمرو بن ميمون من التابعين ولعل سببه إيثار الزيارة أولاً.

وفي فتاوى أبي الليث السمرقندي، روى الحسن بن زياد عن أبي حنيفة أنه قال: الأحسن للحاج أن يبدأ بمكة، فإذا قضى نسكه مرَّ بالمدينة وإن بدأ بها جاز.

[خلاصة الوفاء ص١٠٠]

نصوص الأئمّة الحنابلة
في استحسان الزيارة مع المناسك

قال الشيخ أبو محمد موفق الدّين عبد الله بن قدامة: ويستحبّ زيارة قبر النبيّ ﷺ لما روى الدارقطني بإسناده عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**من حج فزار قبري بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي**» ثم قال: وإذا حج الذي لم يحج قط يعني من غير طريق الشام لا يأخذ على طريق المدينة لأني أخاف أن يحدث به حدث فينبغي أن يقصد مكة من أقصد الطرق ولا يتشاغل بغيره، ويروى عن العتبي قال: كنت جالساً عند قبر النبيّ ﷺ فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله! سمعت الله يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤] وقد جئتك مستغفراً لذنبي مستشفعاً بك إلى ربي، ثم أنشد يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه ... فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم انصرف الأعرابي فحملتني عيني فنمت فرأيت النبيّ ﷺ في النوم فقال: يا عتبي! الحق الأعرابي فبشّره أن الله قد غفر له اهـ.

[المغني لابن قدامة ج٣ ص٥٥٦]

قال الشيخ شمس الدّين أبو الفرج عبد الرحمن بن قدامة الحنبلي في كتابه الشرح الكبير:

مسألة: فإذا فرغ من الحج استحب زيارة قبر النبيّ ﷺ وقبر صاحبيه رضي الله عنهما اهـ.

[الشرح الكبير ج٣ ص٤٩٥]

وقال الشيخ منصور بن يونس البهوتي في كتابه «كشاف القناع عن متن الإقناع»:

فصل: وإذا فرغ من الحج استحب له زيارة قبر النبيّ ﷺ وقبري صاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما لحديث الدارقطني عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**من حجّ فزار قبري بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي**».

وفي رواية: «**من زار قبري وجبت له شفاعتي**». رواه باللفظ الأول سعيد.

تنبيه: قال ابن نصر الله: لازم استحباب زيارة قبره ﷺ استحباب شدّ

الرّحال إليها، لأن زيارته للحاج بعد حجّه لا تمكن بدون شدّ الرّحال، فهذا كالتصريح باستحباب شدّ الرّحل لزيارته ﷺ اهـ.

[كشاف القناع ج٢ ص٥٩٨]

٤

الزيارة النبويّة والشفاعة

اختصّ الله سبحانه وتعالى سيدنا رسول الله ﷺ بما لم يخص به أحداً من خلقه، فهو وحده ﷺ الذي نصر بالرعب مسيرة شهر، وهو وحده ﷺ الذي جعلت له الأرض مسجداً وطهوراً، وهو وحده ﷺ الذي أحلّت له الغنائم ولم تحلّ لأحد قبله، وهو وحده ﷺ الذي أعطي الشفاعة العظمى يوم القيامة، وهو وحده ﷺ الذي بعث إلى الناس عامة وكان النبيّ قبله يبعث إلى قومه خاصة.

فأي نبيّ من الأنبياء أعطي مثل ما أعطي ﷺ من ارتفاع الذكر؟ وأي رسول من الرسل منح مثل ما منح به ﷺ من سمو القدر، وعلو هذا المقام: «**ارفع رأسك يا محمد! سل تعط واشفع تشفع**» صلوات الله وسلامه عليك يا سيدي يا رسول الله.

فالشفاعة العظمى لسيدنا رسول الله ﷺ يوم القيامة وما يناسب هذه الشفاعة هو من فضائله التي اختصّ بها وحده ﷺ.

واستغاثة الناس يوم القيامة بالنبيّ ﷺ، لما كانت هي أعظم الاستغاثات لشدة كربهم، وطول موقفهم وقتئذ ولظهور فضله ﷺ على سائر الخلائق، ولدلالة ذلك على جواز الاستغاثة به ونفعها بعد مماته لوقوعها في حياته الدنيوية والأخروية، لهذا كله ناسب ذكر أحاديث الشفاعة هنا، ولا سيما حديث التجاء الناس إلى سائر الأنبياء والمرسلين ليشفعوا لهم عند الله سبحانه، فلم يفعلوا، وأحالوهم على سيد المرسلين ذي المقام الرفيع والقدر الجليل صفوة خلق الله وخيرته من خلقه سيدنا محمد ﷺ، ووجه ذكر الشفاعة هنا قوله ﷺ: «**من زار قبري وجبت له شفاعتي**».

وخلاصة القول في الشفاعات الأخروية أنها خمسة أنواع وكلها ثابتة لنبيّنا ﷺ، وبعضها لا يدنو أحد إليه سواه ﷺ وبعضها يشاركه غيره ﷺ، ويكون هو المتقدم ﷺ، فاختصّ ﷺ بعموم الشفاعة وببعض أنواعها، وأما الباقي فيصح

نسبته إليه لمشاركته وتقدمه فيه، فالشفاعات كلها راجعة إلى شفاعته ﷺ، وهو صاحب الشفاعة بإطلاق، فقوله: «شفاعتي» يصح أن تكون إشارة إلى النوع المختصّ به، وإلى العموم وإلى الجنس، لنسبته ذلك كله إليه، فهذه لطيفة يجب التنبيه إليها.

وأما التفصيل فقال القاضي عيّاض وغيره: **الشفاعة خمسة أقسام:**

أولها: مختصة بنبيّنا ﷺ وهي الإراحة من طول الوقوف وتعجيل الحساب، لا يدنو إليها غيره، وهي الشفاعة العظمى ولم ينكرها أحد.

الثانية: الشفاعة في إدخال قوم الجنة بغير حساب وهذه أيضاً وردت لنبيّنا ﷺ كما تبين في الأحاديث التي نذكرها بعد إن شاء الله تعالى.

قال ابن دقيق العيد رضي الله عنه: ولا أعلم الاختصاص فيها أو عدم الاختصاص.

ولفظ الحديث الذي يأتي: فأقول: «**يا رب! أمتي أمتي**» فيقال: «**يا محمد... أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب**».

وحديث دخول قوم الجنة بغير حساب، رواه البخاري ومسلم من طرق متعددة عن النبيّ ﷺ، وفي بعضها: «**يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفاً بغير حساب**»، فقال رجل: يا رسول الله... ادع الله لي أن يجعلني منهم فقال: «**اللهمّ اجعله منهم**»، والرجل عكاشة.

وفي حديث آخر قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: «**هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون**».

وفي حديث آخر: «... **عرضت عليّ الأمم فرأيت النبيّ ومعه الرهط والنبيّ ومعه الرجل والرجلان، والنبيّ ليس معه أحد، ورفع لي سواد عظيم وتمنيت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى عليه السلام وقومه، ولكن انظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: انظر إلى الأفق الآخر، فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب**».

وفي حديث آخر: «**وهؤلاء سبعون ألفاً قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب**».

وفي حديث آخر: «**يدخل من أمتي زمرة هم سبعون ألفاً تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر**».

وهذه الأحاديث كلها في الصحيح.

وفي حديث آخر في الصحيح: «**لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم**» وهو إشارة إلى سعة باب الجنة.

وقوله: «**أولهم وآخرهم**» إما أن يراد به في الدنيا، وأن المتقدم في الزمان والمتأخر يدخلون دفعة واحدة، وإما أن تكون كناية عن سرعة تعاقبهم فإنهم يدخلون متماسكين، وإلّا فيستحيل أن يكون لهم أول وآخر في الدخول ولا يدخل أولهم قبل آخرهم حقيقة.

الشفاعة الثالثة: الشفاعة لقوم استوجبوا النار فيشفع فيهم نبيّنا ﷺ ومن يشاء الله تعالى.

وذكر ذلك القاضي عيّاض وأشار بذلك إلى حديث أبي سعيد من قوله: «... **ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة فيقولون: اللهمّ... سلم سلم**».

وظاهر هذا أنها شفاعة تحلّ بعد وضع الصراط بعد الشفاعتين الأوليين، وأنها في إجازة الصراط، ويلزم من ذلك النجاة من النار، والنبيّ ﷺ يكون في اليوم إمام النبيّين، وصاحب شفاعتهم فكل ما يقع من شفاعتهم ينسب إليه بذلك فلا يخرج شيء عن شفاعته لا من أنواع الشفاعة، ولا من الأشخاص المشفوع فيهم من ملته ومن غير ملته، لأنه إذا كان صاحب شفاعة الأنبياء، والكل تحت لوائه فكل من شفعوا فيه فبسببه ﷺ تقدموا للشفاعة فيه، وإجابة شفاعتهم إجابة له ﷺ فكل من يقع شفاعة النبيّين فيه داخل تحت شفاعة نبيّنا ﷺ، ومن شفع فيه المؤمنون كذلك بطريق الأولى فهو ﷺ شفيع الشفعاء.

وما أخرجهم ذلك عن توحيدهم لله تعالى وأنه هو المتفرد بالنفع والضرّ وإذا جاز ذلك جاز قول القائل: أسأل الله تعالى برسوله لأنه سائل لله تعالى لا لغيره.

حديث الشفاعة العظمى

روى البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: «**أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون بم ذاك؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغمّ والكرب ما لا يطيقون وما لا يحتملون فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون ما أنتم فيه ألا ترون ما قد بلغكم ألا تنظرون إلى من يشفعكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: ايتوا آدم فيأتون**

آدم فيقولون: يا آدم! أنت أبونا أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول آدم: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه نهاني عن الشجرة، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوح! أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وسماك الله عبداً شكوراً اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه قد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي، نفسي نفسي، اذهبوا إلى إبراهيم، فيأتون إبراهيم فيقولون: أنت نبيّ الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم إبراهيم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله نفسي نفسي، اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى فيقولون: يا موسى! أنت رسول الله فضّلك الله برسالاته وبتكليمه على الناس اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم موسى: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإني قتلت نفساً لم أومر بقتلها، نفسي نفسي، اذهبوا إلى عيسى، فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلمت الناس في المهد وكلمة منه ألقاها إلى مريم وروح منه فاشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر له ذنباً، نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى محمد، فيأتون فيقولون: يا محمد! أنت رسول الله خاتم الأنبياء وغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا، فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي ثم يفتح الله عليّ ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتح لأحد قبلي ثم يقول: يا محمد! ارفع رأسك سل تعطه اشفع تشفع، فأرفع رأسي فأقول: يا رب! أمتي أمتي، فيقال: يا محمد! أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب والذي نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى».

هذا لفظ لمسلم وذكره البخاري في مواضع مقطعاً وذكره بطوله في سورة بني إسرائيل وذكر فيه من قول آدم ومن دونه من الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام نفسي نفسي ذكرها ثلاثاً وقال: أمتي يا رب! أمتي يا رب! أمتي يا رب!.

التوسّل بالنبيّ ﷺ في الموقف الأعظم دون غيره

وفي التجاء الناس إلى الأنبياء في ذلك اليوم أدلّ دليل على التوسّل بهم في الدنيا والآخرة وأن كل مذنب يتوسّل إلى الله عزَّ وجلَّ بمن هو أقرب إليه منه وهذا لم ينكره أحد، ولا فرق بين أن يسمى ذلك تشفعاً أو توسلاً أو استغاثة وليس ذلك من باب تقرب المشركين إلى الله تعالى بعبادة غيره فإن ذلك كفر والمسلمون إذا توسّلوا بالنبيّ ﷺ أو بغيره من الأنبياء والصالحين لم يعبدوهم.

معنى تخصيص الزائرين بشفاعة خاصة

تقدم الكلام على حديث: «**من زار قبري وجبت له شفاعتي**» وغيره من الأحاديث في هذا الموضوع.

قال العلماء: معنى «**وجبت له شفاعتي**»: أي تحققت وثبتت ولزمت له شفاعتي، أي سؤالي الله تعالى أن يتجاوز عنه.

قال السبكي: يحتمل كون المراد بخصوصه بمعنى أن الزائرين يخصون بشفاعة لا تحصل لغيرهم عموماً ولا خصوصاً، أو المراد: يفردون بشفاعة عما يحصل لغيرهم، ويكون إفرادهم بذلك تشريفاً وتنويهاً بهم.

أو المراد: ببركة الزيارة يجب دخولهم في عموم من تنالهم الشفاعة، وفائدة البشرى أن يموت مسلماً.

والحاصل أن فائدة الزيارة: إما شفاعة تخصّ الزائر أكثر من العامة.

وقوله: «**شفاعتي**» الإضافة إليه تشريف لها إذ الملائكة وخواصّ البشر يشفعون، وللزائر نسبة خاصة فيشفع ﷺ فيه بنفسه.

وقوله ﷺ في الحديث الآخر: «**من زارني بالمدينة**» أي في حياتي وبعد وفاتي محتسباً أي ناوياً بزيارته وجه الله وثوابه كنت له شهيداً وشفيعاً أي شهيداً للمطيع وشفيعاً للعاصي وهذه خصوصية زائدة على شهادته ﷺ على جميع الأمم وعلى شفاعته العامة.

قال الحكيم الترمذي: زيارة قبر المصطفى ﷺ هجرة فحقيق أن لا يخيّب زائروه، بل يوجب لهم شفاعة حرمة زيارتهم.

٥

الزيارة النبويّة والاستئجار

قال العلامة الشيخ ابن حجر: ذكر أصحابنا أن الاستئجار للزيارة لا يصحّ لأنه عمل غير مضبوط ولا مقدر بشرع، وكذا الجعالة على نفس الوقوف عند القبر الشريف لأنه لا يقبل النيابة، بخلافهما على الدعاء عنده لقبوله النيابة، ولا أثر للجهل به أي لأنه يتسامح في أنواعه. قال السبكي: وبقي قسم ثالث: وهو إبلاغ السلام له ﷺ ولا شك في جواز الإجارة والجعالة عليه كما كان عمر بن عبد العزيز يفعل ذلك، وقيل: يجوز الاستئجار للزيارة وصحّحه غير واحد وأفتى به الأصبحي محمد بن أبي بكر وهو غير الأصبحي صاحب المعين وهو مذهب المالكية كما نقله السبكي وحمل ذلك على إبلاغ السلام قال: وإلّا فمجرد الوقوف لا يحصل للمستأجر غرضاً. «كذا في الجوهر المنظم للشيخ ابن حجر الهيتمي الشافعي ص٧٩».


من آداب
الزيارة والمجاورة

من آداب الزيارة النبويّة

ينبغي لمن وفّقه الله تعالى ووصل إلى المدينة المنوّرة أن يتمسك بالآداب الشرعية في تلك الرحاب الطاهرة والمنازل المباركة فيستشعر شرف المكان بالفضل الثابت بالعيان.

فإذا دخل المسجد النبويّ يدخل بسكينة واحترام وهدوء تام ولا يرفع صوته لأن رفع الصوت في المسجد منهي عنه، وهو في مسجد النبيّ ﷺ أشدّ.

فقد ثبت أن المنصور أمير المؤمنين، ناظر مالكاً فيه، فقال له: يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد النبويّ، فإن الله تعالى أدب قوماً، فقال تعالى: ﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾ [الحجرات: ٢]، الآية، ومدح قوماً فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات: ٣] الآية، وذمّ قوماً فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ﴾ [الحجرات: ٤] الآية. وإن حرمته ميتاً كحرمته حياً، فاستكان لذلك المنصور. فانظر يا أخي هذا الأدب العظيم من الإمام مالك والمنصور رحمهما الله تعالى.

وفي البخاري أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لرجلين من أهل الطائف: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي وفاء الوفا للسمهودي روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: لا ينبغي رفع الصوت على النبيّ ﷺ لا حياً ولا ميتاً. وأن عائشة رضي الله عنها كانت إذا وتد الوتد أو ضرب المسمار في بعض الدور المطيفة بالمسجد النبويّ الشريف ترسل إليهم أن لا تؤذوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. قلت: وإنما فعلت عائشة رضي الله عنها ذلك. طلباً للاقتصار على قدر الحاجة في ذلك لأن فعل ما زاد عليه في تلك الحضرة الشريفة ليس من الأدب، وهو ﷺ يتأذى ممن لا يراعي كمال الأدب معه لأنه حي في الدارين.

وليست هناك صيغة مخصوصة للزيارة يسن التزامها، أو التقيد بها، بل لو صلى وسلم على النبيّ ﷺ بأي صيغة أو أسلوب كفى، ويكفيه أن يقتصر على قوله: السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا أبا بكر الصديق، السلام عليك يا أبا حفص عمر، كلما دخل المسجد. فقد كان ابن عمر إذا دخل المسجد يقول: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبت ثم ينصرف.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إذا قال في سلامه: السلام عليك يا رسول الله يا خيرة الله من خلقه، يا أكرم الخلق على ربّه يا إمام المتقين، فهذا كله من صفاته بأبي هو وأمي ﷺ وينبغي أن يحترس مما يفعله بعض الجهّال أمام الحجرة من تمسّح ونحوه، فلا يستلم الحجرة ولا يقبّلها ولا يطوف بها، وأن لا يتصنّع وجداً أو حالاً أو شوقاً كاذباً ليفعل ذلك فإن المتشبّع بما ليس عنده كلابس ثوبي زور.

وقد حفظ الله تلك الرحاب من كل ما ينافي التوحيد، ولا يوجد بين الأمة المسلمة بحمد الله من يعتقد فيه، أو في قبره ﷺ اعتقاداً باطلاً، استجابة لدعائه ﷺ حين قال: «اللهمّ لا تجعل قبري وثناً يعبد»، وتحقيقاً لما أخبر به أنه لا يجتمع دينان بجزيرة العرب، وأن الشيطان قد أيس أن يعبد بالجزيرة. ولا تظنن ما يفعله بعض الناس مما ظاهره ينافي التوحيد إلّا صادراً عن جهل يحتاج إلى تعليم وتنبيه.

قال الشيخ ابن القيم:

ولقد نهانا أن نصيّر قبره ... عيداً حذار الشرك بالرحمن
ودعا بأن لا يجعل القبر الذي ... قد ضمّه وثناً من الأوثان
فأجاب رب العالمين دعاءه ... وأحاطه بثلاثة جدران
حتى غدت أرجاؤه بدعائه ... في عزّة وحماية وصيان

وينبغي للمسلم أن يتأدّب في تلك الحضرة ملاحظاً أنه ﷺ يشعر به ويعرفه ويردّ عليه السلام، ويعلم موقفه وأن حرمته ميتاً كحرمته حياً.

قال الشيخ ابن القيم:

فإذا أتينا المسجد النبويّ ... صلينا التحية أولاً ثنتان
ثم انثنينا للزيارة نقصد القـ ... ـبر الشريف ولو على الأجفان
فنقوم دون القبر وقفة خاضع ... متذلل في السر والإعلان
فكأنه في القبر حيٌّ ناطق ... فالواقفون نواكس الأذقان

ملكتهم تلك المهابة فاعترت | تلك القوائم كثرة الرجفان
وتفجّرت تلك العيون بمائها | ولطالما غاضت على الأزمان
وأتى المسلّم بالسلام بهيبة | ووقار ذي علم وذي إيمان
لم يرفع الأصوات حول ضريحه | كلا ولم يسجد على الأذقان

إلى آخر القصيدة.

وينبغي لمن وصل إلى المدينة المنوّرة أن يجتهد في المحافظة على الصلاة بالمسجد النبويّ المشرف، فقد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيّ ﷺ قال: «**صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلّا المسجد الحرام**»، قال النووي: وهذا التفضيل يعمّ الفرض والنفل لله. وهذا التفضيل يعمّ المسجد القديم وما أضيف إليه من جديد الآن وقبل الآن فقد روي عنه ﷺ أنه قال: «**لو بني هذا المسجد إلى صنعاء كان مسجدي**»، وهذا الحديث إن صح فهو من أعلام نبوته. وينبغي أيضاً أن لا ينسى روضة الجنة في الدنيا، ففي الصحيح مرفوعاً: «**ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة**»، وفي لفظ: «**ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة**» وأن يجتهد في الصلاة فيها، لكن بشرط ألا يؤذي أحداً بالمزاحمة والمدافعة ولا يتأخر في الحضور إلى المسجد ثم يتوجه إلى الروضة للصلاة فيها فيؤذي المصلين، ويتخطى الرقاب، ويقطع الصفوف، ويشوّش على الذاكرين، ويسبّب المخاصمة والمجادلة التي قد تخرج إلى المشاتمة والقول القبيح، فهو بهذا قد ارتكب الحرام للوصول إلى السنة، فوقع في الشرّ من حيث أراد الخير.

خلاصة لآداب الزيارة والمجاورة

منها: ما يتعلق بسفرها من الاستخارة وتجديد التوبة والوصية وإرضاء من يتوجه إرضاؤه وإطابة النفقة والتوسعة في الزاد وعدم المشاركة فيه وتوديع الأهل والإخوان والمنزل بركعتين والدعاء عقبهما والتصدق بشيء عند الخروج منه إلى غير ذلك مما هو مذكور في آداب الحج.

ومنها: إخلاص النية فينوي التقرب بالزيارة وينوي معها التقرب بشدّ الرّحل للمسجد النبويّ والصلاة فيه كما قاله أصحابنا وغيرهم لحثّه ﷺ على ذلك ففيه تعظيمه أيضاً بامتثال أوامره والمراد من حديث: لا تعمله حاجة إلا زيارتي اجتناب قصد حاجة لم يدعه الشارع إليها فلينو مع ذلك أيضاً الاعتكاف فيه والتعلم والتعليم وذكر الله تعالى وإكثار الصّلاة والسّلام على النبيّ ﷺ.

ومنها: أن يزداد بالعزم شوقاً وصبابة وتوقاً وكلما ازداد دنوًّا ازداد غراماً وحنواً، إذ من لازم حبه ﷺ كثرة الشوق إليه وطلب القرب من معاهده وآثاره وأماكنه ومهابط أنواره.

تلك الدّيار التي قلب المحب له شوق إليها وتذكار وأشجان
وأنة وحنين كلما ذكرت ولوعة وشجى منه وأحزان

ومنها: أن يقول إذا خرج من بيته: بسم الله آمنت بالله حسبي الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، اللهمّ إليك خرجت وأنت أخرجتني، اللهمّ سلمني وسلم مني وردّني سالماً في ديني كما أخرجتني، اللهمّ إني أعوذ بك أن أضلّ أو أضلّ أو أزلّ أو أزلّ أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل عليَّ عزَّ جارك وجلَّ ثناؤك وتبارك اسمك ولا إله غيرك، اللهمّ إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا إليك «إلى آخر الذكر المستحب لقاصد المسجد».

ومنها: الإكثار في المسير من الصلاة والتسليم على النبيّ ﷺ، بل يستغرق أوقات فراغه في ذلك وغيره من القربات ويتتبع ما في طريقه من المسجد والآثار المنسوبة للنبيّ ﷺ يحييها بالزيارة والصلاة فيها ولا يبخل بما يمكنه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والغضب عند تضييع شيء من حقوقه ﷺ إذ من علامة المحبة غيرة المحب لمحبوبه، وأقوى الناس ديانة أعظمهم غيرة وادعاء المحبة بلا غيرة كذب.

ومنها: إذا دنا من حرم المدينة الشريفة وأبصر رباها وأعلامها فليزدد خضوعاً وخشوعاً ويستبشر بالهنا وبلوغ المنى، ولله در القائل:

قرب الدّيار يزيد شوق الواله لا سيما إن لاح نور جماله
أو بشر الحادي بأن لاح النقا وبدت على بعد رؤوس جباله
فهناك عيل الصبر من ذي صبوة وبدا الذي يخفيه من أحواله

ويجتهد حينئذٍ في مزيد الصّلاة والسّلام وترديدهما كلما دنا من تلك الأعلام، ولا بأس بالترجّل والمشي إذا قرب، لأن وفد عبد القيس لما رأوا النبيّ ﷺ نزلوا عن الرواحل ولم ينكر عليهم، وقال أبو سليمان داود: إن ذلك يتأكد لمن أمكنه من الرجال تواضعاً لله وإجلالاً لنبيّه ﷺ، وفي الشفا أن أبا الفضل الجوهري لما ورد المدينة زائراً وقرب من بيوتها ترجّل باكياً منشداً:

ولما رأينا رسم من لم يدع لنا فؤاداً لعرفان الرسوم ولا لبا

نزلنا عن الأكوار نمشي كرامة ... لمن بان عنه أن نلمّ به ركبا

ومنها: إذا بلغ حرم المدينة فليقل بعد الصلاة والتسليم: اللهمّ إن هذا هو الحرم الذي حرمته على لسان حبيبك ورسولك ﷺ ودعاك أن تجعل فيه من الخير والبركة مثلي ما هو بحرم بيتك الحرام فحرمني على النار وأمّني من عذابك يوم تبعث عبادك وارزقني ما رزقته أولياءك وأهل طاعتك ووفقني فيه لحسن الأدب وفعل الخيرات وترك المنكرات، وإن كانت طريقه على ذي الحليفة فلا يتجاوز المعرس حتى ينيخ به ويصلي بمسجده ومسجد ذي الحليفة.

ومنها: الغسل لدخول المدينة ولبس أنظف ثيابه، صرّح باستحبابه جماعة من الشافعية والحنابلة وغيرهم، وفي حديث قيس بن عاصم في قدومه مع وفده وحديث المنذر بن ساوى التميمي ما يشهد لذلك، وفي الإحياء: وليغتسل قبل الدخول من بئر الحرّة وليتطيب ويلبس أنظف ثيابه، وقال الكرماني من الحنفية: فإن لم يغتسل خارج المدينة فليغتسل بعد دخولها وليجتنب ما يفعله بعض الجهلة من التجرّد عن المخيط تشبّهاً بحال الإحرام.

ومنها: إذا شارف المدينة الشريفة وتراءت له قبّة الحجرة المنيفة فليستحضر عظمتها وتفضيلها وأنها البقعة التي اختارها الله لحبيبه ﷺ ويمثل في نفسه مواقع أقدامه الشريفة عند تردّده فيها وإنه ما من موضع يطؤه إلاّ هو موضع قدمه العزيزة مع خشوعه وسكينته وتعظيم الله له حتى أحبط عمل من انتهك شيئاً من حرمته ولو برفع صوته فوق صوته، ويتأسف على فوات رؤيته في الدنيا وإنه من ذلك في الآخرة على خطر لقبيح فعله ثم يستغفر لذنوبه ويلتزم سلوك سبيله ليفوز بالإقبال عند اللقا ويحظى بتحية المقبول من ذوي التقى.

ومنها: أن يقول عند دخوله البلد: بسم الله ما شاء الله لا قوة إلاّ بالله رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً آمنت بالله حسبي الله. إلى آخر ما سبق أنه يقوله إذا خرج من بيته، وليقو في قلبه شرف المدينة وأنها حوت أفضل البقاع بالإجماع وتفضيلها مطلقاً عند بعضهم:

أرض مشى جبريل في عرصاتها ... والله شرف أرضها وسماها

ومنها: أن يقدم صدقة بين يدي نجواه ويبدأ بالمسجد الشريف ولا يعرج على ما سواه مما لا ضرورة به إليه، فإذا شاهده فليستحضر أنه أتى مهبط أبي الفتوح جبريل عليه السلام ومنزل أبي الغنائم ميكائيل وموضع الوحي والتنزيل

فليزدد خشوعاً وخضوعاً يليق بالمقام ويقصد باب جبريل لقول بعضهم: إن الدخول منه أفضل. فإذا أراد الدخول فليفرغ قلبه وليصف ضميره مستحضراً عظيم ما هو متوجه إليه، قال أبو سليمان داود: يقف يسيراً كالمستأذن كما يفعله من يدخل على العظماء ويقدم رجله اليمنى في الدخول قائلاً: أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وبنوره القديم من الشيطان الرجيم بسم الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله اللهمّ صلّ على سيدنا محمد عبدك ورسولك وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، اللهمّ اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك ووفقني وسددني وأعني على ما يرضيك عني ومنّ عليَّ بحسن الأدب، السلام عليك أيها النبيّ ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، ولا يتركه كلما دخل المسجد أو خرج إلا أنه يقول عند الخروج: وافتح لي أبواب فضلك.

ومنها: أنه إذا صار في المسجد فلينو الاعتكاف وإن قلّ زمانه ثم يتوجه للروضة الشريفة خاشعاً غاضّاً طرفه غير مشغول بالنظر إلى شيء من زينة المسجد وغيره مع الهيبة والوقار والخشية والانكسار والخضوع والافتقار، ثم يقف في المصلى النبويّ إن كان خالياً وإلا ففيما قرب منه ومن المنبر وإلا ففي غير ذلك فيصلي التحية ركعتين خفيفتين يقرأ فيها: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الكافرون: ١] والإخلاص، فإن أقيمت مكتوبة أو خاف فوتها صلاها وحصلت التحية ثم يحمد الله ويشكر ويسأل الرضا والتوفيق والقبول وأن يهب له من مهمات الدارين نهاية السؤال ويسجد شكراً لله تعالى عند الحنفية، وفي التشويق للجمال بن المحب الطبري موافقتهم ويبتهل في أن يتم له ما قصد من الزيارة النبويّة ومحل تقديم التحية إذا لم يكن مروره قبالة الوجه الشريف فإن كان استحبت الزيارة أولاً كما قال بعضهم. ورخّص بعض المالكية في تقديم الزيارة على الصلاة وقال: كل ذلك واسع ودليل الأول حديث جابر رضي الله عنه قال: قدمت من سفر فجئت رسول الله ﷺ أسلم عليه فقال: «أدخلت المسجد فصليت فيه؟» قلت: لا، قال: «فاذهب فادخل المسجد فصل فيه ثم ائت فسلم عليّ». وقال اللخمي: وتبتدئ في مسجد النبيّ ﷺ بتحية المسجد قبل أن تأتي القبر هذا قول مالك، وقال ابن حبيب: يقول إذا دخل: بسم الله والسّلام على رسول الله ﷺ يريد أنه يبتدئ بالسلام من موضعه ثم يركع ولو كان دخوله من الباب الذي بناحية القبر ومروره عليه فوقف فسلم ثم عاد إلى موضع يصلي فيه لم يكن ضيقاً اهـ. ومراد ابن حبيب الإتيان أوّلاً بالسلام المستحب لداخل المسجد لحديث: «إذا دخل أحدكم المسجد فيسلم على النبيّ ﷺ».

ومنها: أن يتوجه بعد ذلك إلى الضريح الشريف مستعيناً بالله في رعاية الأدب بهذا الموقف المنيف فيقف بخضوع ووقار وذلة وانكسار غاضّ الطرف مكفوف الجوارح واضعاً يمينه على شماله كما في الصلاة فيما قال الكرماني من الحنفية مستقبلاً للوجه الشريف وقد حدث الآن شباك من نحاس، وموقف السلف قبل إدخال الحجر في المسجد وبعده داخل تلك المقصورة وهو السنة إذ المنقول الوقوف على نحو أربعة أذرع من رأس القبر الشريف، وقال ابن عبد السلام: ثلاثة. وقال ابن حبيب في الواضحة: واقصد القبر الشريف من وجاه القبلة وادن منه. وفي الإحياء بعد بيان الموقف بنحو ما سبق فينبغي أن يقف بين يديه كما وصفنا وتزوره ميتاً كما كنت تزوره حياً ولا تقرب من قبره إلا كما كنت تقرب من شخصه الكريم لو كان حياً انتهى، ولينظر الزائر إلى أسفل ما يستقبله من الحجرة والحذر من اشتغال النظر بشيء مما هناك من الزينة فإنه ﷺ كما قال في الإحياء عالم بحضورك وقيامك وزيارتك له قال: فمثل صورته الكريمة في خيالك موضوعاً في اللحد بإزائك وأحضر عظيم رتبته في قلبك انتهى. ثم سلم مقتصداً من غير رفع صوت ولا إخفاء.

ومنها: أن يأتي المنبر الشريف ويقف عنده ويدعو الله تعالى ويحمده على ما يسّر له ويسأله من الخير أجمع ويستعيذ به من الشر أجمع، فعن يزيد بن عبد الله بن قسيط: رأيت رجالاً من أصحاب رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد يأخذون برمانة المنبر الصلعاء التي كان رسول الله ﷺ يمسكها بيده ثم يستقبلون القبلة ويصلون ويدعون، ويصلي ويدعو عند أسطوانة المهاجرين وغيرها من الأساطين ذات الفضل ويكثر من الصلاة والدعاء بالروضة المشرفة.

ومنها: أن يجتنب جدار القبر وتقبيله والطواف به، قال النووي: لا يجوز أن يطاف به ويكره إلصاق البطن والظهر به قاله الحليمي وغيره، قال: ويكره مسحه باليد وتقبيله. بل الأدب أن يبعد منه كما يبعد منه لو حضر في حياته، هذا هو الصواب وهو الذي قاله العلماء وأطبقوا عليه، ومن خطر بباله أن المسح باليد ونحوه أبلغ في البركة فهو من جهالته وغفلته لأن البركة إنما هي فيما وافق الشرع وأقوال العلماء. انتهى.

وفي الإحياء مسّ المشاهد وتقبيلها عادة النصارى واليهود اهـ. وعن الزعفراني أن ذلك من البدع التي تنكر شرعاً، وعن أنس بن مالك أنه رأى رجلاً وضع يده على قبر النبيّ ﷺ فنهاه وقال: ما كنا نعرف هذا على عهد رسول الله ﷺ،

وقال السروجي من الحنفية: لا يلصق بطنه بالجدار ولا يمسه بيده، وفي كتاب أحمد بن سعيد الهندي كما في الشفاء فيمن وقف بالقبر: لا يلصق به ولا يمسه ولا يقف عنده طويلاً. وفي المغني للحنابلة ولا يستحب التمسح بحائط قبر النبيّ ﷺ ولا يقبله، وقال أبو بكر الأثرم: قلت لأبي عبد الله يعني ابن حنبل قبر النبيّ ﷺ يلمس ويتمسّح به؟ قال: ما أعرف هذا، قلت له: فالمنبر أي قبل احتراقه، قال: أما المنبر فنعم قد جاء فيه شيء يروونه عن أبي فديك عن أبي ذئب عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه مسح المنبر ويروونه عن سعيد بن المسيب في الرمانة، ويروى عن يحيى بن سعيد شيخ الإمام مالك أنه حيث أراد الخروج إلى العراق جاء إلى المنبر فمسحه ودعا فرأيته استحسن ذلك. قلت لأبي عبد الله أنهم يلصقون بطونهم بجدار القبر وقلت له رأيت أهل العلم من أهل المدينة لا يمسونه ويقومون ناحية ويسلمون، فقال أبو عبد الله: نعم وهكذا كان ابن عمر يفعل ذلك نقله ابن عبد الهادي عن تأليف شيخه ابن تيمية، ولابن عساكر في تحفته عن ابن عمر أنه كان يكره أن يكثر مس قبر النبيّ ﷺ وفيه تقييد لما سبق، وفي مبحث القبر النبويّ في كتابنا عن المدينة المنوّرة زيادة تفصيل لهذه المسألة.

ومنها: اجتناب الانحناء للقبر عند التسليم فهو من البدع، ويظن من لا علم له أنه من شعار التعظيم وأقبح منه تقبيل الأرض للقبر، قال العز ابن جماعة: وليس عجبي ممن جهله فارتكبه بل ممن أفتى بتحسينه مع علمه بقبحه واستشهد له بالشعر قال الإمام السمهودي قلت: شاهدت بعض القضاة فعله وزاد السجود بجبهته بحضرة العوام فتبعوه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ومنها: أن لا يستدبر القبر المقدس في الصلاة ولا في غيرها ولا يصلي إليه قال ابن عبد السلام: وإذا أردت صلاة فلا تجعل حجرته ﷺ وراء ظهرك ولا بين يديك. قال: والأدب معه ﷺ بعد وفاته مثله في حياته فما كنت صانعه في حياته فاصنعه بعد وفاته من الاحترام والإطراق بين يديه وترك الخوض فيما لا ينبغي أن تخوض فيه في مجلسه فإن أبيت فانصرافك خير من بقائك اهـ.

وقال الأذرعي: يجب الجزم بتحريم الصلاة إلى قبور الأنبياء تبركاً وإعظاماً وفي التتمة أن الصلاة إلى قبر رسول الله ﷺ حرام قال الأذرعي: وينبغي أن لا يختصّ هذا بقبره الكريم بل هو عام كما ذكرنا، وعجب قول النووي في التحقيق: تحرم الصلاة متوجهاً إلى رأس قبر رسول الله ﷺ وتكره إلى غيره اهـ.

ويجتنب ما يفعله الجهلة من التقرب بأكل الصيحاني بالمسجد وإلقاء النوى فيه.

ومنها: أن لا يمر بالقبر الشريف ولو من خارج المسجد حتى يقف ويسلم، حدث أبو حازم أن رجلاً أتاه فحدثه أنه رأى النبيّ ﷺ يقول لأبي حازم: أنت المارّ بي معرضاً لا تقف تسلم علي. فلم يدع ذلك أبو حازم منذ بلغته الرؤيا، وفي جامع البيان لابن رشد وسئل يعني مالكاً عن المارّ بقبر النبيّ ﷺ أترى أن يسلم كلما مرّ؟ قال: نعم أرى ذلك عليه كلما مر به وقد أكثر الناس من ذلك فأما إذا لم يمرّ به فلا أرى ذلك، وذكر حديث: «**اللهمّ لا تجعل قبري وثناً**» فإذا لم يمر عليه فهو في سعة من ذلك. وسئل عن الغريب يأتي قبر النبيّ ﷺ كل يوم فقال: ما هذا من الأمر ولكن إذا أراد الخروج. قال ابن رشد: معناه أنه يلزمه أن يسلم متى ما مرّ وليس عليه أن يمر ليسلم إلا للوداع عند الخروج ويكره أن يكثر المرور به والسّلام عليه والإتيان كل يوم. وقال مالك في المبسوط: وليس يلزم من دخل المسجد وخرج منه من أهل المدينة الوقوف بالقبر وإنما ذلك للغرباء. وقال فيه: لا بأس لمن قدم من سفر أو خرج إلى سفر أن يقف على قبر النبيّ ﷺ فيصلي عليه ويدعو ولأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فقيل له: فإن ناساً من أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه ويفعلون ذلك في اليوم مرة أو أكثر أو في الجمعة أو الأيام فقال: لم يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه ببلدنا وتركه واسع لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك ويكره إلا لمن جاء من سفر أو أراده.

قال الباجي: ففرق بين أهل المدينة والغرباء لأن الغرباء قصدوا لذلك وأهل المدينة مقيمون لها لم يقصدوها من أجل القبر والتسليم، قال السبكي والملخص من مذهب مالك أن الزيارة قربة ولكنه على عادته في سدّ الذرائع يكره منها الإكثار الذي قد يفضي إلى محذور، والمذاهب الثلاثة يقولون باستحبابها واستحباب الإكثار منها لأن الإكثار من الخير خير، وفي زيارة القبور من أذكار النووي يستحب الإكثار من الزيارة وأن يكثر الوقوف عند قبور أهل الخير والفضل، وقال عبد الله بن محمد بن عقيل رحمه الله تعالى: كنت أخرج كل ليلة من آخر الليل حتى آتي المسجد فأبدأ بالنبيّ ﷺ فأسلم عليه. ولابن زبالة عن عبد العزيز بن محمد: رأيت رجلاً من أهل المدينة يقال له محمد بن كيسان يأتي إذا صلى العصر من يوم الجمعة ونحن جلوس مع ربيعة فيقوم عند

القبر فيسلم ويدعو حتى يمسي فيقول جلساء ربيعة: انظروا إلى ما يصنع هذا فيقول: دعوه فإنما للمرء ما نوى.

ومنها: الإكثار من الصّلاة والسّلام عليه ﷺ واغتنام ما أمكن من الصيام والحرص على الصلوات الخمس بالمسجد النبويّ في الجماعة والإكثار من النافلة فيه مع تحري المسجد الأول والأماكن الفاضلة منه إلا أن يكون الصف الأول خارجه وليغتنم ملازمة المسجد إلا لمصلحة راجحة وكلما دخله جدد نية اعتكاف وليحرص على المبيت فيه ولو ليلة يحييها وعلى ختم القرآن العظيم به. وأخرج سعيد بن منصور عن أبي مخلد قال: كانوا يحبون لمن أتى المساجد الثلاثة أن يختم فيها القرآن قبل أن يخرج. قال المجد: ويديم النظر إلى الحجرة الشريفة فإنه عبادة قياساً على الكعبة فإذا كان خارج المسجد أدام النظر إلى قبّتها مع المهابة والحضور.

ومنها: أنه يستحب الخروج كل يوم إلى البقيع بعد السلام على النبيّ ﷺ خصوصاً يوم الجمعة قاله النووي. فيقول إذا انتهى إليه: السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون يرحم الله المستقدمين منكم والمستأخرين اللهمّ اغفر لأهل بقيع الغرقد، اللهمّ لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنّا بعدهم واغفر لنا ولهم ثم يزور ما فيه من القبور الظاهرة به ولم يتعرض النووي لمن يبدأ به. وقال البرهان ابن فرحون: الأولى بالتقديم سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه لأنه أفضل من هناك. واختار بعضهم البداءة بإبراهيم ابن رسول الله ﷺ.

ومنها: أن يلاحظ بقلبه مدة إقامته بالمدينة جلالتها وتردد جبريل عليه السلام بالوحي فيها، ولا يركب بها دابة مهما قدر على المشي. كما فعل مالك رحمه الله تعالى. وقال: أستحي من الله تعالى أن أطأ تربة فيها رسول الله ﷺ بحافر دابة، وروي: أخشى أن يقع حافر الدابة في محلّ مشى رسول الله ﷺ فيه، ويزمّ نفسه مدة إقامته بزمام الخشية والتعظيم ويخفض جناحه ويغضّ صوته قال الله تعالى: ﴿يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ﴾ [الحجرات: ٣] الآية ولما نزلت قال أبو بكر رضي الله عنه: آليت أن لا أكلم رسول الله ﷺ إلا كأخي السرار، وحرمته ﷺ ميتاً كحرمته حياً.

ومنها: محبة سكان المدينة سيما العلماء والصلحاء والأشراف والخدام، قال المجد: وهلم جرّا إلى عوامها وخواصها على حسب مراتبهم إلى من لا يبقى له مزية سوى كونه جاراً، فأعظم به مزية لأنه ﷺ أوصى بالجار ولم يخصّ جاراً دون جار، قال: وكل ما احتج به محتج من رمي عوامهم بالابتداع وترك

الاتباع فإنه إذا ثبت في شخص لا يترك إكرامه فإنه لا يخرج عن حكم الجار وإن جار ولا يزال عنه شرف مساكنته في الدار كيف دار بل يرجى أن يختم له بالحسنى ويمنح ببركة القرب الصوري قرب المعنى.

فيا ساكني أكناف طيبة كلكم إلى القلب من أجل الحبيب حبيب

قالوا: ويستحبّ أن يتصدق فيها بما أمكنه، قال في شرح المهذب: ويخصّ أقاربه ﷺ بمزيد لحديث مسلم: «أذكركم الله في أهل بيتي».

ومنها: إذا اختار الرجوع فليودع المسجد الشريف بركعتين بالمصلى النبويّ أو ما قرب منه ثم يقول بعد الحمد والصّلاة والسّلام: اللهمّ إني أسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما تحب وترضى، إلى غير ذلك مما يستحب للمسافر، ويدعو بما أحب ثم يقول: اللهمّ لا تجعله آخر العهد بهذا المحل الشريف، ويختم بالحمد والصّلاة والسّلام ويأتي القبر الشريف ويسلم ويدعو بما تقدم أولاً ويقول: نسألك يا رسول الله أن تسأل الله أن لا يقطع آثارنا من زيارتك وأن يعيدنا سالمين وأن يبارك لنا فيما وهب لنا ويرزقنا الشكر على ذلك، اللهمّ لا تجعله آخر العهد بحرم رسولك ﷺ وحضرته الشريفة ويسّر لي العود إلى الحرمين سبيلاً سهلة وارزقني العفو والعافية في الدنيا والآخرة.

وصرّح الكرماني بتقديم وداع النبيّ ﷺ على توديع المسجد بركعتين، والأول هو المشهور والأصل في ذلك حديث: كان لا ينزل منزلاً إلا ودّعه بركعتين، ثم ينصرف الزائر عقب ذلك تلقاء وجهه ولا يمشي إلى خلفه ويكون متألماً متحزناً على الفراق وما يفوته من البركات وهناك يظهر من المحبين سوابق العبرات، ويتصعد من بواطنهم لواحق الزفرات. ويكون مع ذلك دائم الأشواق لذلك المزار متعلق القلب بالعود لتلك الدّيار ولله درّ القائل:

أحنّ إلى زيارة حي ليلى وعهدي من زيارتها قريب
وكنت أظن قرب الدار يطفي لهيب الشوق فازداد اللهيب

ولا يستصحب شيئاً من تراب الحرم ولا من الأكر المعمولة منه ونحو ذلك بل يستصحب هدية يدخل بها السرور على أهله وإخوانه من غير أن يتكلفها سيما ثمار المدينة الشريفة ومياه آبارها المباركة.

ومنها: أن يتصدق بشيء مع خروجه وينوي حينئذٍ ملازمة التقوى والاستعداد للقاء الله تعالى ورسوله ﷺ في يوم المعاد وليحذر كل الحذر من مقارفة الذنوب فإن النكسة أشدّ من المرض ويحافظ على الوفاء بما عاهد عليه

الله تعالى ولا يكون خواناً أثيماً ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠].

الزيارة النبويّة والشعر

ألفاظ مستعملة وردت في هذا الباب

وقد وردت ألفاظ في مدح النبيّ ﷺ حصل بسببها اللبس عند بعضهم فحكم بالكفر على قائليها وذلك كقولهم: ليس لنا ملاذ سوى النبيّ ﷺ.

ولا رجاء إلا هو...

وأنا مستجير به...

وإليه يفزع في المصائب.

وإن توقفت فمن أسأل.

ومقصودهم ليس لنا ملاذ أي من الخلق، ولا رجاء أي من البشر، وإليه يفزع في المصائب أي من سائر الخلق لكرامته عند مولاه وليقوم هو بالتوجه إلى الله والطلب منه وإن توقفت فمن أسأل أي من عباد الله.

ومع أننا في دعائنا وتوسّلنا لا نستعمل مثل هذه الألفاظ ولا ندعو إليها ولا نحثّ عليها دفعاً للإيهام وابتعاداً عن الألفاظ المختلف فيها وتمسكاً بالظاهر الذي لا خلاف فيه إلا أننا نرى أن الحكم على قائليها بالكفر تسرع ليس بمحمود وتصرف لا حكمة فيه وذلك لأنه لا بد من أن نأخذ في الاعتبار أن قائليها هم من الموحدين يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيمون الصلاة ويصدقون بجميع أركان الدّين ويؤمنون بالله رباً وبمحمد نبياً وبالإسلام ديناً وبذلك صارت لهم ذمّة أهل الدّين وحرمة الإسلام، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«من صلى صلاتنا وأسلم واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمّة الله ورسوله فلا تخفروا الله في ذمّته»..

رواه البخاري.

ومن هنا فإن الواجب علينا أننا إذا وجدنا في كلام المؤمنين إسناد شيء لغير الله سبحانه وتعالى فإنه يجب حمله على المجاز العقلي ولا سبيل إلى تكفيرهم إذ المجاز العقلي مستعمل في الكتاب والسنة فصدور ذلك الإسناد من موحد كاف في جعله إسناداً مجازياً لأن الاعتقاد الصحيح هو اعتقاد أن الله هو

الخالق للعباد وأفعالهم لا تأثير لأحد سواه لا لحي ولا لميت، فهذا الاعتقاد هو التوحيد بخلاف من اعتقد غير هذا فإنه يقع في الإشراك وليس في المسلمين إطلاقاً من يعتقد لأحد مع الله فعل أو ترك أو رزق أو إحياء أو إماتة، وما جاء من الألفاظ الموهمة فإن مقصود أصحابها هو الاستشفاع إلى الله بتلك الوسيلة فالمقصود هو الله سبحانه وتعالى وليس من المسلمين رجل واحد يعتقد فيمن يطلبه أو يسأله أنه قادر على الفعل والترك دون التفات إلى الله تعالى من قريب أو بعيد أو مع التفات هو أدنى إلى الشرك بالله ونعوذ بالله أن نرمي مسلماً بشرك أو كفر من أجل خطأ أو جهل أو نسيان أو اجتهاد[١].

ونحن نقول: إن كان كثير من هؤلاء يخطئون في التعبير بطلب المغفرة والجنة والشفاء والنجاح وسؤالهم ذلك من رسول الله ﷺ مباشرة فإنه لا يخطئهم التوحيد، لأن المقصود هو الاستشفاع إلى الله بتلك الوسيلة فكأنه يقول: يا رسول الله! اسأل الله أن يغفر لي وأن يرحمني، وأنا أتوسّل بك إليه في قضاء حاجتي وتفريج كربتي وتحقيق رغبتي.

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يستعينون به ﷺ ويستغيثون ويطلبون منه الشفاعة ويشكون حالهم إليه من الفقر والمرض والبلاء والدّين والعجز، كما ذكرناه.

ومعلوم أنه ﷺ لا يفعل ذلك بنفسه استقلالاً بذاته أو بقوته، وإنما هو بإذن الله وأمره وقدرته وهو عبد مأمور له مقامه وجاهه عند ربه، وله كرامته التي يدخل بها على الله عامة البشر ممن يؤمنون به ويصدقون برسالته ويعتقدون فضله وكرامته.

ونحن نعتقد أن من اعتقد خلاف هذا فقد أشرك بلا خلاف.

ولذلك تراه ﷺ في بعض الأحيان ينبّه على هذا إذا ظهر له بطريق الوحي أو الحال أن السائل أو السامع ناقص الاعتقاد ففي موقف يخبر أنه سيد ولد آدم، وفي موقف آخر ينبّههم على أن السيد هو الله، وفي موقف يستغيثون به ويعلمهم أن يتوسّلوا به، وفي موقف يقول لهم: إنما يستغاث بالله ولا يستغاث بي، وفي موقف يسألونه ويستغيثون به فيجيبهم إلى طلبهم، بل ويخيرهم بين أمرين، الصبر على البلاء مع ضمانة الجنة أو كشف البلاء سريعاً كما خيّر الأعمى وخيّر المرأة التي تصرع، وخيّر قتادة الذي ذهبت عينه، وفي موقف يقول لهم: «إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله»، وفي موقف يقول:

---

(١) تكرّر إيراد هذه الحقيقة في كتابنا هذا لتعدّد المناسبات، وقد عقدنا لها مبحثاً خاصاً بعنوان: «المجاز العقلي» وبه ينجلي كثير من الإشكال وسوء الفهم.

«من فرّج عن مؤمن كربة»... وفي موقف يقول: «لا يأتي بالخيرات إلّا الله».

وبهذا يظهر لك أن عقيدتنا بحمد الله أصفى عقيدة وأطهر، فالعبد لا يفعل شيئاً بنفسه مهما كانت رتبته أو درجته حتى أفضل الخلق ﷺ، إنما يعطي ويمنع ويضر وينفع ويجيب ويعين بالله سبحانه وتعالى.

فإذا استغيث به أو استعين أو طلب فإنما يتوجه إلى المولى جلّ شأنه سبحانه وتعالى، فيطلب ويدعو ويسأل ويشفع فيجاب ويشفع.

وما كان يقول لهم: لا تطلبوا مني شيئاً ولا تسألوني ولا تشكوا حالكم إليّ بل توجهوا إلى الله واسألوه فبابه مفتوح وهو قريب مجيب لا يحتاج إلى أحد، وليس بينه وبين خلقه حجاب ولا بواب.

* * *

موقف الشيخ محمد بن عبد الوهاب من هذه الألفاظ التي زعموا أنها شرك أو ضلال

وللشيخ محمد بن عبد الوهاب موقف عظيم ورأي حكيم في هذا الباب وخصوصاً بالنسبة لبعض الألفاظ المشتهرة على الألسنة، والتي زعم من يدعي حماية التوحيد والغيرة عليه أنه شرك، وأن قائلها مشرك وها هو إمام التوحيد ورأس الموحدين يقول كلمته السديدة بحكمته الرشيدة التي بسببها انتشرت دعوته بين الأنام واشتهرت طريقته عند الخاص والعام، واستمع إلى قوله رحمه الله في عقيدته ضمن رسالته رحمه الله إلى عبد الله بن سحيم مطوع أهل المجمعة:

إذا تبين هذا فالمسائل التي شنّع بها منها: ما هو من البهتان الظاهر، وهي قوله: إني مبطل كتب المذاهب، وقوله: إني أقول: إن الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء، وقوله: إني أدّعي الاجتهاد، وقوله: إني خارج عن التقليد، وقوله: إني أقول: إن اختلاف العلماء نقمة، وقوله: إني أكفّر من توسّل بالصالحين، وقوله: إني أكفّر البوصيري لقوله: يا أكرم الخلق، وقوله: إني أكفّر من توسّل بالصالحين، وقوله: إني أقول: لو أقدر على هدم حجرة الرسول لهدمتها، ولو أقدر على الكعبة لأخذت ميزابها وجعلت لها ميزاباً من خشب، وقوله: إني أنكر زيارة قبر النبيّ ﷺ، وقوله: إني أنكر زيارة قبر الوالدّين وغيرهم، وإني أكفّر من يحلف بغير الله، فهذه اثنتا عشرة مسألة، جوابي فيها أن أقول: ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦]، ولكن قبله من بهت النبيّ

محمداً ﷺ أنه يسبّ عيسى ابن مريم، ويسبّ الصالحين ﴿تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ﴾ [البقرة: ١١٨].

كذا في الرسالة الحادية عشرة من رسائل الشيخ ضمن مجموعة مؤلفاته القسم الخامس ص٦١.

وقد نشرتها جامعة محمد بن سعود الإسلامية في أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

الخلاصة

والحاصل أنه لا يكفر المستغيث إلا إذا اعتقد الخلق والإيجاد لغير الله تعالى، والتفرقة بين الأحياء والأموات لا معنى لها فإنه إن اعتقد الإيجاد لغير الله كفر على خلاف للمعتزلة في خلق الأفعال، وإن اعتقد التسبب والاكتساب لم يكفر.

وأنت تعلم أن غاية ما يعتقد الناس في الأموات هو أنهم متسببون ومكتسبون كالأحياء لا أنهم خالقون موجدون كالإله إذ لا يعقل أن يعتقد فيهم الناس أكثر من الأحياء وهم لا يعتقدون في الأحياء إلا الكسب والتسبب، فإذا كان هناك غلط فليكن في اعتقاد التسبب والاكتساب لأن هذا هو غاية ما يعتقده المؤمن في المخلوق وإلا لم يكن مؤمناً والغلط في ذلك ليس كفراً ولا شركاً.

ولا نزال نكرر على مسامعك أنه لا يعقل أن يعتقد في الميت أكثر مما يعتقد في الحي فيثبت الأفعال للحي على سبيل التسبب، ويثبتها للميت على سبيل التأثير الذاتي والإيجاد الحقيقي فإنه لا شك أن هذا مما لا يعقل.

فغاية أمر هذا المستغيث بالميت ـ بعد كل تنزل ـ أن يكون كمن يطلب العون من المقعد غير عالم أنه مقعد، ومن يستطيع أن يقول: إن ذلك شرك؟ على أن التسبب مقدور للميت وفي إمكانه أن يكتسبه كالحي بالدعاء لنا فإن الأرواح تدعو لأقاربهم.

وجاء عن النبيّ ﷺ أنه قال: «**إن أعمالكم تعرض على أقاربكم من الأموات فإن كان خيراً استبشروا به وإن كان غير ذلك قالوا: اللهمّ لا تمتهم حتى تهديهم إلى ما هديتنا**»، أخرجه أحمد وله طرق يشدّ بعضها بعضاً، أنظر الفتح الرباني ترتيب المسند ج٧ ص٨٩ وشرح الصدور للسيوطي.

وجاء عن ابن المبارك بسنده إلى أبي أيوب، قال: تعرض أعمال الأحياء

على الموتى، فإذا رأوا حسناً فرحوا واستبشروا، وإن رأوا سوءاً قالوا: اللهمّ راجع بهم. (انظر كتاب الروح لابن القيم).

الزيارة النبويّة والشعر

قال الإمام المقري في نفح الطيب في ترجمة الأديب أبي جعفر الألبيري الأندلسي شارح بديعية ابن جابر ومن نثره لما ذكر قصيدة كعب بن زهير رضي الله عنه ما نصّه وهذه القصيدة لها الشرف الراسخ، والحكم الذي لم يوجد له ناسخ، أنشدها كعب في مسجد المصطفى بحضرته وحضرة أصحابه، وتوسّل بها فوصل إلى العفو عن عقابه، فسدّ ﷺ خلّته، وخلع عليه حلّته، وكفّ عنه كفّ من أراده، وأبلغه في نفسه وأهله مراده، وذلك بعد إهدار دمه، وما سبق من هذر كلمه، فمحت حسناتها تلك الذنوب، وسترت محاسنها وجه تلك العيوب، ولولاها لمنع المدح والغزل، وقطع من أخذ الجوائز على الشعر الأمل، فهي حجّة الشعراء فيما سلكوه، وملاك أمرهم فيما ملكوه.

حدثني بعض شيوخنا بالإسكندرية بإسناده أن بعض العلماء كان لا يستفتح مجلسه إلا بقصيدة كعب فقيل له في ذلك فقال: رأيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله! قصيدة كعب أنشدها بين يديك فقال: نعم أحبها وأحب من يحبها قال: فعاهدت الله أن لا أخلو من قراءتها كل يوم، قلت: ولم تزل الشعراء من ذلك الوقت إلى الآن ينسجون على منوالها ويقتدون بأقوالها تبرّكاً بمن أنشدت بين يديه، ونسب مدحها إليه، ولما وضع القاضي محيي الدّين بن عبد الطاهر قصيدة في مدح النبيّ ﷺ على وزن بانت سعاد قال:

لقد قال كعب في النبيّ قصيدة ... وقلنا عسى في مدحه نتشارك
فإن شملتنا بالجوائز رحمة ... كرحمة كعب فهو كعب مبارك

(جواهر البحار في فضائل النبيّ المختار ﷺ ج٣ ص٢٧٢).

وسنذكر في هذا المبحث جملة من غرر القصائد النبويّة والمدائح المحمدية التي يستحسن أن تقال أمام المواجهة النبويّة وفي حضرة الزيارة المحمدية حيث اشتملت على خطابه ﷺ بأجمل أنواع الخطاب وأبلغ أساليب السلام والتحية والإكرام واستعطافه ﷺ بذكر خصائصه ومناقبه الحميدة ومزاياه وشمائله الفريدة ونبدأ بذكر القصائد الثلاث التي حظيت بأن كتبت في المسجد النبويّ الشريف وداخل الحجرة المكرمة ثم نذكر بعدها جملة منتخبة من غرر القصائد والمدائح.

قصيدة
الحجرة النبويّة الشريفة

أنشأ هذه اليتيمة العصماء السلطان عبد الحميد خان ابن السلطان أحمد خان عام ١١٩١هـ واستحقت بإخلاص ناظمها وحبه الصادق لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن تنقش على الحجرة النبويّة الشريفة وقد استخرجت من كتاب تركي قديم هو: «مرآة الحرمين» لأيوب صبري باشا:

يا سيدي يا رسولَ اللَّهِ خذ بيدِي ... ما لي سواكَ ولا ألوي على أحدِ
فأنت نورُ الهدى في كل كائنةٍ ... وأنت سرّ الندى يا خيرَ مُعتمَد
وأنت حقًّا غياثُ الخلق أجمعِهم ... وأنت هادِي الوَرى لله ذي المدد
يا من يقوم مقامَ الحمدِ منفرداً ... للواحدِ الفردِ لم يُولد ولم يلدِ
يا من تفجَّرتِ الأنهارُ نابعةً ... من إصبعيه فروَّى الجيش ذا العدد
إني إذا سامنِي ضيمٌ يُروِّعُني ... أقول يا سيدَ السادات يا سَندي
كُن لي شفيعاً إلى الرحمن من زلَلي ... وامنُن عليَّ بما لا كان في خَلَدِي
وانظر بعين الرضا لِي دائماً أبداً ... واستُر بفضلِك تقصيري مدَى الأمد
واعطف عليَّ بعفوٍ منك يشملني ... فإنني عنك يا مولاي لم أحدِ
إني توسَّلتُ بالمختار أشرفِ من ... رقَى السموات سرّ الواحدِ الأحدِ
رَبُ الجمالِ تعالى اللَّهُ خالقُه ... فَمثلَه في جميع الخلقِ لم أجِد
خيرُ الخلائق أعلى المرسلين ذُرًى ... ذخر الأنام وهاديهم إلى الرشدِ
به التجأتُ لعل الله يغفر لي ... هذا الذي هو في ظني ومعتقدي
فمدحه لم يزل دأبي مدى عمري ... وحبه عند رب العرش مستندي
عليه أزكى صلاة لم تزل أبداً ... مع السلام بلا حصر ولا عدد
والآل والصحب أهلِ المجدِ قاطبة ... بحر السماح وأهلِ الجود والمدد

تنبيهان مهمّان

الأول: اعلم أن البيت الحادي عشر من هذه القصيدة قد أفرد بالكتابة على شباك الحجرة النبويّة أمام دكّة الأغوات أي في جهة المحراب المعروف بمحراب التهجّد والبيت المذكور هو:

ربّ الجمال تعالى الله خالقه ... فمثله في جميع الخلق لم أجدِ

الثاني: بعض أبيات هذه القصيدة مطموس بالدهان، والأبيات التي طمست هي البيت الأول والثاني والثالث والسادس والسابع والثامن والتاسع والعاشر والثالث عشر.

القصيدة الوترية البغدادية

أمام الحجرة النبويّة الشريفة

هذه القصيدة العصماء هي إحدى القصائد الوترية في مدح خير البرية ﷺ للإمام الفاضل الأديب الكامل الواعظ الصالح الزاهد أبي عبد الله مجد الدّين محمد بن أبي بكر بن رشيد البغدادي الشافعي المتوفى سنة ٦٦٢هـ رحمه الله تعالى. وقد حظيت أن ينقش أكثرها أمام المواجهة النبويّة الشريفة على الجدار القبلي حول الشباك وحتى جدار متنزل الوحي كما نقش في ثلاث قباب في الروضة الشريفة وشمالها القنديل الشرقي الأحمر على مشرّفها الصّلاة والسّلام، وهي هذه:

بنُور رسولِ اللَّهِ أشرقتِ الدُّنا ... ففي نوره كلٌّ يجيء ويذهبُ
براهُ جلال الحق للخلق رحمة ... فكل الورى في برِّه يتقلبُ
بدا مجدُه من قبل نشأة آدم ... وأسماؤه من قبلُ في اللوح تُكتبُ
بمبعثه كل النبيّين بشَّرَتْ ... ولا مرسل إلا له كان يخطبُ
بتوراة موسى نعته وصفاته ... وإنجيل عيسى بالمدائح يُطنِبُ
بشيرٌ نذيرٌ مُشفق متعطِّفٌ ... رؤوف رحيمٌ محسن لا يُثَرِّبُ
بأقدامه في حضرة القدس قد سعى ... رسولٌ له فوق المناصِبِ منصِبُ
بأعلى السما أمسى يكلِّمُ رَبَّه ... وجبريلُ ناءٍ والحبيبُ مقرَّبُ
بعزته سُدنا على كل أمة ... وملتنا فيها النبيّون ترغبُ
به مكة تحمي به البيت قبلة ... به عرفات نحوها النجب تجذبُ
بريَّاه طابت طيبة ونسيمُها ... فما المسكُ؟ ما الكافور؟ ريَّاه أطيبُ
بَهِيٌّ جميلُ الوجهِ بدرٌ متمَّمٌ ... صَباحُ ظَلام للضَّلالةِ مُذْهِبُ
بمَنْ أنتَ يا حادِي الرِّكاب مُزَمزِمٌ ... أرى القومَ سَكْرى والغياهِبُ تَذهبُ
بُدورٌ بدَتْ بل لاحَ وجْهُ محمدٍ ... وصهباءُ دَارتْ بل حديثُكَ مُطرِبُ
بأرواحِنا راحَ الحجيجُ وكُلّنا ... نشاوَى كأنَّ الرَّاح في الرَّكب تُشرَبُ

بأوصافِهِ الحُسنَى تَطِيبُ قلُوبُنا وتَهْتَزُّ شوقاً والرَّكائِبُ تَطْرِبُ
بِطَيبَةَ حطَّ الصالحونَ رِحالَهم وأصبَحْتُ عن تلك الأماكِن أحجَبُ
بذَنبي بأوزَاري حُجِبْتُ بِزَلَّتي مَتى يُطلَقُ العانِي وطَيبَةَ نَقرَبُ
بِذُلِّي بإفلَاسِي بِفقْري بفاقتي إليكَ رسولَ الله أصبحتُ أهرُبُ
بجاهِكَ أدرِكْنِي إذا حُوسِبَ الوَرَى فإنِّي عليكم ذَلك اليوم أحسَبُ
بِمدحِكَ أرجو الله يغفرُ زَلَّتي وَلو كُنتُ عبداً طولَ عمري أُذنِبُ

القصيدة الحدَّاديَّة الدَّاخلية

للحجرة النبويّة الشريفة

هذه القصيدة العصماء للإمام شيخ الإسلام قطب الدعوة والإرشاد الولي الكبير العارف بالله تعالى الشهير السيد الحسيب النسيب الشيخ عبد الله بن علوي الحداد العلوي الحسيني الحضرمي الشافعي المتوفى سنة ١١٣٢هـ رضي الله تعالى عنه من ديوانه الموسوم بـ«الدر المنظور لذوي العقول والفهوم» نظمها يتشوق ويمدح رسول الله ﷺ وقد حظيت أن تنقش داخل الحجرة النبويّة الشريفة لإخلاص ناظمها وحبه الأكيد ثم أخرج البيت السادس عشر منها وأبرز على المواجهة النبويّة الشريفة على مشرفها الصلاة والتسليم وهو (نبيّ عظيم إلخ):

سَلكْنَا الفَيافِي وَالقفارَ على النُّجبِ تُجِدُّ بنا الأشواقُ لا حادِي الرَّكْبِ
فَنَهوِي عَليها بالعَشِيَّةِ والذي يَليهَا مِن اللَّيلِ البَهِيْم على القُتْبِ
يَلَذُّ لَنا ألا يَلَذَّ لَنا الكَرَى لِما خالَطَ الأرواحَ من خَالِص الحُبِّ
ويَبرُدُ حرٌّ بالهجيرِ يَهُدُّهُ سمُومٌ إذا هاجَت تُزَعْزِعُ للْكُتْبِ
وَما زَالَ هذا دَأبَنَا وصَنِيْعَنا إلى أن أنَخْنَا العِيسَ بالمنزِلِ الرَّحْبِ
نَزلنا بخيرِ العالَمينَ محمَّدٍ نَبِيُّ الهُدَى بحرُ النَّدى سَيِّدُ العُرْبِ
رسولٌ أمينٌ هاشِميٌّ مُعَظَّمٌ وسيِّد مَن يأتي ومَن مرَّ في الحُقْبِ
مَلَاذُ البَرَايا غوثُ كلِّ مُؤمِّلٍ كَريمُ السجايَا طَيِّبُ الجِسْمِ والقَلْبِ
يُؤمِّلُه العافُونَ مِن كلِّ مُمْحِلٍ كَتأمِيْلِهِمْ للسَّاكِبَاتِ من السُّحْبِ
كريمٌ حلِيْمٌ شأنُه الجُودُ وَالوَفا يُرَجَّى لِكَشْفِ الضُّرِ وَالْبُؤْسِ والكَرْبِ
رَحيم بَراهُ اللَّهُ للخلْقِ رحمَةً وَأرسَلَهُ يَدْعُو إلى الْفوزِ والقُرْبِ
وأرسله بالحق والصدق والهُدى وبَذْلِ النَّدى والرِّفقِ والمنطِقِ العَذْبِ

بِه اللَّهُ أنجانَا من الشِّركِ والرَّدَى ... ومِن عَمَلِ الشيطان والجِبْتِ والنُّصْبِ
وأدْخَلَنَا في خَيرِ دينٍ يحِبُّهُ ... ويَرضَاه دينِ الحقِّ فَالحمدُ للرَّبِّ
لهُ المنَّةُ العُظمَى عَلينَا ببَعْثِهِ ... إلينَا ومنَّا عَالِيَ الذِّكرِ والكَعْبِ
نبيٌّ عظيمٌ خُلْقُه الخُلقُ الَّذي ... لهُ عظَّمَ الرَّحْمٰنُ فِي سيِّدِ الكُتْبِ
وأيَّدَه بالوَحِي وَالنَّصرِ والصبا ... وأملاكِهِ والمُؤمنِينَ وبالرُّعْبِ
وبالمُعجزاتِ الظَّاهراتِ التي نمَت ... على القَطْرِ عدًّا بعده كُلُّ مَن نُبِّي
وآتَاه قُرآناً بِه أعجَزَ الوَرَى ... جَميعاً عَلَى التَّأبيدِ يَا لَك مَن غَلْبِ
ألا يَا رَسُولَ الله إنَّا قَرَابةٌ ... وذرِّيَّةٌ جِئنَاكَ لِلشَّوقِ والحُبِّ
وقَفْنَا عَلى أعتَاب فضْلِكَ سيِّدي ... لتَقْبيلِ تُربِ حبَّذَا لَكَ مِن تُرْبِ
وقُمنَا تُجَاهَ الوَجْهِ وجهِ مبارَكٍ ... عَلينا به نُسقَى الغَمَامَ لَدَى الجَدْبِ
أتَينَاكَ زُوَّاراً نرومُ شَفَاعَةً ... إلى اللَّهِ في محوِ الإساءةِ والذَّنبِ
وُفُودٌ وزُوَّارٌ وأضيافُ حضرة ... مُكرَّمةٍ مستَوطَنِ الجُودِ والخِصْبِ
وفِي النَّفسِ حَاجَاتٌ وثَمَّ مَطَالبٌ ... نؤمِّلُ أن تُقضَى بجَاهِكَ يا مُخبِي
تَوَجَّهْ رَسولَ اللَّهِ فِي كُلِّ حَاجَةٍ ... لَنا ومُهِمٍّ في المَعَاشِ وفِي القَلْبِ
وإنَّ صَلاحَ الدِّينِ والقَلْب سيِّدِي ... هُو الغَرَضُ الأقْصَى فيَا سيِّدي قُمْ بِي
عليكَ صلاةُ الله يا خيرَ مَن تَلا ... كتاباً مُنيراً جاء بالفَرْضِ والنَّدْبِ
عليكَ صلاةُ الله يا خيرَ مُهتَدٍ ... وهادٍ بنُورِ الله فِي الشَّرْقِ والغَربِ
عليكَ صلاةُ الله يا خيرَ مَن دَعا ... إلى الله بَعد الرِّفْقِ بِالسُّمرِ والقُضْبِ
عليكَ صلاةُ الله يا سيِّداً سَرَى ... إلى الله حتى مرَّ بالسَّبعِ والحُجْبِ
وقام بـ«أو أدنى» فناهيك رفعة ... ومجداً سما حتى أناف على الشهبِ
عليك سلام الله ما سار مخلص ... إليك يقول: الله والمصطفى حسبي
عليك سلام الله ما أسحر الصبا ... فحرَّك أرواح المحبين للقربِ
عليك سلام الله ما بارق سرى ... وما غنَّت الأطيار في عذب القضبِ
عليك سلام الله ما حرك الحدا ... قلوباً إلى مغناك بالشوق والحبِ
عليك سلام الله عدّ النبات والـ ... ـرمال وعدّ القطر في حالة السكبِ
عليك سلام الله أنت ملاذنا ... لدى اليسر والإعسار والسهل والصعبِ
عليك سلام الله أنت حبيبنا ... وسيّدنا والذخر يا خير من نبي

عليك سلام الله أنت إمامنا ومتبوعنا والكنز والغوث في الخطبِ
وصلّى عليك الله دأباً وسرمداً وسلَّم يا مختار والآل والصحبِ

الأمر أعظم من مقالة قائل

للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني

يا سيد الرسل الذي آياته لا تنقضي أبداً ولا تتصرَّمُ
ماذا يقول المادحون ومدحُكم فضلاً به نطق الكتاب المُحكمُ
المعجز الباقي وإن طال المدى ولأبلغ البلغاء فهو المفْحِمُ
الأمر أعظم من مقالة قائل إن رقق الفصحاء أو إن فخَّموا
من بعض ما أوتيت خمس خصائص لم يعطها الرسل الذين تقدَّموا
جُعلتْ لك الأرضُ البسيطة مسجداً طهراً فصلى الناسُ أو فتيمموا
ونُصرتَ بالرعب المروِّع قلبَ مَن عاداك مِن شهرٍ فأصبح يُهزم
وأعيدت الأنفال حِلّا بعد أن كانت محرمة فطاب المغْنَم
وبُعثتَ للثقلين ترشدهم إلى الد ين القويم، وسيفُ دينك قيِّمُ
وخُصِصْتَ فضلاً بالشفاعة في غد فالمسلمون بفضلها قد عُمِّموا
ومقامك المحمود في يوم القضا حيث السعيد رجاه نفس تسلَمُ
يحبوك ربك من محامده التي تُعطَى بها ما ترتجيه وتغْنُمُ
ويقول: قل تُسمَعْ وَسل تُعْطَ المنى واشفع تشفع في العصاة ليُرحموا
فهناك يغبطك الورى ويُساءُ مَن جحدَ النبوة إذ يُسَرُّ المسلِمُ
يا من له سنن وآثار إذا تُليت يرى الأعمى ويغنى المعْدِمُ
صلى عليك وسلم الله الذي أعلاك ما لبَّى الحجيج وأحرمُوا
وعلى قرابتك المقررِ فضلُهم وعلى صحابتك الذين همُ همُ
جادوا اعتَلوا ضاؤوا حموا دانوا اهتدوا فهم على الستِ الجهاتِ الأنجمُ
نصروا الرسولَ وجاهدوا معه وفي سبُلِ الهدى بذَلُوا النفوسَ وأسلموا
والتابعين لهم بإحسان فهم نَقلُوا لما حفظوه منهم عنهمُ
وأتى على آثارهم أتباعهم فتفقهوا فيما رَوَوْا وتعلَّموا
هم دوَّنوا الست الكرام فنوَّعوا أبوابَها للطالبين وقسَّموا
وأصح كتبهم على المشهور ما جمع البخاري قال ذاك المعظَمُ

وتلاه مسلم الذي خضعت له ... في الحفظ أعناق الرجال وسلَّموا
فهما أصحُّ الكتب فيما يُجْتَلى ... إلا كتابَ الله فهو مقدَّمُ
قل للمخالف لا يعانِدُ إنه ... ما شُك في فضل البخاري ومسلمُ
وسِم المصنف بالصحيح فكل ذي ... عقل غدا طوعاً لما هو يَرسُمُ
هذا يفوقُ بنقدِهِ وبفقهه ... لا سيما التبويبَ حين يترجمُ
وأبو الحسين بجمعه وبسَرْدِهِ ... فالجمعُ بينهما الطريقُ الأقومُ
فجزاهما الله الكريمُ بفضلِه ... أجراً بناءُ علاهُ لا يتهدَّمُ
ثم الصلاة على النبيّ فإنه ... يُبدَا به الذكرُ الجميل ويختمُ
يا أيها الراجون خيرَ شفاعة ... مِن أحمدٍ صلوا عليه وسلِّموا

يا صاحب القبر المنير

للإمام العارف بالله عبد الرحيم البُرعي

يا صاحب القبر المنير بيثرب ... يا منتهى أملي وغاية مطلبي
يا من به في النائبات توسُّلي ... وإليه من كل الحوادث مَهربي
يا من نرجِّيه لكشف عظيمة ... ولحل عقد ملتو متعصبِ
يا من يجود على الوجود بأنعم ... خضر تعم عموم صوب الصيبِ
يا غوث من في الخافقين وغيثهم ... وربيعهم في كل عام مجدبِ
يا رحمة الدنيا وعصمة أهلها ... وأمان كل مشرِّق ومغرِّبِ
يا من نؤمل منه كل كرامة ... ونلُوذ في حرم الجناب الأغلبِ
يا من نناديه فيسمعنا على ... بُعد المسافة سمع أقرب أقربِ
يا من هو البرُّ النقيُّ المنتقى ... سر السرارة طيب من طيبِ
يا من سرى من مكة للمسجد ... الأقصى على ظهر البراق المنجبِ
يا من تلقته ملائكة السما ... بخطاب أهلاً بالحبيب ومرحبِ
يا من تناهى فوق سدرة منتهى ... لعناية سبقت وحق موجبِ
يا من يحنّ العرش والكرسي إذ ... نودي لقرب فاق كل مقربِ
إن كان رايتك الرفيعة في العلى ... منصوبة فالفعل فعل تعجبِ
الحجب ترفع والجهات أنيسة ... والمجتبى يغشاه نور المجتبي
ولسان حال الوصف يهتِف قائلاً ... ما نازل بجنابنا كالأجنبي
سل يا محمد تعط وادع تجب وقل ... تسمع غداة الحشر وادن تقربِ

ولك الوسيلة والفضيلة فافتخر ... بشفاعة لخلاص كل معذَّبِ
والرسل تحت لواء عزك في مقام ... الحمد ذي الحوض الهنيء المشربِ
ولقد بعثت لأمة أمية ... نوراً على الأكوان غير محجَّبِ
رأت الفضائل منك في حمل وفي ... طفل ومقتبل الشباب وأشيبِ
لما تلوت الوحي معجزة لهم ... سمعوا فبين مصدق ومكذبِ
وأقمت فيهم منذراً ومبشراً ... بتعطُّف وتلطُّف وتأدُّبِ
وعموا وصموا واعتدوا فوعظتهم ... بالسيف يرعف والعتاق الشزَّبِ
فأجاب دعوتك الذي في سمعه ... وقر إجابة خائف مترقبِ
وانقاد ممتنع القياد مذللاً ... من بعد عز قاهر متغلبِ
فعلا منار الدِّين حين منعته ... ورفعته وقرنته بالكوكبِ
فالحمد لله القران شريعة ... والله رب وابن آمنة نَبي
والحق متضح السبيل بأحمد ... ولمذهب الإسلام أشرف مذهبِ
يا سيدي إني رجوتك ناصراً ... من جور دهر خائن متقلبِ
وجعلت مدحي فيك يا علم الهدى ... سبباً وأنت وسيلة المتسببِ
فأقل عثار عبيدك الداعي الذي ... يرجوك إذ راجيك غير مخيَّبِ
واكتب له ولوالدّيه براءة ... من حرِّ نار جهنم المتلهِّبِ
واقمع بحولك باغضيه وكل من ... يؤذيه من متمردٍ متعصبِ
وأجزْ بها عبد الرحيم كرامة الـ ... ـدارين إذ هي خير نظم معربِ
واشفع له ولمن يليه وقم بهم ... في كل حال يا شفيع المذنبِ
وعليك صلى ذو الجلال أتم ما ... صلى وسلم يا رفيع المنصبِ
وعلى صحابتك الكرام وآلك الأعـ ... ـلام أهل الفضل كل مهذبِ
ما غرَّدت ورق الحمام وما انثنت ... عذب البشام ضحى بروح الأرنبِ

[ديوان البرعي ص٦٣ ـ ٦٥]

شكوى في زيارة

للإمام يحيى الصرصري

أشكو إليك رسول الله ما أجدُ ... من الخطوب التي أعيا بها الجلدُ
عمر أناف عن الستين خالطه ... سقم لأعبائه وسط الحشى كمدُ

ضعف أضيف إلى ضعف وبعضهما يوهي قوى الجسم مني وهو منفردُ
وهمّ ريحان قلبي أن يرى بهم خصاصة شامت ديدنه الحسدُ
وفقد إخوان صدق صالحين مضوا كانوا هم الردء إن غابوا وإن شهدوا
وفتنة البدع الشنعاء قد خلطت على البرية ما تنحو وتعتقدُ
آثارها خلف سوء خالفوا سفها منهاج سنتك المثلى فما رشدوا
وفتنة التتر العظمى التي قرحت منّا لوقعتها الأحشاء والكبدُ
رمت صميم القرى منها بفاقرة لم ينج من شرّها مال ولا ولدُ
أودت بمن حولنا فتكاً وليس لنا إلا إلى وعدك الميمون مستندُ
لا تستبيح من الإسلام بيضته يد العدا وإن اعتدّوا وإن حشدوا
وحزبك الغالبون الظاهرون على كلّ الأنام إلى أن ينفد الأبدُ
شهدت أنك خير الناس ما ولدت أنثى نظيرك في الدنيا ولا تلدُ
ولم ينافسك في أصل سما بشر ولم تنل رتبة نالت يداك يدُ
نقلت من كلّ صلب طاب محتده إلى بطون زكت ما شأنها نكدُ
حللت صلب أبينا عند مهبطه وصلب نوح وقد غشى الورى الزبدُ
وكنت في صلب إبراهيم مستتراً ونار نمروذ أشقى الخلق تتقدُ
وحاز نورك إسماعيل يودعه أبناءه الغرّ حتى حازه أددُ
ونال عدنان في الأنساب منزلة عليا بذكرك لم يخفض لها عمدُ
ولم يزل في معدّ ثم في مضر وهاشم بك تاج الفخر ينعقدُ
حتى تسلم عبد الله منصبه من شيبة الحمد لما استوثق الأمدُ
ومذ حملت بدا في وجه آمنة الأنوار وهي لثقل الحمل لا تجدُ
وأشرقت مذ ولدت الأرض وابتهج البيت الحرام وحار الجنة المردُ
وكنت خير نبيّ عند خالقنا وروح آدم لم ينهض بها الجسدُ
فأبصر اسمك فوق العرش مكتتباً وتلك منزلة لم يعطها أحدُ
فحين تاب دعا ربّ العباد به فتاب حقاً عليه الواحد الأحدُ
وأنت يوم نشور الناس سيدهم أتباعك الغرّ لا يحصى لهم عددُ
وأنت فيهم بشير القوم إن يئسوا وأنت فيهم خطيب القوم إن وفدُوا
وفي يديك لواء الحمد ثم لك الـ ـحوض الرواء إذا ما أعوز الثمدُ
لك الشفاعة عند الكرب والعرق الطـ ـاغي وعند جحيم حرّها يقدُ

وبالوسيلة تحظى وهي منزلة عليا حباك بها ذو العزة الصّمدُ
وإنّ حبّك في إيماننا سبب من دونه النفس والأموال والولدُ
فبالّذي أجزل النعمى عليك إلى يوم المعاد فلا نقص ولا بددُ
أنعم عليّ برؤيا منك تنعشني وتنقذ القلب منّي فهو مضطهدُ
واشفع إلى الله في إحسان خاتمتي فإنّني بك بعد الله أعتضدُ

نعم الفخار ونعم المحتِدُ

للشيخ أبي الحسن بن سعيد الغرناطي الأندلسي

يا رحمة للعالمين بُعثْت والدنيا بجنح الكفر ليل أربدُ
أطلعتَ صبحاً ساطعاً فهديـ ـت للإيمان إلا من يحيد ويجحدُ
لم تخش في مولاك لومة لائم حتى أقرَّ به الكفور المُلحدُ
ونصرت دين الله غير محاذر ودعوت للأخرى الألى قد أسعدوا
ولقيت من حرب الأعادي شدة لو كابدوها ساعة لتبدَّدوا
أيّان لا أحد عليهم عاضدُ إلا الإله ولم يهُن من يحضدُ
فحماك بالغار الذي هو من أدُ ل المعجزات وخاب من يترصدُ
ووقاك من سُم الذراع بلطفه كيما يُغاظ بك العدا والحُسَّدُ
والجذعُ حنَّ وماء كفّك قد همى ما بين خمسك والصحابة شُهَّدُ
والذئب أنطِقَ للذي أضحى به يُهدى إلى سُبل النجاح ويُرشدُ
وبليلة الإسرا حباك وسُمي الصـ ـديق من أضحى بقولك يَسعدُ
وحباك بالخُلُق العظيم ومعجز الكلم الذي يَهدي به ويهددُ
وبُعثتَ بالقرآن غير معارض فيه وأمسى من نحاه يُطرَدُ
فتوالت الأحقاب وهو مبرَّأ من أن يكون له مثال يوجدُ
ولكَمْ بليغ جال فصلُ خطابه والسرجُ في ضوء الغزالة تَهمَدُ
زُويَتْ لك الأرض التي مُلِّكتها وعلوُّ دينك ثابت ومخلدُ
ونصرتَ بالرُّعب الذي لمّا يزل يسري كأن ما عين شخصك تفقدُ
فمتى تعرض طاعن أو حاد عن حرم الهداية فالحسام مجردُ
يا من تخير من ذوابة هاشم نعم الفخار لها ونعم المحتدُ
لسناك حين بدا بآدم أقبلت رعياً لسيماك الملائك تسجدُ

لم أستطع حصراً لما أعطيته ... فذكرتُ بعضاً واعتذاري يُنشدُ
ماذا أقول إذا وصفتُ محمداً ... نفد الكلام ووصفه لا ينفدُ
فعليك يا خير الخلائق كلها ... مني التحية والسلام السرمدُ

[المجموعة النبهانية ج٢ ص٥٣]

صلاة وسلام في الزيارة

للإمام البرعي

يا رب صل على النبيّ المصطفى ... ما غرَّدت في الأيك ساجعة الرُّبا
يا رب صل على النبيّ وآله ... ما اهتزت الأثلات من نفس الصبا
يا رب صل على النبيّ وآله ... ما لاح برق في الأباطح أو خبا
يا رب صل على النبيّ وآله ... ما أمت الزوار نحوك يثربا
يا رب صل على النبيّ وآله ... ما قال ذو كرم لضيف مرحبا
يا رب صل على النبيّ وآله ... ما كوكب في الجو قابل كوكبا
يا رب صل على الذي أدنيته ... من قاب قوسين الجناب الأقربا
بالله يا متلذذين بذكره ... صلوا عليه فما أحق وأوجبا
صلوا على المختار فهو شفيعكم ... في يوم يبعث كل طفل أشيبا
صلوا على من ظللته غمامة ... والجذع حنَّ له وأفصحت الظِّبا
صلوا على من تدخلون بجاهه ... دار السلام وتبلغون المطلبا
صلوا عليه وسلموا وترحّموا ... وردوا به حوض الكرامة مشربا
صلى وسلم ذو الجلال عليك يا ... من نور طلعته يشق الغيهبا
صلى وسلم ذو الجلال عليك ما ... أزكاك في الرسل الكرام وأطيبا
صلى وسلم ذو الجلال عليك من ... عبد الرحيم توسُّلاً وتقرُّبا

سيدي يا أبا البتول ﷺ

للشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني

سيد الرسل يا أبا الكون يا أول ... خلق يا من به الانتهاءُ
سوفَ يبدو في الحشر جاهك كالشـ ... ـمس متى أعوزَ الأنام الضياءُ
سابق الخلق أنت بالبعث والر ... سلُ جنود وفي يديك اللِّواءُ
خصّك الله بالشفاعة فرداً ... في مقام يخافه الأنبياءُ

أنت فيه الإمام تسجد لـ ... ـلّه وكل الورى هناك وراءُ
ولك الحوض دونه الشهدُ والمسـ ... ـك وما الشاربون منه ظماءُ
ولك الأمة المحجلةُ السا ... بقة الخلق خلفك الغرَّاءُ
أنت أصل الجنان يا سابق الكلِّ ... إليها يَهنيك منك الهناءُ
خصّك الله بالوسيلة فيها ... رتبة فوق خلقه علياءُ
فوقك الله عزَّ وجلَّ تعالى ... ثم أنت الأمَّار والنهاءُ
كلُّ خلق هناك دونك في كل ... كمال تعذر الإحصاءُ
سيدي يا أبا البتول سؤال ... من فقير جوابه الإعطاءُ
جئتُ أبغي منك النوال وعندي ... منك يا أعلم الورى استفتاءُ
ما تقولون سادتي في محب ... مطل الصيف وعدَه والشتاءُ
يبتغي قربكم فينأى كأن العـ ... ـبد منه للابتعاد ابتغاءُ
كلّ عام يقول كدنا وكاد الوصـ ... ـل يدنو وما لكاد انتهاءُ
قصرت عن خطا الكرام خطاه ... في سبيل الهدى وطال الحفاءُ
وهو عار ممَّا يقي الحرَّ من أعمـ ... ـال خير لا كسوة لا كساءُ
وفقير الأعمال والمال والحا ... ل فقير في ضمنه فقراءُ
ما اجتدى قطُّ من سواكم نوالاً ... سيئ من سواكم الاجتداءُ
وأتاكم يبغي نداكم وقد ... عمّ البرايا من بحركم أنداءُ
يبتغي الحبَّ يبتغي القربَ يبغي ... كل خير قد ناله السعداءُ
يبتغي أن تحيلَ منه الخطايا ... حسناتٍ من جودك الكيمياءُ
يبتغي عيشة لديكم يطيب السـ ... ـر فيها وتحصل السرّاءُ
يبتغي في جواركم خير موتٍ ... ناله الصالحون والشهداءُ
وأتاكم مستشفعاً بأخيكم ... جبرئيل ومن حوته السماءُ
وبأولادكم رقيَّة عبد الله ... منهم وللبتول ارتقاءُ
أم كلثوم زينب القاسم إبرا ... هيم نعم البنات والأبناءُ
وبأهل العباء أنت علي ... حسن والحسين والزهراءُ
وبنيهم ومن تناسل منهم ... فلهم حكم من حواه العباءُ
أذهب الله رجسهم فهم من ... كلِّ عيب عاب الورى أبرياءُ
حبُّهم جُنة المحب إذا لم ... تصحبنه لصحبك البغضاءُ

وأجرني وعترتي من زماني فدواهيه كلها دهْياءُ
عاد فيه الدّين المبين كـ ـما قلتَ غريباً وأهله غرباءُ
فتداركه قبل أن تخطُر الأخطار فاليوم مسَّه الإعياءُ
وتكرم بشدَّة فقواه نالها بالشدائد استرخاءُ
صار للشرك في أذاه اشتراك حين ما للنفاق عنه انتفاءُ
فعليك الصلاة تبقى من الله كما شاء كثرة وتشاءُ
وعليك السلام منه على قد رِكَ قدر لا يعتريه فناءُ
وعلى الأولياء آلك والصَّـ ـحب ومن للجميع فيه ولاءُ
ما قضى الله في الورى لك مدحاً وله الحمدُ كلُّه والثناءُ

زيارة نبويّة ومناجاة شعرية

للإمام عبد الله بن علوي الحدَّاد

فلما بلغنا طيبة وربوعها شممنا شذا يزري بعرف العنابرِ
وأشرقت الأنوار من كل جانب ولاح السنا من خير كل المقابرِ
مع الفجر وافينا المدينة طاب من صباح علينا بالسعادة سافرِ
إلى مسجد المختار ثم لروضة بها من جنان الخلد خير المصائرِ
إلى حجرة الهادي البشير وقبره وثَمّ تقرّ العين من كل زائرِ
وقفنا وسلمنا على خير مرسل وخير نبيّ ما له من مناظرِ
فردّ علينا وهو حي وحاضرِ فشرف من حي كريم وحاضرِ
زيارته فوز ونجح ومغنم لأهل القلوب المخلصات الطواهرِ
بها يحصل المطلوب في الدّين والدنا ويندفع المرهوب من كل ضائرِ
بها كل خير عاجل ومؤجل ينال بفضل الله فانهض وبادرِ
وإياك والتسويف والكسل الذي به يبتلي كم من غبي وخاسرِ
فإنك لا تجزي نبيك يا فتى ولو جئته قصداً على العين سائرِ
فبورك من قبر حوى سيد الورى وسامى الذرى بحر البحور الزواخرِ
نبيّ الهدى بحر الندى مجلي الصدا مبيد العدا من كل غاوٍ وغادرِ
بعيد المدى ما ضلّ عبد به اقتدى مزيل الردى للحق داعٍ وآمرِ
إمام له التقديم في كل موطن وصدرٍ على الإِطلاق من غير حاصرِ

له تتبع الرسل الكرام وتقتفي ... لآثاره في وردها والمصادرِ

نبوته كانت وآدم طينة ... وفيه انتهت غايات كل الدوائرِ

هو الساس وهو الرأس للأمر كله ... بأولهم يدعى لذاك وآخرِ

وتحت لواه الرسل يمشون في غد ... وناهيك من جاه عريض وباهرِ

وفيه عليه الله صلى ودائع ... من السر لا تروى خلال الدفاترِ

ولكنها مكتوبة ومصانة ... لدى الأولياء العارفين الأكابرِ

وموروثة مخصوصة بضنائن ... لربّك من أهل التقى والسَّرائرِ

محمده المحمود في الأرض والسما ... بأوصاف حمد طيب متكاثرِ

وأحمدهم لله في كل موطن ... وأشكرهم في يسره والمعاسرِ

وأعلم خلق الله بالله ربه ... وأخشاهم لله من غير ناكرِ

وأطوعهم لله أعبدهم له ... وأقومهم بالحق بين العشائرِ

هو القائم السجّاد في غسق الدجا ... فسل ورم الأقدام عن خير صابرِ

هو الزاهد الملقي لدنياه خلفه ... هو المجتزي منها بزاد المسافرِ

وباذلها جوداً بها وسماحة ... بكف نداها كالسحاب المواطرِ

وردَّ مفاتيح الكنوز زهادة ... وما مال للدنيا الغرور بخاطرِ

ومن سغب شدّ الحجارة طاوياً ... لأحشائه الطيبات الضوامرِ

فحمد لرب خصّنا بمحمد ... وأخرجنا من ظلمة ودياجرِ

إلى نور إسلام وعلم وحكمة ... ويُمن وإيمان وخير الأوامرِ

وطهرنا من رجس كفر وخبثه ... وشرك وظلم واقتحام الكبائرِ

أتى بكتاب الله يتلوه داعياً ... إلى الله بالحسنى وخير البشائرِ

وأيّد بالآيات من كل معجز ... وبرهان صدق قاطع للمعاذرِ

فلبّى رجال دعوة الحق فاهتدوا ... ونالوا المنى في عاجل وأواخرِ

وأنكر أقوام وصدّوا وأعرضوا ... فقوّمهم بالمرهفات البواترِ

وسار إليهم بالجيوش وبعضهم ... ملائكة أعظم بهم من موازرِ

وما زال يغزوهم بكل كتيبة ... مكرمة أنصارها كالمهاجرِ

إلى أن أجابوا دعوة الحق والهدى ... وأسلم منهم كل طاغ وكافرِ

وأدخلهم في الدّين قهراً وعنوة ... بحدّ المواضي والرماح الشواجرِ

لسطوته تخشى الملوك وتتقي ... ومن بأسه خافت كماة العشائرِ

تسير الصبا والرعب شهراً بنصره … تزلزلهم من قبل غاز وغائرِ
فراياته معقودة وجنوده … مؤيدة بالنصر من خير ناصرِ
وأخلاقه محمودة وصفاته … وأعداؤه مقهورة بالدوائرِ
وآياته مشهودة وشهيرة … وظاهرة ما بين باد وحاضرِ
له آية المعراج وهي عظيمة … وكم آية لم يحصها حصر حاصرِ
ودعوته عم الإله بحكمها … جميع البرايا من قديم وآخرِ
ومعجزة القرآن في عظم شأنها … مؤبدة حتى قيام المحاشرِ
وأقسم رب العالمين بعمره … فأعظم بها من مالك الملك قادرِ
وخلق له أثنى العظيم بعظمه … عليه فكانت مركزاً للمفاخرِ
وفي الحشر حوض واللوا وقيامه … لفصل القضا بعد اعتذار الأكابرِ
فيشفع مقبول الشفاعة والورى … بجملتهم ما بين باك وحائرِ
نبيّ الهدى لا تنسني من شفاعة … فإني مسيء مذنب ذو جرائرِ
ألا يا رسول الله عطفاً ورحمة … لمسترحم مستنظر للمبارِرِ
ألا يا حبيب الله غوثاً وغارة … لذي كربة مسودّة كالدّياجرِ
ألا يا خليل الله نجدة ماجد … كريم السجايا كاشفاً للمعاسرِ
ألا يا أمين الله أمناً لخائف … أتى هارباً من ذنبه المتكاثرِ
ألا يا صفي الله قم بي فإنني … بكم وإليكم يا شريف العناصرِ
وسيلتنا العظمى إلى الله أنت يا … ملاذ الورى من كل بادٍ وحاضرِ
ويا غوث كل المسلمين وغيثهم … وعصمتهم من كل خوف وضائرِ
حمى الله أرضاً حلّ فيها ضريحك المعظ … ـم يا تاج العلا والمفاخرِ
وحياً وأحياناً بتيسير عودة … إليها على حال جميل وسارِرِ
ليبرد حرّ في الفؤاد يثيره اشـ … ـتياق لقلبي شامل ولظاهري
رعى الله أوقاتاً بطيبة قد خلت … وتذكارها ما زال حشو سرائري
يمثلها فكري فأهتزُّ نحوها … بوجد لطيف أريحي وقاهرِ
إلى المصطفى المختار صفوة ربه … وصاحبه الصديق خير مؤازرِ
وفاروقه البرّ التقي وبضعة … الرسول وأم الطيبين الزواهرِ
وعثمان ذي النورين مع كل من حوى … بقيع الندى من سادة وأكابرِ
ولا تنس مولانا أبا الحسن الرضا … وإن كان لم يدفن بتلك المقابرِ

لمغني قباها والكثيب ورامة ... وأحد وسلع والنقا والمآثرِ
سقاها إلهي كل وابل رحمة ... من المعصرات المغدقات المواطرِ
وأنبتها من كل زوج بثمره ... وأزهاره تمتيع نفس وناظرِ
وللحرمين الأكرمين سؤالنا ... من الله أمناً شاملاً للمظاهرِ
وعافية من كل بؤس وفتنة ... ورزقاً هنيئاً واسعاً غير قاصرِ
وأن يستقيم الحق والدّين فيهما ... ويحيا من الإسلام كل الدواثرِ
وفي سائر الأقطار من أهل ديننا ... فذلك فضل من كريم وقادرِ
إله رحيم محسن متفضِّل ... على كل برٍّ في الوجود وفاجرِ
له الحمد لا نحصي ثناه وشكره ... على نعم لا يحصها حصر حاصرِ

[الدر المنظوم ص٢١٧ ـ ٢٢١]

زيارة للفيروزآبادي

وهو العلامة الإِمام محيي الدّين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي صاحب القاموس.

يا أيها السيد المرجو نائله ... ما لي سواك وما في ذاك تمهيلُ
أنت الغياث وأنت الذخر يا أملي ... والغوث والغيث والآمال والسُّولُ
إني بباب رسول الله سائله ... وشافعي الدمع والمسؤول مأمولُ
إذا أتاه مقلّ معدم وجلٌ ... يغدو بأمن ولا عُدمٌ وتقليلُ
أنهيت قصة حالي سيدي فعسى ... توقيع بِشر بأن العبد مقبولُ
صلَّى عليك إله العرش ما صدحت ... حمامة وشدا بالليل طمخيلُ
ثم الصلاة على الأصحاب من لهم ... للدين والملّة الزهراء تكميلُ
والآل والأهل والأزواج كلهم ... والتابعين فهم غُرٌّ عقائِيلُ
هم المصابيح في جو الدجى ظهروا ... هم المجاريح من أفق الحجا خيلوا
سُباق غايات مجد في عشائرهم ... حُمَّالُ رايات سعدٍ إن همُ سِيلوا
قُوال محكمة شُهَّاد أندية ... رُفَّاعُ ألوية غُرٌّ كهاليلُ
هم المغاوير يوم الحرب ما كشِفوا ... همُ الصناديد حين الضرب ما نِيلوا
ثم الصَّلاة مع التسليم دائمةٌ ... عليك ما دام تكبير وتهليلُ
وآلك الغُرِّ والأصحابِ قاطبةً ... لا سِيَّما قومُك الشُّمُّ البهاليلُ

[اهـ المجموعة النبهانية المجلد الثالث ص١٣٧ ـ ١٣٨]

زيارة
الشيخ القيراطي

قال الشيخ برهان الدّين القيراطي :

يا جامع الدّين بالفرقان جئت به ... في النهي والأمر تحريم وتحليلُ
في الخلق قد رفع الرحمن ذكرك إذ ... مع اسمه اسمك مقرون وموصولُ
بك الرسالة يا خير الورى ختمت ... ونالها منك تكريم وتفضيلُ
أنت الذي جئته أرجو النجاة به ... إن راعني في كلا الدارين تهويلُ
أنت الكريم الذي إنعامه أبداً ... للوفد من كفّه الفيّاض مبذولُ
أنت الذي منه في يوم المعاد غداً ... لحوضه في ذوي الإيمان تسبيلُ
وكيف أحذرُ ذاك اليوم من عطش ... وأنت لي فيه يا ذا الحوض مأمولُ
يا ربّ إنّ المعاصي فاض حاصلها ... وليس عندي من الطاعات محصولُ
يا ربّ ضيَّعتُ عمري كلّه سفهاً ... فامنُن عسى يعقبُ التضييع تحصيلُ
يا ربّ عن كلّ فعل صالح غفلت ... نفسي وما عندها في اللغوِ تغفيلُ
يا غافر الذنب كن لي من دخانٍ لظى ... جاراً إذا كان لي في اللحدِ تنزيلُ
إن لم تكن لي أعمال تقربني ... ففي الكريم لكل الناس تأميلُ
يا نفس إن رسول الله معتمدي ... وليس من شأنه للوفد تخجيلُ
يا نفس آن انحدارُ الدّمع فانتبهي ... فما لمطلك بالإقلاع تعليلُ
أثر فديتُك عيس العزم طال بها ... يا صاحبي في مناخ العذلِ تعقيلُ
واقصد معالم أرض المصطفى فبها ... لطالب البرّ ترحيب وتأهيلُ
لا تربعنّ على أهل ولا وطن ... فربُعها برسول الله مأهولُ
هناك تأمن تخويف الزّمان كما ... يكون للنّفس في النّعماءِ تخويلُ

زيارة
ابن جابر الأندلُسي

قال الشيخ شمس الدّين محمد بن جابر الأندلسي :

يا سيد الرسل عبد قد أتى ولهُ ... من سالف الذنب تخويف وتخجيلُ
يرجو شفاعتك العظمى إذا اشتعلت ... نار على من عصى منها سرابيلُ
وقد أتيت بضِعفي ما أتاك به ... كعب على أنَّ باعِي ما لَه طولُ

فإن قَبلتَ ونالتنِي مراحمُ قد ... نالته لمْ يبق لي من بعدها سُولُ
وإن كعباً علينا إذا غدا سبباً ... لكعب خيرٍ بيُمنِ الله مشمولُ
صلَّى عليك إلهُ العرشِ ما سجعت ... ورقٌ لهنَّ على الأغصانِ تهدِيلُ
أزكى صلاةٍ تعمُّ الآل واصلةٍ ... صحباً هُمُ للورى زَين وتحجِيلُ

زيارة نبويّة

للشيخ جمال الدّين يحيى الصرصري

يا مَن نُبوته الزهراء ثابتة ... وآدم المصطفى المجبول صلصالُ
يا سيداً لاسمه المشتق من سمة المحمـ ... ـود بالنور فوق العرش إسجالُ
يا سيِّداً حين وافته رسالته ... حياه صمُّ الحصى والشيح والضالُ
يا سيِّداً وضعت عنا بمبعثه ... مُهدِي الفوائد آصار وأغلالُ
يا سيِّداً نال بالمعراج مرتبة ... علياء فيها له قرب وإقبالُ
يا سيِّداً يوم حشر العالمين له ... بمقعد القرب تبجيل وإجلالُ
يا سيِّداً خصَّه بالقطْف من عنب ... رَبٌّ عليه له مَنٌّ وإفضالُ
يا سيِّداً في كنوز الأرض أصبح ذا ... زُهدٍ فحلَّت له في الحرب أنفالُ
يا سيِّداً ردَّ عَيناً بعدما فُقِئتْ ... من فارس هو للأقران فلالُ
يا سيِّداً سحّ ماء من أصابعه ... رَوَّى صدى الجيش عَذْبُ الوِرْدِ سلسالُ
يا سيِّداً حنَّ جذع حين فارقه ... حنين ثَكلى لها بالفقد إعوالُ
يا سيداً سجد الساني العصي له ... فآب بعد نفور وهو مذلالُ
يا سيِّداً سجد النابُ المُسنُّ له ... طوعاً ولولاه أضحى وهو أجزالُ
يا من دعا بنزول القطر في سنة ... شهباء فانهل هامي الوَدْقِ هطالُ
يا من أمدَّ أبا هرٍّ بِمزوده ... فأوقرت منه للغازين أجمالُ
يا من وقاه أذى النَّفاث مرسلُهُ ... وشرَّ عاديةٍ بالسُمِّ تغتالُ
جئناك نطوي القفار الشّاسِعات على ... عيسٍ لهن بنا وَخْدٌ وإرقالُ
تفري جيوبَ الفيافي في الهجير إذا ... أوَى الظِّباء إلى الأفياء والرَّالُ
حملْنَ وفداً إليك الشوقُ قادهم ... ولا ثنى العزمَ منهم عنك عذَّالُ
وقد يهون عليهم في الوصول إلى ... حِماك تُبذل أرواح وأموالُ
ونحن في رَبعك المأنوس ذي الحرم ... المحرُوس نرجو غزير الفضل نزَّالُ

وإنْ نـأيـنـا فـإنَّـا فـي الـمـعـاد إذا ... في ظِلِّ جاهك يا مولاي حُلَّالُ
فاعطِف على وَفْدِك الرَّاجين فضلك يا ... من عنده للعطاء الغمر إجزالُ
وها عبيدك يحيى قد أتاك على ... عِلَّاته فله تزكو بك الحالُ
مستسلماً خاضعاً مستأنساً وجلاً ... مما يُزَخْرِفُ حاوي المكر محتالُ
فاسأل لي الله أن أحيا على سنن ... سَنَنْتَها فبها قد ينعم البالُ
وأن أموت عليها غير مبتدع ... حتى عليَّ تراب القبر ينهالُ
واسأل لأهلي هذا والمجهِّزَ لي ... فلي إليك به في الوفد إيصالُ
عليك أزكى صلاةِ الله نامية ... تنالُ من فضلها الأصحاب والآلُ

زيارة مدينة للشيخ عبد اللطيف المدني

ذكر الشيخ الحضراوي في نفحات الرضا والقبول قصيدة عظيمة مناسبة للزيارة النبويّة للشيخ عبد اللطيف المدني وهذا بعضها:

أنا في جوارك قد أقمت وإنني ... جار وجارك في الورَى يتباها
قد جئت أسعى نادماً مستغفراً ... فيما جنيت من المقال شفاها
وأقول يا خير البرية إنني ... عبد كئيب مذنب قد تاها
آهاً لنفس قد جنت خبثاً لها ... واهاً عليها ما جنت مجناها
يا رب وفّقها لما فيه الرضا ... يا رب نفسي آتها تقواها
واجعل حلالك رزقها في طيبة ... زمن المقام بها فذا بغياها
واسوأتاه وإن غفرت فإنني ... للنفس قد طاوعت إن أنهاها
فالنفس فيما قد أتتك ذليلة ... فاغفر فإنك دائماً مولاها
وتوفّها في طيبة وتلقّها ... بالروح والريحان ذاك مناها
واختم بخير منك لي ولوالدي ... والآل مع صحب ومن يقراها
والسامعين لها ومنشد قد سما ... عبد اللطيف وفي الدجا أنشاها
المالكي المدني جار المصطفى ... قاري الحديث بروضة أحياها
واقبل دعائي ثم مدحي راجياً ... يا فوز نفسي إن قبلت دعاها
وعلى النبيّ صلاة ربي دائماً ... ما حنّ مشتاق لرؤية طاها
ثم الرضا عن آله وصحابة ... والتابعين ومن أتى ونواها

زيارة حبشية

للإمام العارف بالله الحبيب
علي بن محمد الحبشي
رضي الله عنه

يا رسول الله يا خير الورى … يا مليح الكون يا خير البشرْ
يا حبيب الله يا كهف الملا … يا نجي الله يا بحر الدررْ
يا رفيع القدر يا من شأنه … شاع في كل البوادي والحضرْ
يا ملاذ الكلّ يا أهل الندى … يا كريم الأصل يا رب الحورْ
يا غياث الخلق يا ذا الفضـ … ـل والجود والإحسان في بحر وبرْ
يا لجا اللاجين يا خير نبي … ورسول جاء حقاً بالسورْ
فلك الشأن المعظم قدره … ولك الفضل العظيم المشتهرْ
أنت باب الله لا يقصده الشخـ … ـص إلا فاز حقاً بالوطرْ
أنت حبل الله لا يمسكه … أحد إلا حبي كل ظفرْ
يا رسول الله إنا ضعفا … ومساكين أتيناك زمرْ
يا رسول الله غوثاً عاجلاً … يدفع البلواء عنا والأشرْ
يا رسول الله عجّل سيدي … بزوال البؤس عنا والضررْ
قد لجونا نحو بابك سيدي … ووقفنا ننتظر منك الخبرْ
يا خيار الخلق قد عمّ الوبا … في جميع الأرض طار وانتشرْ
وارحم الأمة جمعاً إنهم … لم يزالوا في عناء وكدرْ
وتشفّع يا حبيب الله في … كشف هذا الكرب عنا والضررْ
فلك الجاه الوسيع المرتضى … ولك المجد الفخيم المفتخرْ
وأرحهم من عنا هذا الوبا … واطلب الرحمن يسقيهم مطرْ
هيا هيا يا نبيّ الله يا … خير من أرسل في بحر وبرْ
هيا هيا قم بنا وارفع لما … قد علانا من هموم وشررْ
إننا ضعف ولا نحمل ما … قد عرانا من وباء وضررْ
وجلت أرواحنا مما دهى … من أمور ليس تقبلها الفكرْ
فبحق الطهر طهر سيدي … لجميع الأرض من هذا الضررْ
وبحق الحسنين ارفع لما … قد عرى وارحم فقد زاد الحذرْ

بك نستشفع يا خير الورى — في زوال الشر من بحر وبرْ
يا إلهي ومليكي إننا — قد توسّلنا بعبدك ذا الأبرْ
سيد الكونين طه المجتبى — من به أسعد كعب ومضرْ
ربنا يا ربنا يا ربنا — بك نستدفع ربي كل ضرْ
فأزل عنا الوبا هذا وما — قد عرى مما دهى يا خير برْ
ربنا إنا ضعاف ربنا — مننا اعرف أنت بالخبرْ
إن يكن أوجب هذا ذنبنا — جودك الفيّاض للخلق غمرْ
لا تعاملنا بما منا جرى — وارحم الشيبة ومن هو في الصغرْ
وصلاة الله ربي دايما — تتغشى المصطفى خير البشرْ

يا رسول الله ﷺ جئنا زائرين

للإمام العارف بالله السيد محمد أمين كتبي

يا رسول الله جئنا زائرينْ — يا رسول الله جئنا قاصدينْ
شرفُ الدهر وذكرى الخالدين — وقفة في باب خير المرسلينْ
سيد الخلق نبيُّ الأنبيا — خاتِم الرسل إمام المتقينْ
وقفة في بابه تُروي الصَّدا — وتزيل الهمَّ عن قلب الحزينْ
وقفة منها شفاء وهدى — وقفة فيها نجاة الحائرينْ
يا رسول الله أنت المصطفى — من بني آدم بين المخلصينْ
أنت سرّ الله والنور الذي — سار موسى نحوه في طور سينْ
فهو نور لا يسامى إنه — قبس من نور رب العالمينْ
لم نجد أكرم أماً وأباً — منك في صحف الكرام الكاتبينْ
ليلة الميلاد كانت نعمة — أصلح الله بها دنيا ودينْ
أشرقت أنوارها حتى إذا — أقبلَ الصبحُ بدا نور الأمينْ
فازت الدنيا به واستقبلت — أكرم الخلق إمام المصلحينْ
أي عيدٍ مثل هذا للورى — إنه والله مقطوع القرينْ
كيف لا والسيد الهادي به — يغمر الدنيا بنور مستبينْ
هتف الكون له لمَّا رأى — حسنه ملء عيون الناظرينْ
هذه الدرّة ياقوتية — زينةُ التاج الذي فوق الجبينْ
نشر الله سنا أضوائها — فهو في الشرق وفي الغرب مبينْ

صاغها حسناً وأعلى شأنها ورعاها فهي في حرز مكينْ
أنا من حبِّي لها في لجّة أجمع الجوهر والدرّ الثمينْ
يا أبا الزهراء قد حدَّثتنا عن مدى المعراج في الليل الكنينْ
قاب قوسين وأدنى مستوًى كنت فيه لترى عين اليقينْ
وترى الله وتُصغِي سامعاً لكلام الله في سرّ مصونْ
إنه سر سرت أنفاسه في دجى الليل بعرف الياسمينْ
يا رسول الله جاهدت العدا فأتاك النصر والفتح المبينْ
وملأت الأرض نوراً وهدى وسلاماً ووِئاماً في سنينْ
وتركتَ الصحبَ رُوَّاداً إلى سبل الخير أسوداً في العرينْ
رضي الرحمن عنهم ورضوا عنه يا حسن ثواب الشاكرينْ
يا رسول الله أنت المرتجى يوم يأتي الناس ما للظالمينْ
يا رسول الله كن لي شافعاً أنت ذُخري يا شفيع المذنبينْ
وعليك الله صلَّى دائماً ما تغنّت رابطات المنشدينْ
وسلام وتحيات على قبرك المقصود كهف الزائرينْ
وعلى الأصحاب والآل الألى خُلقوا أول يوم طاهرينْ
وعلى الأتباع مِن أحبابهم وعلى كل العباد الصالحينْ
وعلى القطب ومن دار بهم وعلينا يا إلهي أجمعينْ

قل للمدينة

للسيد محمد أمين كتبي

قل للمدينة قول صبٍّ ظامئٍ للمصطفى ولِعَينها الزَّرقاءِ
أنا مَنْ علمْتِ محبةً وصبابة ليس المحب وغيره بسواءِ
هل لي إلى تلك المعالم نظرة وإلى جلال القبّة الخضراءِ
ومعاهدِ التنزيلِ والبلد الذي هو مُنيتي والرَّوضة الفيحاءِ
وإلى العقيق وعُروة والعنبر يَّةِ والمناخة والنقا وقباءِ
فإذا نزلتَ بها فقد نلت المُنى وبلغت ما تهوَى من السرَّاءِ
ووقفتَ في حرم النبيّ وقلت يا خيرَ الوجود تحيتي ودعائي
ما لي من الأعمال ما أرجو به فوزاً ولكن في نداك رجائي
فامنُنْ عليَّ بنظرة وبتوبة وصيانة وسلامة وشفاءِ

واشفع لدى المولى الكريم تفضلاً لأكون صاحب صفحة بيضاءِ
حاشاك أن تنسى محبّك والورى في غمرة من شدة اللأواءِ
فلأنت في الدنيا وفي الأخرى وفي كل المواطن عُدَّتي وندائي
ولسانُ كل المسلمين وحالُهم وقلوبهم مِثلي من البُرحاءِ
لكنَّني عبرتُ عنهم رافعاً في أفق قبلتنا لواء إخاءِ
فامنُن علينا بالزيارة عاجلاً في صحة وسلامة وهناءِ
حسبي بجاهك مأمناً ومثابة وببحر جودك موردُ اسْتغنائي
صلّى عليك الله يا خير الورى بجوامع الصلوات في الآناءِ
وعلى صحابتك الكرام تخصُّهم وتعُم تابعهم من الحنفاءِ
وعلى الأطايب آل بيتك كلِّهم ما دامت الدُّنيا بلا استثناءِ
والقطبِ والأوتادِ أقمار الهُدى والغوثِ والأبدال والنُّجباءِ

زيارة نبويَّة

للإمام العارف بالله السيد محمد أمين كتبي

يا حبيب الإله جئتك أسعى حافداً ماشياً على عينيَّا
بفؤاد متيّم فيك حب وبرُوح مملوءة بك ريَّا
وولاءٍ وخدمةٍ وانتسابِ وبسمطٍ نظمتُ فيه الثُّريَّا
ثم باسم يشابه اسمك إني يا لعمري به غدوت سَميَّا
يا جميلَ الصِّفات يا كامل الذات ويا مظهر الوجود الجليَّا
أنتَ طُور التحقيق كلّم موسى منه لما دنا فصار نجيًّا
قد تجلّى لك الإله فناداك وأدناك ثمَّ حيًّا وبيًّا
فرأيتَ الإله في ليلة القرب وشافهته وكنت حريًّا
وخُصوصيَّةُ المُهيمن حلَّت منك يا أهلها محلًّا زكيًّا
ورأيت الآيات فيها وشاهدْتَ عن الغيب كنزه المخفيَّا
وأجزْت السَّماء والعرش حتى قاب قوسين مستوىً عبقريَّا
حيث أشرقتَ في العلا وتربَّعتَ على الأفق كوكباً عبقريَّا
كلَّما لُحتَ للملَائك خرُّوا في السموات سجداً وبكيًّا

ومـددت الأكـوان شـرقـاً وغـربـاً ... مـدداً فـي كـيـانـهـا كـلـيًّـا
ونـشـرْتَ الـتـوفـيـقَ حـتَّـى أطـاع ... الله مـن كـان فـي الـضـلال عـصـيًّـا
لـم يـقـصِّـر عـنـك الـمـحـامـد مَـن ... خـصَّـك بـالـحـمـد والـثـنـاء صـبـيًّـا
جـمـع الله فـيـك كـلَّ كـمـال ... وجـمـالٍ فـكـنـتَ بـرًّا رضـيًّـا
مـنـطـقـاً جـامـعـاً ورأيـاً أصـيـلاً ... وقـضـاءً عـدلاً وقـلـبـاً ذكـيًّـا
أنـت أهـلٌ لـهـا وأنـت أحـقُّ الـنـاسِ ... بـالـمـدح سَـيِّـداً قُـرشـيًّـا
يـا نـبـيَّ الـهُـدى إلـيـك نـسـيـجـاً ... حِـكْـتُـه مـن مـشـاعِـري بِـيـدَيَّـا
وزُهـوراً فـوَّاحـة وعُـقـوداً ... صُـغـتـهـا مـن عـواطـفـي وحُـلـيَّـا
وعـد الله أهـلَ قُـربـك فـوزاً ... إنـه كـان وعـدُهُ مـأتـيَّـا
ولـهـمْ فـي رِيـاض أنـسـكَ رِزقٌ ... لـيـسَ يـنـفـكُّ بُـكـرةَ وعَـشـيًّـا
ولـقـد لام فـيـك قـوم فـقـلـنـا ... قـد أتـى الـلائـمـون شـيـئـاً فـريًّـا
يـا حـبـيـبـي أمِـدَّنـي بـبـيـان ... فـعـسـى أن أقـول فـي الـحـبِّ شـيًّـا
واكـتُـب اسـمـي فـي الـمـادحـين أمـيـناً ... وارْوِ قـلـبـي مـن الـمـحـبـة رَيًّـا
وارْوِ روحـي مـن الـوصـال بِـكـأسٍ ... مَـزجـتْ فـي يـديـك صـفـو الـحُـمـيًّـا
وإذا سـار فـي الـمـنـازل رَكْـبٌ ... فـاطْـوِ لـي هـذي الـمـنـازل طَـيًّـا
يـا إلـهـي قـصـدتُّ بـابـك هـذا ... الـفـاتِـح الـخـاتِـم الـتَّـقـيَّـا الـنـقـيَّـا
فـارْضَ عـنِّـي واحـفـظْ يـقـيـنـي وديـنـي ... واجْـعـل الـقـلـبَ بـالـحـبـيـب غـنـيًّـا
وأفـضِ مـن صـلاة ذاتـك فـيـضـاً ... مـسـتـمـراً عـلـى الـنـبـيِّ رَويًّـا
وعـلـى الآل والـصَّـحـابـة والـقُـطْـب ... ومَـن كـان فـي رضـاك ولِـيًّـا
وسـلامـاً فـي الـبَـدءِ والـخـتْـم مـا ... حـنَّ مُـحـبٌّ لـه فـحـثَّ الـمَـطِـيًّـا

يا رسول الله (ﷺ) إني جئت معتذراً

وقال السيد محمد أمين كتبي أيضاً:

يـا واحِـداً بـيـن خَـلـق الله لـيـس لـه ... فـي الـمـرسـلـين وفـي الأخـيـار مـن ثـانـي
هـذا الـورى صـفـحـة بـيـضـاء قـيـمـة ... وأنـت عـنـوانـهـا يـا خـيـر عـنـوانِ
هـذا الـورى فـيـه أخـلاق مـنـوَّعـة ... أخـلاقـك الـغُـرُّ فـيـهـا خـيـر مـيـزانِ

أخلاقك الغرّ عقد الكون مؤتلقاً مفصلاً بين ياقوت ومرجانِ
أنت الذي جئتَ بالقرآن فيه هدى وفيه ذكرَى قرون الإنس والجانِ
أنت الذي كنت أوضحتَ السبيل لنا حتى مشى العقلُ فيها غير حيرانِ
يا سيد الرُسل إني جئتُ معتذراً إليك من زَلَّتي العظمى وأدراني
فاستغفر الله لي من كل سيئة حتى يمُنَّ بغفرانِ على الجانِ

المصادر

١ ـ التفسير الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي.
٢ ـ تفسير الإمام ابن كثير.
٣ ـ تفسير الإمام الخازن.
٤ ـ تكملة أضواء البيان للشيخ محمد عطية سالم.
٥ ـ صحيح البخاري بشرح الكرماني.
٦ ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني.
٧ ـ عمدة القاري شرح صحيح البخاري للإمام العيني.
٨ ـ صحيح مسلم.
٩ ـ شرح الزرقاني على الموطأ.
١٠ ـ سنن الدارمي.
١١ ـ مسند الإمام أحمد.
١٢ ـ الجامع لشعب الإيمان للإمام البيهقي.
١٣ ـ سنن الدارقطني.
١٤ ـ المستدرك للحاكم.
١٥ ـ فضائل الأعمال للحافظ الضياء المقدسي.
١٦ ـ شعب الإيمان للحافظ أبي عبد الله الحليمي.
١٧ ـ المعجم الكبير للطبراني.
١٨ ـ مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي.
١٩ ـ المطالب العالية لابن حجر العسقلاني بتحقيق الشيخ المحدّث عبد الرحمن الأعظمي.
٢٠ ـ مختصر أبي داود للحافظ المنذري.
٢١ ـ الترغيب والترهيب للحافظ المنذري.
٢٢ ـ النوادر للحكيم الترمذي.
٢٣ ـ الأذكار للإمام النووي.
٢٤ ـ نيل الأوطار للإمام الشوكاني.

٢٥ ـ التلخيص الحبير لابن حجر العسقلاني.
٢٦ ـ تحفة المحتاج في أدلة المنهاج لابن الملقن.
٢٧ ـ المغني عن حمل الأسفار للحافظ العراقي.
٢٨ ـ تنزيه الشريعة عن الأحاديث الموضوعة لابن عراق الكناني.
٢٩ ـ مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا للسيوطي.
٣٠ ـ فيض القدير للإمام المناوي على الجامع الصغير للسيوطي.
٣١ ـ تدريب الراوي للحافظ السيوطي.
٣٢ ـ فتح المغيث للحافظ العراقي.
٣٣ ـ الكامل لابن عدي.
٣٤ ـ ميزان الاعتدال للحافظ الذهبي.
٣٥ ـ تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني.
٣٦ ـ الضعفاء للعقيلي.
٣٧ ـ الكنى للدولابي.
٣٨ ـ سير أعلام النبلاء للذهبي.
٣٩ ـ تعجيل المنفعة للحافظ ابن حجر.
٤٠ ـ ترتيب المدارك للقاضي عيّاض.
٤١ ـ تاريخ دمشق لابن عساكر.
٤٢ ـ البداية والنهاية لابن كثير.
٤٣ ـ شفاء السقام للتقي السبكي.
٤٤ ـ الصلات والبشر للمجد الفيروز آبادي.
٤٥ ـ الشفا للقاضي عيّاض.
٤٦ ـ شرح الشفا لملا علي القاري.
٤٧ ـ شرح الشفا للخفاجي.
٤٨ ـ شرح الزرقاني على المواهب اللدنية للقسطلاني.
٤٩ ـ المدخل لابن الحاج المالكي.
٥٠ ـ البيان والتحصيل لابن رشد.
٥١ ـ الغنية للإمام عبد القادر الجيلاني.
٥٢ ـ المغني لموفق الدّين ابن قدامة الحنبلي.
٥٣ ـ الشرح الكبير لأبي الفرج ابن قدامة الحنبلي.

٥٤ ـ كشاف القناع للبهوتي.
٥٥ ـ دليل الطالب للشيخ مرعي بن يوسف الحنبلي.
٥٦ ـ منتهى الإرادات لتقي الدّين الفتوحي الحنبلي.
٥٧ ـ الفروع لابن مفلح الحنبلي.
٥٨ ـ اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية.
٥٩ ـ الفتاوى لابن تيمية.
٦٠ ـ القصيدة النونية لابن القيم.
٦١ ـ فتح القدير لكمال الدّين ابن الهمام الحنفي.
٦٢ ـ المهذب للإمام أبي إسحاق الشيرازي.
٦٣ ـ المجموع على المهذب للإمام النووي.
٦٤ ـ الإيضاح للإمام النووي.
٦٥ ـ حاشية العلامة ابن حجر على الإيضاح.
٦٦ ـ منهاج الطالبين للإمام النووي.
٦٧ ـ شرح جلال الدّين المحلي على المنهاج.
٦٨ ـ فتح الوهاب على منهج الطلاب للإمام أبي زكريا الأنصاري.
٦٩ ـ تحفة المحتاج بشرح المنهاج لابن حجر الهيتمي.
٧٠ ـ نهاية المحتاج لشمس الدّين الرملي.
٧١ ـ مغني المحتاج للخطيب الشربيني.
٧٢ ـ الجوهر المنظم للإمام ابن حجر الهيتمي.
٧٣ ـ خلاصة الوفاء للسمهودي الشافعي.
٧٤ ـ نفحات الرضا والقبول بزيارة سيدنا الرسول (ﷺ) للشيخ أحمد بن محمد الحضراوي.
٧٥ ـ التعريف بتاريخ المدينة للشيخ المطري.
٧٦ ـ الدرّة الثمينة فيما لزائر النبيّ ﷺ إلى المدينة للشيخ أحمد القشاشي.
٧٧ ـ فتاوى الشيخ محمد بن عبد الوهاب
٧٨ ـ المفند على المهند لكبار علماء الحديث بالهند.
٧٩ ـ التوسّل والزيارة للشيخ محمد الفقي المصري.
٨٠ ـ مشارق الأنوار للشيخ حسن العلوي المالكي.
٨١ ـ جواهر البحار للنبهاني.

٨٢ ـ المجموعة النبهانية للشيخ يوسف النبهاني.
٨٣ ـ الدرّ المنظوم لذوي العقول والفهوم للحبيب عبد الله بن علوي الحداد.
٨٤ ـ ديوان البرعي.
٨٥ ـ ديوان الحافظ ابن حجر العسقلاني.
٨٦ ـ ديوان الحبيب علي بن محمد الحبشي.

فهرس المحتويات

نصوص أئمّة السلف
من المحدّثين والفقهاء عن حكم زيارة الرسول ﷺ وشدّ الرّحل إليه

كيفيّة الوقوف للزيارة
وصيغ السلام على المصطفى ﷺ

من آداب الزيارة والمجاورة